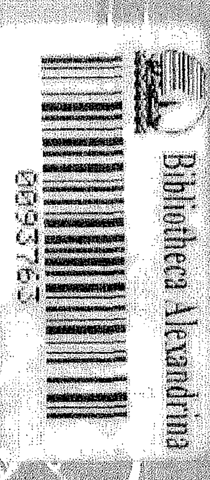
التشريع الإسلامي

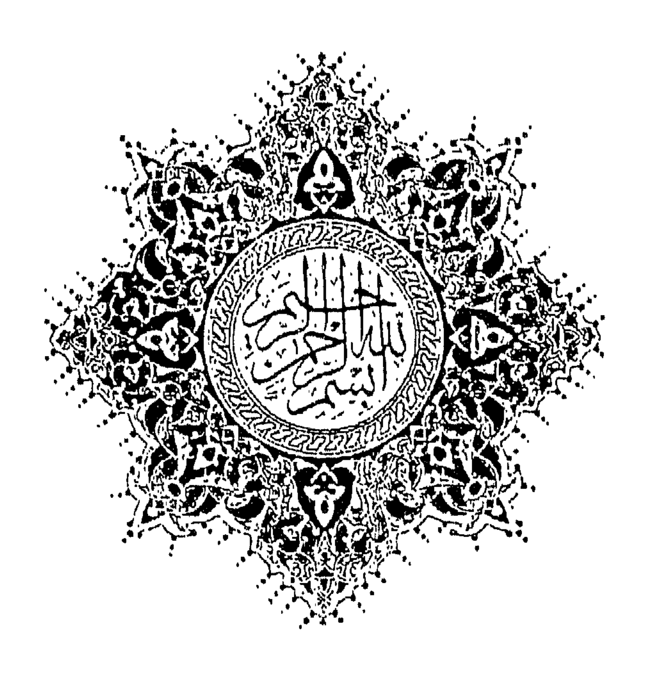
مناهجه ومقاصده

الجزء الرابع

آية الله السيد محمد تقي المدرسي






بسم الله الرحمن الرحيم

چاپخانه نهضت - تلفن ۷۴۲۱۱۶

الكتاب : التشريع الأسلامي (الجزء الرابع)

المؤلف : آية اللـه السيد محمد تقي المدرسي

الناشر : انتشارات مدرسي

الطبعة الاولى : ١٤١٧ هـ

عدد النسخ : ٣٠٠٠

السعـر : ٧٠٠٠ ريال

آية الله السيد محمد تقي المدرسي



مَنَاهِجُهُ وَمَقَاصِدُهُ

الجزء الرابع

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الميامين .

لعل بعض الذين قرأوا لي وعرفوا المنهج الذي اتبعه والمدرسة الرسالية التي انتمي اليها بتوفيق الله سبحانه ، يريدون ان يعرفوا خلفياتي الفكرية ، وعوامل انتمائي المنهجي ، ولا سيا في المنظومة الدراسية من كتبي مثل كتاب الفكر الاسلامي مواجهة حضارية الذي كان باكورة دراساتي والذي ألفته بعون الله في مطلع العقد العشرين من حياتي ، والذي اعتبر في وقته منهجاً جديداً في دراسة العقائد الاسلامية . وكذلك كتاب (المنطق الاسلامي) الذي طبع زهاء خمسة عشر طبعة ، وكان يدرس في بعض الحوزات الدينية واعتبر مرجعاً في بعض الجامعات . وكتاب العرفان الاسلامي والذي حظي هو الآخر باتخاذه منهجاً دراسياً في الحوزات والجامعات معاً . .

وهكذا موسوعة التشريع الاسلامي التي نقدم لك اليوم الجزء الرابع منها ، ونسأل العلي القدير ان يوفقني لا تمامها بالرغم من الصعوبات الجمة التي تكتنف المشروع الكبير الذي يهدف تطوير مباني التفقه في الدين والتبصر في احكام المتغيرات والحوادث الواقعة .

ان هذه المنظومة الدراساتية من الكتب التي وفقت لتحريرها خلال ثلاثة عقود من الزمن تعتمد على منهج محدد ، يعرفه الناقد فور النظر اليها . ومن هنا يطرح البعض هذا السؤال : كيف انتمى المؤلف الى هذا المنهج ، ولماذا ؟

وفي الجواب اقول وبكلمة واحدة ؛ السبب المباشر بعد توفيق الله وألطاف النبي والائمة من أهل بيته -عليه وعليهم الصلاة والسلام- هما والداي ؛ والدتي علمتني حب

القرآن ودراسته، لانها كثيرة الوله بتلاوته وتفسيره، كما انها غذتني بحب النبي واهل بيته، واسأل الله لها شمول السلامة ودوامها.

ووالدي واستاذي والمربي الكبير (قدس الله سره) الذي علمني كيف استلهم من احاديث النبي واهل بيته، وفن الدراسة فيها، ودرسني منذ نعومة اظفاري المعارف الاسلامية التي كان قد اتقنها عند معلمه الكبير آية الله العظمى الميرزا مهدي الاصفهاني (قدس الله سره).

ان المعلم القدير هو الذي يعطيك مفتاح ابواب العلم، لكي تدخلها بنفسك انى شئت ومتى اردت، وتستفيد منها كلما احتجت. والمربي الكبير هو الذي يبث في قلبك اصول القيم، وينابيع الخلق السامي، مثل معرفة الله، والتسليم له، ومعرفة اولياء الله، والتسليم لهم.

ووالدي كان معلماً قديراً لي، ومربياً كبيراً، كما كان كذلك لاخوتي واخواتي وجيل من العلماء الافاضل، واني اشكر الله سبحانه ان انعم علي بمثله ولازلت اطلب من الله له المغفرة والدرجات العالية.

لقد فقدناه منذ عامين جسداً، ولكنا لم نفقده منهجاً، ومدرسة، واليوم حيث ذكرى فقدنا له في ايام وفاة الامام الصادق -عليه السلام- (٢٥/شوال) نبعث بثواب هذه الموسوعة الى روحه ونرجو من الاخوة القرّاء ان يبعثوا اليه ثواب سورة الفاتحة.

ونسأل الله له ولنا وللقراء الكرام المغفرة والرضوان، انه سميع الدعاء.

٢٤/شوال/١٤١٦هـ

محمد تقي المدرسي

المدخــل

١

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

بهذا الجزء نفتتح بإذن الله وتوفيقه- الابواب الرئيسية لموسوعة التشريع الاسلامي . حيث كانت الاجزاء الثلاث السابقة ، مجرد بحوث تمهيدية لها . واذا صح التعبير كانت بمثابة علم الاصول . قياساً الى علم الفقه ..

في الجزء الأول تحدثنا عن الحجة (الدليل الشرعي) بين العقل والوحي (كتاباً وسنة) و عن شروط التفقه في الدين (ومنها صفات الفقيه) .

بينما تناولنا في الجزء الثاني ، موضوع المناهج ، والتي يبدو ان معرفتها تنفع الذي يريد ان يتفقه في الشريعة .

اما الجزء الثالث ، فكان عن فلسفة الاحكام ، مقارنة بسائر المذاهب الاخلاقية والفلسفية والقانونية .. ويبدو لي ان الاحاطة بها خبراً ، يمهد لمعرفة روح الشريعة الاسلامية وقيمه العامة .

وها نحن ندخل في صلب موضوعنا ، وهو البحث مفصلاً عن حكم الشريعة . والتي نقسمها الى اربعة اقسام . ثم يتسع كل قسم لعدة اجزاء من الكتاب ، وفلسفة التقييم هي ان البشر بحاجة الى هدى من بعد ضلال . والى فلاح وسعادة حتى لا يشقى . والقيم الايمانية قد ترتبط بوسائل الهدى (مثل الاستماع والتذكر والتعقل والاتباع) وقد تتصل بأسباب الفلاح (مثل الصدق والوفاء والعدل والاحسان) .

اما القيم المضادة التي لابد من اجتنابها . فهي الأخرى قد تكون مناقضة لوسائل

الهدى (مثل الاعراض ــ الغفلة والاستكبار) وقد تكون مخالفة لأسباب الفلاح وبالتالي تكون من عوامل الشقاء (مثل الكفر والنفاق والقتل والسرقة).

وهناك قيم هي الأم وهي اصول الحكم. مثل الايمان والتقوى والحق والدعاء والصلاة والاستعانة بالله (وكلها يرتبط بالضراعة والتعبد) وقد جعلنا منها قسما تمهيدياً افتتحنا به الاقسام الاربعة وهو محتوى هذا الجزء الرابع من موسوعة التشريع الاسلامي.

والمنهج الذي اتبعناه في البحث عن القيم هو التالي:

اولاً: بعد قراءة متأنية للنصف الاول من القرآن الكريم. توقفنا عند كل قيمة ايمانية، مما اعتقدنا انها تتصل بأهداف الانسان حسب بصائر القرآن، وثبتناها مع البصيرة التي استوحينا منها حسب سياقها المبارك. ثم الحق بعض افراد مكتبنا سائر آيات النصف الثاني من القرآن حسب منهجنا في النصف الاول، من خلال تلاوة القسم الثاني من القرآن المجيد.

ثانياً: كتبنا تلك القيم في جداول حسب الاقسام التي سبقت، ومن خلال دراسة وفقنا الله لها، لبيان سلم الاولويات فيها. ابتداءاً من قيم اساسية (مثل الايمان والتقوى وهما اصل سائر القيم) ومروراً بقيم الهدى والفلاح وانتهاءاً بالقيم المضادة للكفر والشقاء.

وقد حاولنا الاستفادة من جدولة السلف الصالح في كتب الحديث، امثال المحدث الكبير الشيخ الكليني ومن اتبعه من المحدثين الكبار، كالصدوق والطوسي قدس الله أسرارهم. وكذلك العلامة الكبير الشيخ المجلسي رضوان الله تعالى عليه. وهذه الجدولة مستفادة ـ فيما يبدو ـ من منهج الائمة المعصومين عليهم السلام.

ثالثاً: وهكذا اجتمعت لدينا، حوالي ثلاثمائة ملف من موضوعات قرآنية تتصل بالقيم الايمانية. فأخذنا نتدبر في آيات كل موضوع، وننضدها حسب فهمنا لعلاقاتها ببعضها، ونستوحي منها البصائر، ونسجلها، ثم نحرر ما استفدناه منها في دراسات. ونسعى جاهدين ألا نضيف اليها افكاراً مسبقة من عند انفسنا ونسأل الله ان يعصمنا من ذلك بفضله، ولا ندعي اننا نجحنا تماماً في ذلك، ومن هنا فاننا نوصي القارئ الكريم، بالتدبر عميقاً في الآيات التي نتلوها بعد كل بصيرة ثم عرض الأفكار التي استفدناها عليها، لكي يضرب ما يعارضها عرض الحائط.

رابعاً: ثم قرأنا الاحاديث المأثورة التي تتصل بالموضوع وكتبنا بعضاً منها دون ان نجمعها لانها كثيرة مستفيضة. بلى فيما يتصل بالآيات حاولنا ان نكتب اكثر ما يتصل بكل موضوع لا أقل مما فيها ذات الكلمة التي جعلناها عنواناً للملف.

وهذا المنهج الذي اتبع في هذا الجزء ربما احتاج الى بعض التعديل الذي نأمل ان يقترحه القراء الكرام، حتى تكتمل فائدته بإذن الله.

ومن هنا نرجو من الاخوة الكرام، ان يساهموا في تطوير هذه الموسوعة، طالبين بذلك رضوان الله تعالى.

* * *

٢

من عرف الله بأسماءه الحسنى، عرف سنن الله التي هي تجليات تلك الاسماء في الكائنات. ومن عرف سنن الله اوتي الحكمة. أوليست الحكمة هي العمل بمقتضى تلك السنن؟ ومن أوتي الحكمة عرف الاحكام، التي أمر بها الدين. ومن عرف احكام الدين كان فقيهاً.

ومن هنا كانت العلاقة وثيقة بين معرفة الله، وبين الفقه، وكانت العبادات اعظم ابواب الفقه. وكانت الغاية منها زيادة التقوى واليقين.

انى نظرت رأيت آثار رحمة الله. فالله هو الرحمن الرحيم، والرحمة اسم من اسماء ربنا الحسنى.

ولان ربنا رحيم فحاشاه ان يأخذ أهل الأرض بألوان العذاب. وتعالى من معاقبة الناس قبل ان يتم الحجة عليهم وهو لا يدمر القرى حتى يبعث في أمها رسولاً نذيراً. وهذه هي سنة من سنن الله التي لن تجد لها تبديلاً.

ولكن أنى نظرت رأيت أيضاً آثار حكمة الله، ومدى حسن التدبير ودقة النظم فهو العليم الحكيم. وذلك اسم من اسماءه سبحانه.

ولانه حكيم، فتعالى من ان يغفل عما يعمل الظالمون. وتلك هي الأخرى سنة من سننه النافذة.

واذا امعنت النظر رأيت تلك السنة تجلياً لذلك الاسم.

وهكذا تجد آيات القرآن حافلة باسماء الله وسننه ولكن السنن -بدورها- معادن

حكمة الله . فاذا كان الله رحيماً فمن الحكمة التعرض لرحمته بالدعاء والعمل الصالح . واذا كان لا يغفل عن الظالم فمن الحكمة اجتناب سخطه ..

وهكذا كانت الحكمة الجانب السلوكي لسنن الله . او بتعبير أفضل ، وعي سنن الله في الحياة العملية .

واحكام الشريعة ان هي الا حدودا للحكمة البالغة التي أمر بها الله في القرآن .

وهكذا كان اول العلم معرفة الله ، وكلما ازدادت المعرفة بالله ازداد الانسان فقهاً وعلماً ، فالفقه ميراث معرفة اسماء الله ، وسننه ، وحكمته .

وكذلك كانت الصلة بالله سبحانه ، المدخل الى سائر القيم السامية ، والاهداف الرفيعة للاحكام الشرعية .

ومن هنا كان الجزء الرابع من موسوعة التشريع الاسلامي يعالج هذا الحقل الهام ، والذي يعتبر اساساً لسائر الحقول . وفاتحة لسائر الحكم ، أولم نقرأ قوله ـ صلى الله عليه وآله ـ : (رأس الحكمة مخافة الله) .

وإذا كانت العبادات فاتحة ابواب الفقه فان العلاقة بين العبد وربه العظيم هي روح العبادات . فهي الصلاة ، وهي هدف الصيام وغاية الحج ، ومن أعظم حكم الزكاة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتولي والتبري .

ونظرة الى فصول هذا الجزء كافية لنعرف انه يمهد السبيل الى سائر الأجزاء ، وبالتالي يكون بمثابة المدخل الى معرفة حكمة الاحكام ، وروح الشرائع .

فالبحث عن حقائق الايمان بالله ، وابعاد التقوى منه ، وآفاق الحق ومحوريته للايمان ، ومعاني الطاعة لله وعبادته وذكر الله والصلاة والدعاء والسجود والقنوت ، وسبل الاستعانة بالله (من الاعتصام بالله والتوكل عليه ، والاستعاذة به ، وطلب رضوانه) ، وآفاق التقرب اليه (مثل ذكره وشكره والانابة اليه والاستغفار) وبالتالي لقاء الله سبحانه ..

اقول البحث عن هذه الآفاق ، يعتبر فاتحة البحوث في قيم ايمانية اخرى ، مثل سبل الهداية ، ووسائل الفلاح . او مثل عوامل الضلال واسباب الشقاء . (وهذه هي عناوين الاجزاء التالية من هذه الموسوعة انشاء الله) .

وارجو ان أوفق في اجزاء هذه الموسوعة، الى تفريع الاحكام الشرعية على اصول الحكم، والقيم الالهية، فاذا تحدثنا مثلاً عن العدالة ذكرنا فروعاً فقهية تتصل بها، ولكني رأيت أن من الصعب، تطبيق هذا المنهج في هذا الجزء الذي يعتبر بمثابه قاعدة سائر ابواب الفقه، ومن هنا فقد جاءت فصوله خالية من الفروع الفقهية، والتي نسأل الله سبحانه ان يوفقنا لبحثها في الاجزاء التالية.

* * *

٣

في هذا الجزء فصول ثلاثة :

١ ـ ففي الفصل الاول ، نتحدث بإذن الله عن الايمان والتقوى والتسليم . ولان الايمان يتمحور حول الحق وكذلك التسليم ، فان الحديث عن الحق ، حسب بصائر الوحي يبدو ضروريأ .

والعلاقة بين التقوى والايمان هي العلاقة بين المظهر والمخبر، فالايمان هو روح التقوى ، والتقوى هي لباس الايمان .

والتسليم أحد أهم حقائق الايمان والتقوى .. وهو يمثل الانسجام المطلق بين المؤمن وبين الحق .

٢ ـ وفي الفصل الثاني نتحدث انشاء الله عن عبادة الله وحقائقها المتمثلة في التعبد والذكر والصلاة والدعاء والسجود والقنوت .

٣ ـ والفصل الثالث يكون عن العلاقة بالله ، وهي تجليات العبادة في السلوك . وعن حقائق العبادة في السلوك ، من الاعتصام بالله ، والتوكل عليه ، والاستعانة به ، والاستعاذة به ، وطلب رضوانه وشكره واستغفاره والتوبة اليه .

ونختم الكلام بالمسك الذي هو لقاء الله . ولا ريب ان الذي يعيش في رحاب هذه البصائر ، يعتمر قلبه بنور ربه ، إذا وفق لرفع حجب الكبر والغرور من نفسه .

* * *



الباب الاول

عن الايمان؛
حقائقه وعلائمه



صفوة القول

ما هو المنهج السليم لمعرفة الايمان، ولمعرفة تلك الحقائق الكبرى التي نتعايشها وقليلاً ما نحيط بها علماً، مثل العلم، العقل، الروح، الوجود؟ الاجابة واحدة فيها جميعاً. وهي: معرفتها بعلاماتها، بآثارها في الواقع، ذلك لان الكلمات قد تحجبنا عن هذه الحقائق وتجعلنا نتخيل مفاهيم، ثم نزعم انها هي تلك الحقائق.

فاذا عرفنا آثار الايمان ثم تتبعنا تلك الآثار على ارض الواقع، وراجعنا الامثلة الواقعية للايمان، ورجعنا الى انفسنا وما يختلج في صدورنا من حقائق الايمان، وهكذا إذا فعلنا ذلك المرة بعد الاخرى، فاننا نبلغ معاني الايمان و بعض حقائقه.

فالايمان: هو روح في القلب يبعث الانسان نحو التسليم للحق، انه وقر في النفس يتجلى في العمل الصالح، انه كلمة التقوى تتجلى في التقيد بحدود الله -سبحانه-، وانه الرسوخ في العلم عندما يتجلى في التسليم النفسي للحق والاذعان به.

وهكذا جاء في الحديث المأثور عن أبي عبدالله الصادق -عليه السلام- قال: (ان للقلب اذنين: فاذا هم العبد بذنب قال له روح الايمان: لا تفعل. وقال له الشيطان افعل، واذا كان على بطنها نزع منه روح الايمان)[1].

ومن هنا كان علينا ان نتدبر ملياً في آثار الايمان، وفي آياته وعلاماته، ونتخذ منها سبيلاً الى حقيقته، التي قد نجدها في انفسنا، ونتحسس ببردها على افئدتنا، وسكينتها في

(١) الكافي ج٢/ ص٢٦٧- بحار الانوار ج٦٩/ص١٩٨.

قلوبنا ، وعزيمتها في الانبعاث الى عمل الخير، والاشتمال على المكارم .

وحين نعود الى القرآن الكريم الذي دارت -على رحى الايمان- آياته ، فسوف نجد التذكرة بالايمان عبر التذكرة بآثاره وبصفات المؤمنين او ببيان آثار الكفر (الحالة المعاكسة للايمان) وصفات الكافرين .

ووفق هذا المنهج القرآني نتابع وإياك -ايها القارئ الكريم- بحوثنا حول الايمان في الفصل الأول من هذا الكتاب عبر اربعة اقسام : ففي القسم الأول نتلوا آيات الله التي بينت حقائق الايمان، وحقائق تلك الكلمات التي تعبر عنه ، مثل التقوى والصلاح وبيوت الايمان والبيعة (بين العبد والرب عن طريق الايمان الحق) . ثم نستعرض -انشاء الله- علامات المؤمنين ، وهي ايضاً تجليات الايمان في حياة المؤمنين . وبالتأمل في هذه الآيات نعرف ان الهدف منها -فيا يبدو- هو وعي حقيقة الايمان وعياً عميقاً ، وبعيداً عن الحجب النفسية . وعند إلقاء نظرة شمولية الى تلك الحقائق والعلامات الايمانية نعرف ان اختلافها في ذكر بعض الحقائق دون غيرها ، او في بيان بعض العلامات دون سواها ، انما جاء تبعاً للسياق القرآني ، وموضوعات السور القرآنية . -وبالتالي- لم يكن الهدف منها استقصاء حقائق الايمان وعلاماته في موضع خاص ، بل بيان ما يتناسب والسياق القرآني في تلك السورة فقط .

بلى .. عندما نجمع هذه الآيات الى بعضها ، نستوحي منها ابرز تلك العلامات ، او تلك الحقائق .

ونحن -بحول الله- نستعرض باسهاب وتفصيل في تضاعيف هذه الموسوعة ما نجملها هنا ، من بيان حقائق الايمان وعلاماته . اما هنا فالغاية من ذكرها باجمال هو وعي الايمان من خلالها ، وهذه هي الغاية التي يبدو ان تلك الآيات تهدفها . وانى كان ، فعلينا -عند تلاوتها- الاهتمام بتلك الروح التي هي وراء هذه الحقائق (الايمان) وليس بتجلياتها او علاماتها وتفاصيلها .

اما في القسم الثاني فسوف نتحدث عن الحق باعتباره محور الايمان . وان الايمان لا يتجزء بين حق وآخر، وان ادعاء الايمان باطل لمن لم يتسع ايمانه لكل حق . لان الايمان الحق هو الخروج من سجن الذات الى رحاب الحق ، ومن معيارية الهوى الى معيارية

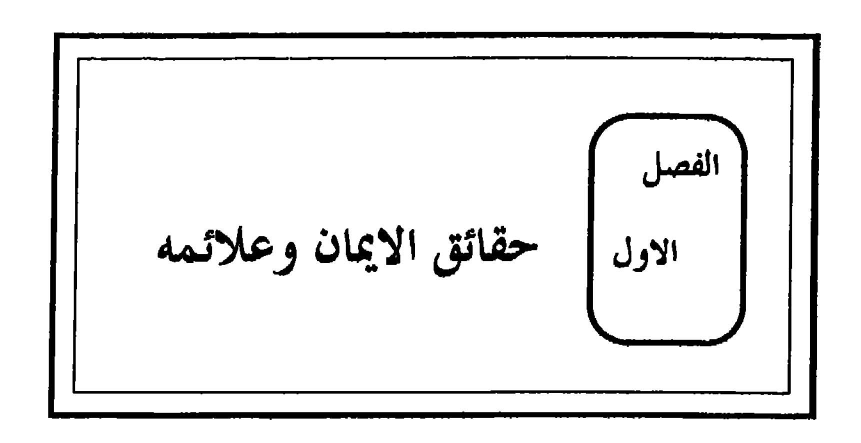
الحق والهدى .

وهكذا نفصل القول في «الحق» وانه أصل القيم ومحور الايمان . وانه من عند الله ، وان الله هو حفيظ الحق (يحفظه بكلماته وبنصره) وان الحق هو محتوى كتاب الله ورسالات الانبياء ، وان الحق اداة الخلق وغيرها من الموضوعات التي تدور حول «الحق» .

وفي القسم الثالث سوف نتحدث ـ انشاء الله ـ بصورة مفصلة عن التسليم الذي هو قاعدة الايمان . فلولا التسليم للحق تسليماً قلبياً وعملياً كيف تكتمل حقيقة الايمان في النفس ؟ والتسليم هو لله اولاً وأخيراً ، وكان ابراهيم قدوة ومثلاً في التسليم ، حيث سلم ابنه لله وأراد ذبحه بأمره . والتسليم للحق مظهر التسليم لله وهو يعني رفض التقاليد والحميات كما ان التسليم للرسول دليل التسليم لله ، والتسليم للسنن الالهية ، ولقدر الله وقضاءه دليل آخر على ذلك .

. اما القسم الرابع فالحديث يتركز فيه حول التقوى التي هي لباس الايمان ، ومظهره ، وان الايمان هو روح التقوى (الايمان بالله واليوم الآخر وبالرسول) والدواعي التي تبعث على التقوى (ثواب الله للمتقين في الدنيا والآخرة وخشية عقابه لغيرهم في الدنيا والآخرة) .

والبحث الأهم في هذا القسم يكون عن حقائق التقوى والتي هي جملة صفات المتقين وعلاماتهم .



وهكذا نعرف ان الايمان.. نقطة ضوء مركزة جداً، فاذا انبسطت اضحت صبغة حياة الصالحين. وتتمثل هذه النقطة الضوئية في كلمة الايمان التي هي «لا اله الا الله» وهي تركيز لما في كتاب الله من حقائق وبصائر، بحيث لو تسنى لاحد ان يعي جوهر سائر ما في الكتاب من حكم، واحكام، وسنن، وهدى، فانه لا يجده الا في تلك الكلمة البسيطة الواحدة «لا اله الا الله».

وحديثنا الاول سيكون عن هذا النور، ويتدرج -بتوفيق الله تعالى- عن تجلياته وعلاماته.

نور الايمان:

عزمة ارادة يرفع الله بها المؤمن من ظلمات الجهل الى رحاب المعرفة، ومن جاذبية الهوى الى حب الله، ومن محورية الذات الى كعبة الحق، ومن فوضى الاهواء الى قيمومة العدل.

وقد جاء في الحديث المأثور عن الصادقين -عليهم السلام- انهم قالوا: (اذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه، فان لم يفعل سلب نور الايمان)[1].

---

(١) بحار الانوار ج ٤٨/ ص٢٥٢ الرواية ١ (طبعة بيروت).

وهكذا عبروا عن الايمان بالنور، وحقاً هو نور عظيم .

ولعل هذه العزمة -التي تحدث أكبر تحول في الخليقة- لعلها هي المراد من كلمة «روح الايمان» التي جاءت في الاحاديث الشريفة . فقد روي عن المفضل ، عن ابي عبدالله (الامام الصادق) -عليه السلام- انه قال : (يا مفضل ، ان الله تبارك وتعالى جعل للنبي -صلى الله عليه وآله- خمسة ارواح : روح الحياة فبه دب ودرج ، وروح القوة فبه نهض وجاهد ، وروح الشهوة فبه اكل وشرب وأتى النساء من الحلال ، وروح الايمان فبه امر وعدل ، وروح القدس فبه حمل النبوة . فاذا قبض النبي -صلى الله عليه وآله- انتقل روح القدس ، فصار في الامام . وروح القدس لا ينام ، ولا يغفل ، ولا يلهو ، ولا يسهو . والاربعة الارواح تنام وتلهو وتغفل وتسهو ، وروح القدس ثابت يرى (أي الامام) به ما في شرق الارض وغربها ، وبرها وبحرها) . قلت : جعلت فداك ؛ يتناول الامام ما ببغداد بيده ؟ قال : (نعم وما دون العرش)[1] .

وجاء في حديث شريف عن الامام جعفر بن محمد -عليهما السلام- انه قال : (من شرب مسكراً فأذهب عقله ، خرج منه روح الايمان)[2] .

وهي -حسبما جاءت في حديث مأثور عن الامام امير المؤمنين -عليه السلام- قائمة على أربعة دعائم ؛ على الصبر واليقين والعدل والجهاد . اما الصبر فهو -حسبما يبدو لي- الغاء حاجز الزمان لمشاهدة الحقائق . فالشوق الى الجنة ، والاشفاق من النار ، يلغيان حاجز الزمان الفاصل بين الدنيا والآخرة . وترقب الموت ، والزهد في الدنيا ، يجعلان الشهوات العاجلة في حجمها الطبيعي التي لا تغر الفرد . وهذه هي معاني الصبر التي جاءت في حديث الامام علي -عليه السلام-.

أما شعب اليقين فهي : الانفتاح على الحقائق بلا تردد او ريب او جدل ، فاذا رأى الانسان الحكمة قائمة في حقائق مشهودة على الارض (تأول الحكمة) استبصر المواعظ

---

(١) بحار الانوار ج١٧ ص١٠٦ الرواية ١٦ (طبعة بيروت) .

(٢) المصدر ج٦٣ ص٤٩٥ الرواية ٤١ .

وطبقها على نفسه ، واذا درس سنة الاولين بلا حجاب من هوى ، درسها ليعرف كيف نجى من نجى ، ولم هلك من هلك ، هنالك خرج من زنزانة نفسه الى رحاب الحقائق .

اما العدل والجهاد فهما من أقرب آثار الايمان في النفس ، فالعدل قائم على غور العلم الذي يعي به الانسان ماورائيات القضايا ، وزهرة الحكم التي يستنبط بها الانسان احسن الاحكام .

واما الجهاد ؛ فهو التصدي للكفر برفضه ، و اعلان الحرب ضد كل منحرف باللسان واليد والسيف .

اذاً ؛ الايمان هو عزمة ارادة ، يوفق الله لها عبداً صبر وايقن وعدل وجاهد .. ولولا سعي الانسان لما وفقه الله للايمان ، وهذا هو معنى الايمان حقاً .

اما علاماته وحقائقه و ـ بتعبير آخر ـ تجلياته في الواقع الخارجي فهي التالية :

حقائق الايمان وعلائم المؤمنين

١ ـــ الايمان وقر في افئدة المؤمنين، وتتجلى حقيقته عندما تستجيب قلوبهم لذكر الله، وتزيدهم آياته ايماناً، وتقوى عزائمهم بالتوكل عليه، وتخشع جوارحهم بالصلاة، وتسخو أيديهم بالعطاء .

يقول ربنا سبحانه : «انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً، وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، أولئك هم المؤمنون حقاً»[1] .

في هذه الآيات ذكّرنا ربنا سبحانه، بتلك الحقائق الأقرب الى روح الايمان، وهي التي تتصل بعلاقة المؤمن بربه، فذكر الله وآياته، ينميان ايمانه، ثم التوكل عليه، واقامة الصلاة لذكره والانفاق في سبيله .

٢ ـــ وقال الله تعالى (عن زيادة الايمان عند تلاوة الآيات) :

«واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه أيماناً، فأما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون»[2] .

٣ ـــ وكذلك الآيات التالية تبين كيف : ان حقيقة الايمان تتجلى في الصلة بين العبد وربه، انها صلة العبودية والسجود عند ذكره، والتبتل اليه والانفاق في سبيله .

---

(١) الأنفال/ ٢ـــ٤ .

(٢) التوبة/ ١٢٤ .

قال الله سبحانه : «انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاءاً بما كانوا يعملون»[1].

٤ ــ ومن صفاتهم التي ترتبط بعلاقتهم بربهم ، أن ذكر الله يبعث فيهم السكينة ، لانهم عرفوا ربهم ، وعرفوا انه الرحمن الرحيم ، الذي لا ينسى من ذكره ، قال الله تعالى :

«الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب»[2].

٥ ــ ومنها انهم يخبتون الى ربهم قال الله سبحانه :

«ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم أولئك اصحاب الجنة»[3].

٦ ــ ومنها محافظتهم على صلواتهم قال الله تعالى :

«والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون»[4]

٧ ــ ومن حقائق الايمان التي تتجلى عند المؤمنين ، خشية الله ، والذين يخشون ربهم هم المؤمنون حقاً ، وصفاتهم هي صفات المؤمنين ، من الصلاة (بخشوع) والزكاة (بخشية) والعمل الصالح (والمسارعة الى الخيرات) فكأن هؤلاء هم في الدرجة العليا من الايمان ، يقول الله سبحانه :

«ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بايآت ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون»[5].

وقد اشارت الاحاديث المأثورة الى حقائق الايمان ، وانها هي تلك الصفات التي يتحقق بها الايمان عند البشر.

الف ــ فقد جاء عن النبي ـصلى الله عليه وآله ـ انه قال :

---

(١) السجدة/ ١٥ ــ ١٧ .

(٢) الرعد/ ٢٨ .

(٣) هود/ ٢٣ .

(٤) الانعام/ ٩٢ .

(٥) المؤمنون/ ٥٧ ــ ٦١ .

(من أسبغ وضوءه، واحسن صلاته، وأدى زكاة ماله، وخزن لسانه، وكف غضبه، وأستغفر لذنبه، وأدى النصيحة لاهل بيت رسوله، فقد استكمل حقائق الايمان وأبواب الجنة مفتحة له)(١).

باء ــ وروي عن الامام امير المؤمنين عن -يوم الغدير- انه يوم البيان عن حقائق الايمان.

نص الحديث كما يلي:

(ان هذا يوم عظيم الشأن، فيه وقع الفرج ورفع الدرج وصحت الحجج، وهو يوم الايضاح والأفصاح عن المقام الصراح، ويوم كمال الدين، ويوم العهد المعهود، ويوم الشاهد والمشهود، ويوم تبيان العقود عن النفاق والجحود، ويوم البيان عن حقائق الايمان، ويوم دحر الشيطان)(٢).

جيم ــ وفي الحديث ان رسول الله علم الامام امير المؤمنين، كلمات يدعو بها بعد ختم القرآن ويسأل الله فيها حقائق الايمان، وفي بعض فقرات الدعاء نقرأ: (اللهم اني أسألك اخبات المخبتين، واخلاص الموقنين، ومرافقة الابرار، واستحقاق حقائق الايمان)(٣).

٨ ــ ومن حقائق الايمان التقوى، والتي هي الجانب السلوكي من الايمان، وهكذا تشترك صفات المتقين وصفات المؤمنين، قال الله تعالى:

«الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون»(٤).

فأول صفات المتقين الايمان، ثم تشترك صفاتهم وصفات المؤمنين في اقامة الصلاة

---

(١) بحار الانوار ج٦٩/ ص١٦٨ الرواية ٨ (طبعة طهران).

(٢) المصدر ج٣٧/ ص١٦٤ الرواية ٤٠ (طبعة بيروت).

(٣) المصدر ج٦٢/ ص٢٩ الرواية ١ (طبعة بيروت).

(٤) البقرة/ ١ــ٤.

والانفاق ، كما في الايمان بكل حق ، دون ان يفرقوا بين حق وآخر.

٩/ وهذه أيضاً صفات الصالحين ، ذلك ان الصلاح هو السلوك الامثل ، والمؤمنون هم اصحاب هذا السلوك ، يقول ربنا سبحانه عن صفات الصالحين ، والتي تشترك مع صفات المؤمنين :

«ليسوا سواءً من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين»[١].

١٠ ــ وبما ان المعرفة بالله وبأسماءه وآياته شرط الايمان ، وأن الايمان يكشف الحجب عن الفؤاد فيزداد هدى ، فإن المؤمنين هم الراسخون في العلم ، يقول الله سبحانه عن صفاتهم التي تشترك مع صفات المؤمنين أيضاً :

«لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون ، يؤمنون بما انزل اليك ، وما أنزل من قبلك ، والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة ، والمؤمنون بالله واليوم الآخر ، أولئك سنؤتيهم اجراً عظيماً»[٢].

١١ ــ والمؤمن هو الذي يزداد ايماناً عند مواجهة الأخطار ، لانه في تلك اللحظة يذكر الله كثيراً ، ويتذكر اسماءه الحسنى ، ويدعوه ، ويتوكل عليه ، وهذه الاعمال تزيده ايماناً ، قال الله تعالى :

«الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل»[٣].

١٢ ــ والمؤمن حقاً هو الذي يكون مشكاة لنور ربه ، فينظر الى الحياة بذلك النور ، ويمشي بين الناس بذلك النور ، ولا تسلبه ضرورات الحياة ذكر الله والتبتل اليه . دعنا نتدبر في الآيات التالية ، لنعرف الرجال المؤمنين حقاً ، ونتعرف ـعبرهمـ الى حقائق

---

(١) آل عمران/ ١١٣ــ١١٤ .

(٢) النساء/ ١٦٢ .

(٣) آل عمران/ ١٧٣ .

الايمان يقول الله تعالى :

«في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار»[1] .

١٣ ــ ومن صفاتهم ، انهم يبيعون انفسهم لله بالجنة ، وهذه البيعة الرابحة ، تجعلهم في حالة انابة وعبادة وحمد وسياحة (في سبيل الله) وركوع وسجود ، والتصدي لشؤون الامة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظة على حدود الله (واحكامه) قال الله تعالى :

«ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين»[2] .

علامات المؤمن :

كانت تلك طائفة من صفات المؤمنين ، وهي -بالتالي- مثلّت علامات الايمان ايضاً ، وفي الآيات التالية نقرأ سائر تلك العلامات ، التي لو تدبرنا فيها عكست لنا صورة واضحة لحقيقة الايمان من خلال شخص مؤمن .

١ ــ فالمؤمنون هم الذين يقومون بواجبهم السياسي والاجتماعي ، سواء كان الهجرة او نصرة المهاجرين حسب الظروف الخاصة لكل فئة ، قال الله تعالى :

«والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً»[3] .

---

(١) النور/ ٣٦-٣٧ .

(٢) التوبة/ ١١١ــ١١٢ .

(٣) الانفال/ ٧٤ .

٢ ــ ومن علامات المؤمن انه لا يرتاب (عند مواجهة الصعاب ولا ينهزم بل تراه) يجاهد بالمال والنفس في سبيل الله.

قال الله تعالى: «انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله»[1].

٣ ــ ومن علامات المؤمن تواصيه بالصبر (فهو يصبر ويأمر اصحابه به، بعكس المنافق الذي يثير الهلع فيمن حوله) كما يوصي المؤمن بالمرحمة.

قال الله تعالى: «ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك اصحاب الميمنة»[2].

٤ ــ ومن علامات المؤمنين الثقة بالله، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لانهم آمنوا بالله واتقوه ـ والله يحمي من يؤمن به ـ، وتقواهم كانت درعاً لهم دون السيئات، وموجبات الهلاك.

قال الله تعالى: «الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون»[3].

٥ ــ ومن صفاتهم انهم يشكلون التجمع الالهي فوق الارض، فبعضهم ولي بعض (فأخوة الايمان تحيط بهم حصناً حصيناً) وهم يحافظون على القيم الايمانية بينهم بالتواصي بها وكذلك عبر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون قيادتهم الربانية، يقول الله سبحانه:

«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم»[4].

٦ ــ ومن صفاتهم الاجتماعية الصبر، ودرء السيئة بالحسنة، والانفاق والاعراض

---

(١) الحجرات/ ١٥.

(٢) البلد/ ١٧.

(٣) يونس/ ٦٢-٦٣.

(٤) التوبة/ ٧١.

عن اللغو، ورد الجاهلين بالسلام ، قال الله تعالى :

«الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ، ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ، واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه ، وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين»(١) .

٧ ــ ومن صفاتهم الاجتماعية (والسياسية ان قراراتهم شجاعة فهم) يتوكلون على ربهم (وصبغة حياتهم الطهر من الرذائل) ويجتنبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن (ويتحلون بالفضائل وانهم) اذا غضبوا يغفرون وانهم يستجيبون لربهم (ويطيعون الرسول) ويقيمون الصلاة وامرهم شورى بينهم (وهذه صبغة قراراتهم في امورهم الحياتية) ومما رزقهم الله ينفقون (وان لهم العزة بالله فلا يرتضون لانفسهم حياة الهوان) واذا اصابهم البغي ينتصرون (ويقاومون الظلم) .

قال الله تعالى : **«فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وابقى ، للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ، والذين إذا اصابهم البغي هم ينتصرون»**(٢) .

٨ ــ ومن صفاتهم الاجتماعية (السياسية) انهم اشداء على الكفار رحماء بينهم (لان علاقاتهم الاجتماعية ناشئة من حبهم لربهم وتبتلهم اليه) قال الله تعالى :

«محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار، رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من اثر السجود»(٣) .

٩ ــ وفاتحة سورة المؤمنون ، كما خاتمة سورة الفرقان ، تفيض بآيات الايمان وصفات المؤمنين المثلى ، ولعلها تعرفنا بالدرجات العلى من الايمان ، دعنا نتلوا اولاً فاتحة سورة «المؤمنون» التي تبشر بالفلاح لهم ، وتجمع بين صفاتهم الروحية والاجتماعية

(١) القصص/ ٥٢-٥٥ .

(٢) الشورى/ ٣٦-٣٩ .

(٣) الفتح/ ٢٩ .

والخلقية، والتي ذكرت الآيات الاخرى بمفرداتها، وهي هنا مجتمعة تقريباً (كما في ختام الفرقان) قال الله تعالى:

«قد افلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون، الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون»[1].

فإلى جنب الخشوع في الصلاة (التي تمثل صلتهم بربهم)، تجد الاعراض عن اللغو (التي هي صفة اجتماعية)، والزكاة (التي تحدد ايضاً علاقاتهم بالآخرين وهي؛ علاقة العطاء)، اما حفظ الفروج فهو ـ من جهة ـ تمثل سلوكهم الطاهر، ومن جهة ثانية تمثل رعايتهم لحقوق الاخرين، والتي منها رعايتهم لكلمتهم امام الآخرين، برعاية اليمين والعهد.

١٠ ـ وفي ختام سورة الفرقان التي ذكرتنا آياتها بالقرآن الكريم، نجد ذلك الفريق الذي صنعه القرآن ويسميهم ربنا بـ(عباد الرحمن)، ونجد جملة من صفاتهم التي لو تدبرناها جميعاً، لارتسمت لدينا صورة عن ذلك النور الذين يشع في افئدتهم، وهو نور القرآن ونور الايمان قال الله تعالى:

«وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، والذين يبيتون لربهم سجّداً وقياماً، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً، انها ساءت مستقراً ومقاماً، والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً، والذين لا يدعون مع الله الـهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق، ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً، الا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفوراً رحيماً، ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب الى الله متاباً، والذين لا يشهدون الزور واذا مرّوا باللغو مرّوا

---

(١) المؤمنون/ ١-١١.

كراماً ، والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً ، والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين اماماً ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً»[١].

وبالتأمل في هذه الآيات المباركة ، التي تصف عباد الرحمن -الذين تمت عبوديتهم لله ، واكتملت نفوسهم بها- نجد القيم الايمانية مجتمعة ، بالرغم من ان سياقها يختلف عن سياق سائر الآيات ، التي ذكرت بها ، ولكنها تشع من مشكاة واحدة .

فهنا الحديث عن العبودية ، واظهر تجلياتها التواضع ، وان يمشوا على الارض هوناً ، فلا تكبر ولا غرور، ولا بطر ولا تعالي ، وتظهر تجليات ذلك الخلق الرفيع في قولهم سلاماً رداً على لغو الجاهلين .

اما جوهر تلك العبودية فهو: يتجلى في تهجدهم بالليل وخوفهم من عذاب جهنم .

وفي سلوكهم يظهر التعادل ، فتراهم لا يسرفون ولا يقترون عند الانفاق (مما تدل على صفة العبودية في انفسهم ، حيث انهم يخضعون لهدى عقلهم ، وليس لاهواءهم في قراراتهم الاقتصادية والحياتية) .

وتتجلى عبوديتهم لله في حياتهم السياسية ، عند دخولهم في ولاية الله ، وعدم خضوعهم للطاغوت ولأية آلهة تعبد من دون الله ، وكذلك عند تقيدهم بحقوق الاخرين ، وابرزها حرمة النفس والعرض .

واما في المجال الاجتماعي ، فشهادتهم لله وللحق ، ولا تكون ابداً شهادة زور ، وسلوكهم الحق ، فتراهم اذا مروا باللغو (والباطل بأقسامه من الغناء والفحش والجدال وما اشبه) فأنهم يمرون كراماً (يربأون بأنفسهم عنه) .

وفي الثقافة تتجلى عبوديتهم لله ، بقبولهم للقول الحق ، فاذا ذكروا بآيات ربهم ، استمعوا اليها ، وانتفعوا بها ، ولم يصموا آذانهم عنها .

وهم -الى كل ذلك- يتطلعون الى ذروة التكامل ، وهكذا يريدون لذريتهم افضل الحياة ، ويدعون ربهم ان يجعلهم للمتقين اماماً (ذروة في التقوى) .

---

(١) الفرقان/ ٦٣-٧٥ .

وكل هذا الايمان، الذي وفقوا له، كان بفضيلة الصبر، أليس الصبر من الايمان كالرأس من الجسد، -حسبما- جاء في الحديث المعروف، وهو اول دعائم الايمان كما قال الامام أمير المؤمنين -عليه السلام- في الحديث الذي مرت الاشارة الى فقراته..

حب الله دليل الايمان:

في الفصل الماضي بينا جوامع علائم الايمان. وفيما يلي نشير الى ابرز مفردات هذه العلائم -التي نرجو ان نتدبر فيها حتى تصبح حقيقة الايمان ظاهرة لنا-.

١/ ومن ابرزها حب الله سبحانه. وحب الله هو الحالة النفسية التي يستفيدها الانسان من الايمان ومعرفة الله سبحانه باسماءه الحسنى، وعن حب الله نقرأ قوله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، اذلة على المؤمنين، اعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم»[١].

ولعل الفرائض التي يمارسها المؤمن انبعاثاً من حبه لله، اشد ثباتاً وايسر عملاً، وانقى خلوصاً من غيرها، وهكذا نجد «حب الله» يرفع المؤمن الى درجة الجهاد في سبيل الله في اصعب الظروف (مثل ظروف الردة الجماعية) ويتحدى لومة اللائمين، كما في الآية السابقة. كما ان حب الله يجعل اتباع نبي الله سهلاً ميسوراً، بالرغم من ان ذلك اصعب شيء على النفس البشرية، من هنا يقول الله سبحانه:

«قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم»[٢].

٢ ـــ وللحب درجات وقد يبلغ بصاحبه الى درجة الوله، حيث يبلغ بعض المؤمنين مستوى الشوق الى لقاء الله ولو كان بينه وبينهم الموت.

وعن الحب الشديد يقول الله تعالى: «ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حباً لله»[٣].

---

(١) المائدة/ ٥٤.

(٢) آل عمران/ ٣١.

(٣) البقرة/ ١٦٥.

ولعل آية هذا الحب الشديد، هو حب أولياء الله واتباعهم، وقد تناولت الأحاديث الشريفة مسألة الحب الالهي بإسهاب :

ألف ــ وهكذا جاء في الحديث الشريف عن محمد بن علي عن الفضيل قال : قلت لأبي الحسن -عليه السلام-: أي شيء افضل ما يتقرب به العباد الى الله فيما افترض عليهم؟ فقال : (افضل ما يتقرب به العباد الى الله طاعة الله وطاعة رسوله وحب الله وحب رسوله وأولي الأمر)، وكان ابو جعفر -عليه السلام- يقول : (حبنا ايمان وبغضنا كفر)[1].

باء - وكان انبياء الله -عليهم السلام- اشد حباً لله تعالى، فقد روي عن انس قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (بكى شعيب -عليه السلام- من حب الله عزوجل حتى عمي، فرد الله عزوجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد عليه بصره، فلما كانت الرابعة اوحى الله اليه، يا شعيب الى متى يكون هذا ابدا منك؟ ان يكن هذا خوفاً من النار فقد اجرتك، وان يكن شوقاً الى الجنة فقد أبحتك، فقال : الهي وسيدي انت تعلم اني ما بكيت خوفاً من نارك، ولا شوقاً الى جنتك، ولكنْ عقد حبك على قلبي فلست اصبر أو أراك فأوحى الله جل جلاله اليه : اما اذا كان هذا هكذا، فمن اجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران)[2].

جيم ــ وان في اولياء الله أيضاً من بلغ درجة الحب، فقد جاء في الحديث المأثور عن الامام الصادق -عليه السلام- انه قال : (ان أولي الالباب الذين عملوا بالفكرة حتى ورثوا منه حب الله، فان حب الله اذا ورثه القلب، واستضاء به، اسرع اليه اللطف، فاذا نزل (منزلة) اللطف صار من اهل الفوائد، فاذا صار من اهل الفوائد تكلم بالحكمة فصار صاحب فطنة، فاذا نزل منزلة الفطنة، عمل في القدرة، فاذا عمل في القدرة، عرف الاطباق السبعة، فاذا بلغ هذه المنزلة، صار يتقلب -في فكره- بلطف وحكمة وبيان، فاذا بلغ هذه المنزلة، جعل شهوته ومحبته في خالقه، فاذا فعل ذلك نزل المنزلة

---

(١) بحار الانوار ج٢٧/ ص٩١ الرواية ٤٩ (طبعة بيروت).

(٢) المصدر ج١٢/ص٣٨٠ الرواية ١ (طبعة بيروت).

الكبرى، فعاين ربه في قلبه، وورث الحكمة بغير ما ورثه الحكماء، وورث العلم بغير ما ورثه العلماء، وورث الصدق بغير ما ورثه الصديقون، ان الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت، وان العلماء ورثوا العلم بالطلب، وان الصديقين ورثوا الصدق بالخشوع وطول العبادة، فمن اخذه بهذه السيرة اما ان يسفل واما ان يرفع، وأكثرهم الذي يسفل ولا يرفع اذ لم يرع حق الله ولم يعمل بما امر به، فهذه صفة من لم يعرف الله حق معرفته ولم يحبه حق محبته، فلا يغرنك صلاتهم وصيامهم ورواياتهم وعلومهم فانهم حمر مستنفرة)[1].

دال ــ وشرط حب الله، تطهير القلب من حب الدنيا، فقد جاء في وصايا النبي عيسى بن مريم -عليه السلام- انه قال: (بحق اقول لكم، ان العبد لا يقدر على ان يخدم ربين، ولا محالة انه يؤثر أحدهما على الآخر وان جهد، كذلك لا يجتمع لكم حب الله وحب الدنيا)[2].

ولكي يصل الانسان الى حب الله، فلابد ان يقوم بتطبيق الوصايا التي بينها الانبياء -عليهم السلام- كما قال عيسى بن مريم -عليه السلام- لبني اسرائيل: (ان اردتم ان تكونوا احباء الله واصفياء الله، فأحسنوا الى من اساء اليكم، واعفوا عمن ظلمكم، وسلموا على من اعرض عنكم، اسمعوا قولي واحفظوا وصيتي، وارعوا عهدي كيما تكونوا علماء فقهاء)[3].

هاء ــ وقال امير المؤمنين -عليه السلام-: (ان اطيب شيء في الجنة وألذه، حب الله والحب لله، والحمد لله، قال عزوجل: «وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين» وذلك انهم اذا عاينوا ما في الجنة من النعيم، هاجت المحبة في قلوبهم فينادون عند ذلك: ان الحمد لله رب العالمين)[4].

---

(١) بحار الانوار ج٣٦/ ص٤٠٣ الرواية ١٥ (طبعة بيروت).
(٢) المصدر ج١٤/ص٣٠٧ (طبعة بيروت).
(٣) المصدر ج١٤/ص٣٠٦ (طبعة بيروت).
(٤) المصدر ج٦٦/ص٢٥١ الرواية ٣٠ (طبعة بيروت).

حب الذات دليل ضعف الايمان

١ ـــ ولان الايمان تجاوز للذات فان من ضعف ايمانه ، أهمته نفسه ، وغرته الظنون والتخيلات ، وانشغل بالاهداف المادية عن رحاب الغايات المعنوية ، قال الله تعالى :

«وطائفة قد اهمتهم انفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل ان الأمر كله لله»(١) .

هكذا ترى هؤلاء كانوا يحبون أنفسهم أشد من حبهم لدينهم ففشلوا وانهزموا .

٢ ـــ وهؤلاء يحبون ان يكال لهم المديح لشدة حبهم لذواتهم ، وهو دليل ضعف ايمانهم .

قال الله تعالى : «لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم»(٢) .

٣ ـــ فهذه صفات مخالفة لحقيقة الايمان ، وهي الخروج عن الذات ، من هنا تجدها عند من ضعف ايمانه حيث تشغله نفسه وامواله وأولاده عن ذكر الله ، بينما المؤمن ـ حقاً ـ لا يأسى لما يفقده ، ولا يفرح بما يجده ولا يلهيه شيء عن ذكر ربه .

قال الله تعالى : «لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم»(٣) .

---

(١) آل عمران/ ١٥٤ .

(٢) آل عمران/ ١٨٨ .

(٣) الحديد/ ٢٣ .

٤ ــ ومن هنا نهى ربنا المؤمنين من الانشغال بالمال والولد عن ذكر الله،وقال سبحانه : «يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون»[1].

الايمان بكل الحق :

ومن علائم الايمان العامة ، الايمان بالحق كله ، ذلك لان حقيقة الايمان التسليم للحق ، ورفض اهواء الذات في انتخاب بعض الحق دون بعض ، -وبالتالي- التسامي الى درجة التجرد والموضوعية ، واتباع العقل والعلم . اقول : لان حقيقة الايمان ذلك ، فان الايمان لا يتجزأ فأما الايمان بكل حق او لا ايمان ، ويكذب الذين يتخذون اهواءهم آلهة فيؤمنون ببعض الكتاب الذي يوافق اهواءهم ، ويكفرون بما لا يوافق اهواءهم ، انهم لم يؤمنوا بأي شيء وانما اتبعوا اهواءهم ومن هنا فان علامة الايمان الحق ؛ التصديق بكل الرسل والآيات وعدم تجزءتها .

١ ــ وهذا ما نستوحيه من الآية التالية التي وردت في أهل الكتاب الذين زعموا بأنهم يؤمنون بالأنبياء السابقين ولكنهم كفروا بالرسالة الخاتمة ، فقال الله تعالى :

«قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»[2].

ومن هنا يتجلى الايمان بأبعد صوره ، حيث ان الايمان الحق هو الايمان الذي يتدرج من الايمان بالله واليوم الآخر الى الايمان بكل الرسل ، وفي طليعتهم خاتم الرسل هو نبينا محمد -صلى الله عليه وآله- وخاتم الكتب هو كتاب القرآن .

٢ ــ واذا زعم احد انه يؤمن بالله تعالى ، ولكنه لم يؤمن برسوله ، فانه يخالف ميثاق الايمان .

قال الله تعالى : «واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا

---

(١) المنافقون/ ٩ .

(٢) التوبة/ ٢٩ .

مسلمون»(٤).

٣ ــ وهذا الايمان الشامل، يفتح آفاق النصر الالهي أمام المؤمنين، حيث يقول الله تعالى: «وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضاً حسناً»(١).

هذه الآية تؤكد بان الايمان ينبغي ان يكون ايماناً بكل الرسل دون تفريق بينهم.

٤ ــ ومن هنا كان من علامة المتقين الايمان الشامل، قال الله تعالى:

«والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون»(٢).

٥ ــ وحتى ما لا يستوعبه عقل البشر من الحقائق الثابتة يصدق به المؤمنون الراسخون في العلم، وهكذا تراهم يعلنون تسليمهم للآيات المتشابهة قال الله تعالى: «يقولون آمنا به كل من عند ربنا»(٣).

اتباع الحق لا الاهواء:

١ ــ قال الله تعالى: «ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض، منها اربعة حرم، ذلك الدين القيم، فلا تظلموا فيهن انفسكم. وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة، واعلموا ان الله مع المتقين، انما النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، زين لهم سوء اعمالهم، والله لا يهدي القوم الكافرين»(٤).

يبين القرآن هنا بعض علامات الايمان الحق، ليفصل بينه وبين المزاعم الايمانية التي يتشبث بها البعض، ويخفون وراءها اعمالهم السيئة، من تلك العلامات: اتباع هدى الله والتسليم له، وعدم تحوير الحقائق الايمانية لتطابق مع الاهواء والشهوات، و

---

(١) المائدة/ ١١١.

(٢) المائدة/ ١٢.

(٣) البقرة/ ٤.

(٤) آل عمران/ ٧.

(٥) التوبة/ ٣٦-٣٧.

-بالتالي- المؤمنون هم اصحاب البصائر، الذين ينظرون بنور الله، لانهم يسلمون بأمر الله، ولا يريدون توفيق اوامر الله مع اهواءهم، وانما يخضعون اهواءهم لما اراد الله، ويضرب القرآن الكريم مثلاً من قصة الجاهليين الذين نسئوا الاشهر الحرم، فإذا أرادوا الحرب في واحد منها، اخروا الشهر الحرام وحاربوا في الشهر الذي ارادوا، فاذا كانت من مصلحتهم الحرب في شهر محرم -مثلاً- قالوا ان هذا شهر صفر، فجعلوا شهر صفر هو شهر محرم، لكي يجعلوا -من جهة- اهواءهم هي السائدة، وليحققوا -من جهة ثانية- مصالحهم ومطامعهم، ثم لكي يرضوا ضمائرهم، او البسطاء منهم بانهم لايزالون يتقيدون باحكام الله، وانهم يلتزمون بان الاشهر المحرمة هي اربعة، وبهذا كانوا يحورون احكام الله. حقاً انها رذيلة شائعة، حيث ان كل من لم يرد الخضوع لاحكام الله يحاول تغييرها حتى تطابق مصالحه واهواءه، لذلك كثرت التفسيرات والتأويلات التي نجدها شائعة بين الناس وهي التي تحرف قيم الحق، واحكام الله والنصوص الشرعية.

وهكذا نجد تجلياً من تجليات الايمان هو التبصر بنور الايمان وتحديد المواقف وفق الايمان وليس وفق الاهواء. وفي الآية -ايضاً- اشارة الى ان هدى الله انما يؤتى الذين يسلمون لامر الله، اما الذين يظلمون انفسهم في الاشهر الحرم فان الله لا يهديهم، ويعتبرهم القرآن هم القوم الكافرين.

وهكذا حذرت النصوص الشرعية من اتباع الهوى فقد روي عن الامام علي -عليه السلام- عن النبي -صلى الله عليه وآله-: (وأن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً الى الله فاستجاب له واطاع الله فدخل الجنة، وادخل الداعي الى النار بتركه علمه واتباعه هواه، وعصيانه لله، انما هما اثنان: اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، واما طول الامل فينسي الآخرة)[1].

عقبى الايمان؛ الهدى والفلاح:

١ ــ تلك كانت حقائق الايمان، اما عاقبة المؤمنين فهي الهدى والفلاح اللذين

(١) بحار الانوار ج٢/ ص٣٥ الرواية ٣٧ (طبعة بيروت).

يقول عنها ربنا سبحانه (بعد ذكر صفات المتقين) :

«أولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون»[1].

٢ ــ والهدى لا يقتصر على استقامة الفطرة ونور العقل وروح الارادة فقط ، بل قد يتجلى في صورة تأييد مباشر عبر رؤية برهان الله ، او ملكوته وحتى نزول روح القدس عليه ، يقول ربنا :

«ولقد همت به وهم بها ، لولا ان رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين»[2].

٣ ــ فاذا اخلص الانسان لله سبحانه وتعالى واستجار به فان الله ينصره في اللحظات الصعبة ، قال الله تعالى : «ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً»[3].

٤ ــ وقال الله تعالى : «وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين»[4].

٥ ــ وهذا التأييد يتحقق عند المؤمنين في صورة تثبيتهم على الصراط المستقيم حيث يقول ربنا تعالى : «يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم»[5].

٦ ــ وبالذات عند مواجهة الاعداء حيث تتزلزل النفوس ، يقول ربنا سبحانه :

«اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا»[6].

٧ ــ ويتحقق الفلاح الاعظم في الآخرة حيث يقول ربنا سبحانه : «ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون»[7].

٨ ــ وقال الله تعالى : «ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون»[8].

ونحن حين نطلع ـعبر نافذة الكتابـ على عقبى المؤمنين في الجنة ، وعقبى الكفار في النار نتبصر حقائق شتى :

---

(١) البقرة/ ٥ .

(٢) يوسف/ ٢٤ .

(٣) الاسراء/ ٧٤ .

(٤) الانعام/ ٧٥ .

(٥) محمد/ ٧ .

(٦) الانفال/ ١٢ .

(٧) يوسف/ ٥٧ .

(٨) النحل/ ٤١ .

الاولى : ان تينك العقبيين ، هما التجسيد الاصدق والاوضح لما يعيشه الفريقان في الدنيا ، بيد أن الدنيا بما هي دار فتنة وبلاء قد تخفى فيها الحقائق ، او يخفيها الناس بتكذيبهم ودجلهم ، او الشيطان بتزيينه ، بينما الاخرى دار البلاء ، والكشف والفضيحة ، فلا يخفى هنالك خافية ، ومن إطلع -بعين القرآن- على الآخرة تبصر الحقائق في الدنيا ايضاً .

الثانية : ان الايمان عزمة الروح ، وارادة القلب . ولا يبلغها الانسان الا بهزة عنيفة ، ونفضة عاتية . وآيات الذكر التي تبين عاقبة الايمان الحسنى ، ونهاية الكفار السوئى ، توفر افضل فرصة للتذكرة ، لعل الروح تعزم ، ولعل النفس تنتفض ، ويستيقظ العقل بعد سبات طويل .

الثالثة : عبر مشاهدة الصور الحية ، للقيم المثلى المتجسدة في حياة اهل الجنة (مثل التحابب) وثم رؤية الصور الحية للقيم المضادة (مثل التلاعن في نار جهنم) نكتشف بصورة واضحة طبيعة هذه القيم ، مثل حسن التحابب وقبح التباغض .

تولي أولياء الله :

١ ـــ وتتجلى حقيقة الايمان في الحياة الاجتماعية للانسان في صورة الولاية التي جذرها معايشة المؤمن لسائر المؤمنين في دار الايمان ، وتحت خيمة الولاية الالهية ، (حب الله والحب في الله) اما بنيانها فهو طاعة ولي الله ، طاعة واعية منبعثة عن روح الايمان .

قال الله تعالى : «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض»[١] .

وهذه الولاية الايمانية تشمل الذين قد تزدريهم اعين الناس ، والامتحان الصعب هو في تجاوز حالات الطبقية والعنصرية أو أي نوع من التميز لبلوغ ولاية الايمان الشاملة لكل الناس الذين تجمعهم هذه الولاية -ان كانوا- من طبقة اضعف او عنصر ادنى ، وقد أكدت السنة الشريفة على هذه الولاية .

ألف ـــ فقد قال أبو عبدالله -عليه السلام- : (انما المؤمنون اخوة ، بنو أب وأم ، واذا

---

(١) التوبة/ ٧١ .

ضرب على رجل منهم عرق، سهر له الآخرون) [1].

باء ــ وجاء في حديث شريف عن النبي -صلى الله عليه وآله- انه قال: (ايها الناس، انما المؤمنون اخوة ولا يحل لمؤمن مال أخيه الا من طيب نفس منه؛ ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فلا ترجعن (بعدي) كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فاني قد تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم قال: فليبلغ الشاهد الغائب) [2].

جيم ــ ولعله الى ذلك تشير الرواية المأثورة عن الامام الصادق -عليه السلام- انه قال:

(لا دين لمن دان بولاية امام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عدل من الله.

قال: قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء؟ فقال: نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء، ثم قال: أما تسمع لقول الله: «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور» يخرجهم من ظلمات الذنوب الى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل امام عادل من الله، قال الله: «والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات».

قال: قلت: أليس الله عنى بها الكفار حين قال: «والذين كفروا» قال: فقال: واي نور للكافر وهو كافر فاخرج منه الى الظلمات؟ انما عنى الله بهذا انهم كانوا على نور الاسلام فلما ان تولوا كل امام جائر، ليس من الله، خرجوا بولايتهم اياهم من نور الاسلام الى ظلمات الكفر، فأوجب لهم النار مع الكفار فقال: «أولئك اصحاب النار

(١) بحار الانوار ج٧١/ ص٢٦٤ الرواية ٤ (طبعة بيروت).

(٢) بحار الانوار ج٧٣/ ص٣٥٠ الرواية ١٣ (طبعة بيروت).

هم فيها خالدون»[1] .

٢ ـــ قال الله تعالى : «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين»[2] .

وواضح ان هذه الآية تبين ان من يتخذ موقفاً سلبياً من المؤمنين بسبب بعض افعالهم التي لا تناسبهم انه يكون من الظالمين .

٣ ـــ وقال الله تعالى : «واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم»[3] .

من هذه الآية نستفيد ان الموقف من المؤمنين الذين تنسجم حياتهم مع الرسالة يجب ان يكون موقفاً ايجابياً ، حتى ولو بدرت منهم بعض البوادر السيئة ، كما لو انهم عملوا سوءاً بجهالة ثم تابوا من بعده واصلحوا هنالك يجدون الله غفوراً رحيماً .

٤ ـــ وقال الله تعالى : «ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم»[4] .

٥ ـــ والبراءة من اعداء الله (الذين يرفضون الايمان) هي الوجه الآخر لولاية اولياء الله ، حيث يقول ربنا سبحانه :

«ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيض ، قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور»[5] .

لا بد من تبادل الحب ، اما ان تحب احداً ولا يحبك فهو ضلال ، والكفار لا يحبون المؤمنين ، فلا يجوز توثيق الصلة بهم .

---

(١) بحار الانوار ج٦٩/ ص١٣٥ الرواية ١٩ (طبعة بيروت) .

(٢) الانعام/ ٥٢ .

(٣) الانعام/ ٥٤ .

(٤) النحل/ ١١٩ .

(٥) آل عمران/ ١١٩ .

٦ ــ ومن ابعاد الولاية الايمانية : خلوصها ونقاءها ، وبالتالي عدم الازدواجية بينها وبين اتخاذ الولائج غير الايمانية . حيث نهانا الله عن ذلك وقال :

«ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ، والله خبير بما تعملون»[1] .

٧ ــ وهكذا امرنا الله ان نصف في جبهة الصادقين وقال الله تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»[2] .

وهكذا كان من القيم ان يختار الانسان جبهته اختياراً واعياً .

٨ ــ وعلى الانسان ان يدعو الله بان يلحقه -بعد الوفاة- بالصالحين،حيث تستمر ولاية الله الايمانية من الدنيا الى الآخرة حيث يقول ربنا سبحانه :

«فاطر السموات والارض انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين»[3] .

وقال الله سبحانه : «وتوفنا مع الابرار»[4] .

وجاء في حديث مروي عن احمد بن محمد قال : سألت الرضا -عليه السلام- عن قول الله عزوجل : «يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» قال : (الصادقون الائمة ، الصديقون بطاعتهم)[5] .

الطاعة دليل الولاية :

١ ــ والطاعة لله والرسول وأولي الأمر من حقائق الايمان ، وهي عمود الولاية ومحور نظامها الاجتماعي يقول الله تعالى :

---

(١) التوبة/ ١٦ .

(٢) التوبة/ ١١٩ .

(٣) يوسف/ ١٠١ .

(٤) آل عمران/ ١٩٣ .

(٥) بحار الانوار ج٢٤/ ص٣١ الرواية ٥ (طبعة بيروت) .

«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون»[1].

في هذه الآية يبين السياق العلاقة بين الايمان وبين الطاعة الواعية، التي هي طاعة الذين يسمعون القول ويعقلونه، ولا يعرضون عن آيات الله، ويستجيبون له ويعرفون -بوجدانهم- الحقائق.

٢ ـــ قال الله تعالى: «واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين»[2].

٣ ـــ ثم يبين السياق القرآني قيمة اخرى هي: قيمة الطاعة لله وللرسول، ومعروف ان هذه القيمة التي تتصل من جهة بالإيمان، وتتصل -من جهة اخرى- بقيمة الوحدة، هذه القيمة هي نتيجة الايمان، حيث ان الطاعة هي ثمرة معرفة الله والايمان به، ومعرفة الرسول والايمان به.

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم»[3].

٤ ـــ وقال الله تعالى: «واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون»[4].

٥ ـــ وقال الله تعالى: «واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا»[5].

٦ ـــ وقال الله تعالى: «فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله»[6].

وجاء في رواية مأثورة عن الامام الصادق -عليه السلام- انه قال: (أنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا، ولا تعرفون حتى تصدقوا، ولا تصدقون حتى تسلموا).

اربعة[7] لا يصلح اولها الا باخرها، ضل اصحاب الثلاثة[8] وتاهوا تيهاً بعيداً،

---

(١) الانفال/ ٢٠.

(٢) الانفال/ ٤٦.

(٣) النساء/ ٥٩.

(٤) آل عمران/ ١٣٢.

(٥) المائدة/ ٩٢.

(٦) الانفال/ ١.

(٧) اي الصلاح والمعرفة والتصديق والتسليم.

(٨) اي لا صلاح من دون التسليم والطاعة، واصحاب الثلاثة هم الذين فقدوا الباب الرابع وهو التسليم.

ان الله تبارك وتعالى لا يقبل الا العمل الصالح ، ولا يتقبل الا بالوفاء بالشروط والعهود ومن وفى لله بشروطه ، واستكمل ما وصف في عهده ، نال مما عنده ، واستكمل وعده ، ان الله عزوجل اخبر العباد بطرق الهدى ، وشرع لهم فيها المنار، وأخبرهم كيف يسلكون ، فقال :

«واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى»[١] .

وقال : «انما يتقبل الله من المتقين»[٢] فمن اتقى عزوجل فيما أمره ، لقي الله عزوجل مؤمناً بما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ .

هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل ان يهتدوا فظنوا أنهم آمنوا وأشركوا من حيث لا يعلمون ، إنه من اتى البيوت من أبوابها اهتدى ، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى ، وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله ، وطاعة رسوله بطاعته ، فمن ترك طاعة ولاة الامر لم يطع الله ولا رسوله ، وهو الاقرار بما نزل من عند الله «خذوا زينتكم عند كل مسجد»[٣] والتمسوا البيوت التي «أذن الله ان ترفع ويذكر فيها أسمه»[٤] فإنه قد خبّركم أنهم «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار»[٥] .

ان الله قد استخلص الرسل لامره ، ثم استخلصهم مصدقين لذلك في نذره فقال «وان من امة الا خلا فيها نذير» تاه من جهل ، واهتدى من أبصر وعقل ، إن الله عزوجل يقول : «فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» وكيف يهتدي من لم يبصر، وكيف يبصر من لم ينذر، اتبعوا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ، وأقروا بما أنزل الله عزوجل ، واتبعوا آثار الهدى فانها علامات الامانة والتقى ، واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى بن مريم وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن ، اقتصوا الطريق بالتماس المنار، والتمسوا

---

(١) طه/ ٨٢ .

(٢) المائدة/ ٢٧ .

(٣) الاعراف/ ٣١ .

(٤) النور/ ٣٦ .

(٥) النور/ ٣٧ .

من وراء الحجب الآثار، تستكملوا أمر دينكم، وتؤمنوا بالله ربكم)[1].

الايمان حقيقة لا شعائر:

١ ــ ولان الايمان وقر في القلب، وسلوك وموقف، فان الشعائر لا قيمة ذاتية لها الا بقدر احتوائها لقيمة الايمان، فاذا تعددت المذاهب فان المهم مقدار ما يلتزم الانسان فيها من ايمان، يقول الله تعالى: «ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[2].

من هذه الآية التي تكررت بصيغة قريبة في (الانعام/٤٨) و (البقرة/٦٢) نستوحي ان الايمان هي القيمة الاساسية وسائر الكلمات والحروف والشعارات والالفاظ والانتماءات ليست بذات أهمية اذا توفرت هذه القيمة، حيث ان الله سبحانه وتعالى يقول: «ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر».

-اذن- سواءاً الذين آمنوا بهذه الرسالة او بسائر الرسالات اذا اخلصوا ايمانهم وعملوا صالحاً، -وبالتالي- اعترفوا بكل حق، فانهم -بالتالي- لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

٢ ــ وهكذا تتحدد الولاية الالهية بالانتماء الايماني والعملي وليس بالانتماء النسبي او الاسمي، قال الله تعالى:

«ان اولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه، وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين»[3].

وفي المجمع: قال أمير المؤمنين: (ان أولى الناس بالأنبياء اعملهم بما جاؤوا به)، ثم تلا هذه الآية (التي قرأناها آنفاً) وقال: (ان ولي محمد -صلى الله عليه وآله- من اطاع الله، وأن بعدت لحمته. وان عدو محمد من عصى الله، وان قربت لحمته)[4].

٣ ــ ويؤكد القرآن هذه الحقيقة -مرة اخرى- عند الحديث عن أهل الكتاب حيث

---

(١) بحار الانوار ج٦٦/ص١٠-١١ رواية ١٢ (طبعة بيروت).

(٢) المائدة/ ٦٩.

(٣) آل عمران/ ٦٨.

(٤) تفسير الميزان ج٣/ ص٢٧٢.

يقول ربنا سبحانه : «وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم»[1].

٤ ــ وحتى الاعراب الذين ينعتهم القرآن بأنهم اشد كفراً ونفاقاً ، قد يكونون مؤمنين فيقدر الله سبحانه لهم ذلك .

قال الله تعالى : «ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ، الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم»[2].

٥ ــ بل قد يثني ربنا على المؤمنين من أهل الكتاب ، ثناءاً عظيماً ، لانهم يؤدون فرائض الله ويقول سبحانه :

«ليسوا سواءً ، من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات ، وأولئك من الصالحين»[3].

٦ ــ وكذلك يتلو علينا كتاب الله في سورة الاسراء ؛ تذكرة بقيمة التوحيد ، ثم يذكرنا بسائر القيم الايمانية ، من الاحسان الى الوالدين ، وايتاء ذي القربى ، والاقتصاد في المعيشة ، واجتناب قتل الاولاد ، والفواحش وأكل أموال اليتامى ، ثم الوفاء بالعهد ، وايفاء الكيل ، والتقيد بالقسط والتواضع ، ثم يختم الحديث بقوله سبحانه :

«ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً»[4].

وكانت فاتحة هذه الآيات التي فاضت بالقيم الايمانية قوله سبحانه :

«لا تجعل مع الله الهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً»[5].

وهكذا كانت قيمة الايمان بالله وحده ؛ مصدر كل قيمة وينبوع كل فضيلة .

---

(١) آل عمران/ ١٩٩ .

(٢) التوبة/ ٩٩ .

(٣) آل عمران/ ١١٣-١١٤ .

(٤) الاسراء/ ٣٩ .

(٥) الاسراء/ ٢٢ .

الايمان ميزان القيم :

١ ــ ولان الايمان اصل كل قيمة سامية ، فان الاموال والاولاد لا تغني الكافرين من الله شيئاً ، يقول الله تعالى :

«ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً»(١) .

بل حتى السعي في سبيل الآخرة لا ينفع من دون الايمان ، قال الله تعالى :

٢ ــ «ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكوراً»(٢) .

فالايمان اذا شرط صحة السعي للآخرة .

٣/ أما الاعمال الظاهرية التي يزعم البعض انها تنفع شيئاً ، فهي مجرد اطر فارغة ، دعنا نرتل معاً قول ربنا سبحانه :

«ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، واقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون»(٣) .

ان جامع جوامع البر هو الايمان بكل الحقائق والقيم التي تفيض منه ، وحقيقة الايمان هي التسليم لكل كتبه ورسله وملائكته ، ومن حقائق الايمان ما أمر به الله من اقامة الصلاة والانفاق والوفاء والصبر، فاذا اكتملت حقائق الايمان في شخص فانه صادق في انتسابه الى الايمان ، وذلك هو البر.

٤ ــ اما القيام ببعض الاعمال الصالحة فلن يقاس بالايمان ، انى كانت عند الناس عظيمة ، قال الله تعالى :

«اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في

(١) آل عمران/ ١٠ .

(٢) الاسراء/ ١٩ .

(٣) البقرة/ ١٧٧ .

سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، اعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون»[1].

فبالرغم من أهمية سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الا انهما لن يكونا مثل الايمان بحقائقه وشروطه.

٥ ــ وهكذا يصبح الايمان العروة الوثقى التي من تمسك بها اضحى اقوى من كل شيء، قال ربنا سبحانه:

«فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى»[2].

وهكذا تواترت الاحاديث حول اهمية الايمان والمؤمن ولا يسعنا الا أن نستعرض بعضها:

ألف ــ عن عمار الساباطي: عن أبي عبدالله ـعليه السلام ـ انه سئل عن اهل السماء هل يرون اهل الارض؟ قال: (لا يرون الا المؤمنين، لان المؤمن من نور كنور الكواكب)، قيل: فهم يرون اهل الارض؟ قال: (لا ، يرون نوره حيث ما توجه)، ثم قال: (لكل مؤمن خمس ساعات يوم القيامة يشفع فيها)[3].

باء ــ وقيل لأبي عبدالله ـعليه السلام ـ: لم سمي المؤمن مؤمناً؟ قال: (لانه اشتق للمؤمن اسماً من اسمائه تعالى: فسماه مؤمناً، وانما سمي المؤمن لانه يؤمن من عذاب الله تعالى، ويؤمن على الله يوم القيامة فيجيز له ذلك، ولو أكل أو شرب او قام او قعد او نام أو نكح أو مر بموضع قذر، حوله الله من سبع أرضين طهراً، لا يصل اليه من قذرها شيء، وان المؤمن ليكون يوم القيامة بالموقف مع رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ فيمر بالمسخوط عليه المغضوب، غير الناصب ولا المؤمن، وقد ارتكب الكبائر، فيرى منزلة عظيمة له عند الله عزوجل، وقد عرف المؤمن في الدنيا وقضى له الحوائج فيقوم المؤمن اتكالاً على الله عزوجل فيعرفه بفضل الله فيقول: اللهم هب لي عبدك فلان أبن فلان، قال: فيجيبه الله تعالى الى ذلك.

قال: وقد حكي الله عزوجل عنهم يوم القيامة قولهم: «فما لنا من شافعين» من

(١) التوبة/ ١٩-٢٠.

(٢) البقرة/ ٢٥٦.

(٣) بحار الانوار ج٦٤/ ص٦٣ الرواية ٦.

النبيين «ولا صديق حميم» من الجيران والمعارف ، فاذا آيسوا من الشفاعة قالوا : يعني من ليس بمؤمن «فلو انه لنا كرة فنكون من المؤمنين»)[1] .

جيم ــ وجاء في بعض خطب أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ عن الايمان : (سبيل أبلج المنهاج ، انور السراج ، فبالايمان يستدل على الصالحات ، وبالصالحات يستدل على الايمان ، وبالايمان يعمر العلم ، وبالعلم يرهب الموت ، وبالموت تختم الدنيا ، وبالدنيا تحرز الآخرة ، وبالقيامة تزلف الجنة للمتقين ، وتبرز الجحيم للغاوين ، وان الخلق لا مقصر لهم عن القيامة مرقلين في مضمارها الى الغاية القصوى)[2] .

دال ــ عن أبي عبدالله ـعليه السلام ـ قال : قال رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ : (قال الله تبارك وتعالى : «ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن ، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن ، ولو لم يكن في الارض ما بين المشرق والمغرب الا عبد واحد مع امام عادل لاستغنيت بهما عن جميع ما خلقت في أرضي ، ولقامت سبع سماوات وسبع ارضين بهما ، وجعلت لهما من ايمانهما انساً لا يحتاجون الى أنس سواهما»)[3] .

الايمان ينبوع القيم :

والايمان أصل كل قيمة سامية في كتاب الله ، فاذا درسنا سورة هود واخذناها مثلاً لهذه الحقيقة ماذا نجد ؟ نجد ان هذه السورة تنقسم الى مجاميع من الآيات ، على رأس كل

---

(١) بحار الانوار ج٦٤/ ص٦٣ الرواية ٧.

(٢) المصدر ص٦٧ الرواية ٢٦ ، ومعاني كلمات هذه الخطبة بايجاز هي التالية حسب العلاّمة المجلسي في البحار، سبيل أبلج : مضيء مشرق ، المنهاج : الطريق ، والمراد من السراج الانور قد يكون الرسول واوصياؤه كما المراد من السبيل هو الكتاب احتمالاً ، وقوله ـعليه السلام ـ بالايمان يستدل على الصالحات : يعني ان الايمان والعمل بالصالحات مقارنان فاحدهما يدلك على الثاني ، وقوله ـعليه السلام ـ بالايمان يعمر العلم ، قد يعني ان العلم لا ينفع من دون الايمان ، وقوله ـعليه السلام ـ بالدنيا تحرز الآخرة ، يعني ان الدنيا مزرعة الآخرة فالعمل هنا والثواب هناك ، وقوله ـعليه السلام ـ لا مقصر اي لا غاية لهم الا الآخرة ، وقوله ـعليه السلام ـ مرقلين في مضمارها ، اي مسرعين في ميدانها .

(٣) المصدر ص٧١ الرواية ٣٦ .

مجموعة نجد التذكير بالايمان أي بتوحيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعبادته وحده ، وهي الآيات التالية (٢ ـ ٢٦ ـ ٥٠ ـ ٦١ ـ ٨٤) وفي أكثر هذه الآيات انذار بعاقبة ترك هذه الحقيقة ، ثم تتدرج السورة الكريمة في بيان سائر القيم التي تفيض من توحيد الله ، والنهي من تلك الرذائل التي تنتج من الشرك بالله سبحانه وتعالى ، وكذلك بيان الفارق بين اهل التوحيد واهل الشرك ، تعالوا نستلهم من هذه الآيات التي ذكرنا ارقامها .

١ ــ يقول ربنا سبحانه وتعالى في الآية التالية :

«الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير»[1] .

تدبروا في النهي عن عبادة غير الله (أي الشرك) ثم الانذار من ان عبادة غير الله تسبب الاخطار ، والبشارة لأولئك الذين يعبدون الله سبحانه وتعالى .

وهذه الآية بداية مجموعة من الآيات يحدثنا الله سبحانه وتعالى عبرها عن رسالة النبي محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ التي هي القرآن . اذ الآية التي تسبقها هي مطلع السورة وهي هذه الآية :

«الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير»[2] .

وهذا الكتاب هو القرآن الكريم ، فالرسالة القرآنية تتلخص في التوحيد .

٢ ــ وبالنسبة الى رسالة نوح شيخ المرسلين ايضاً نقرأ هذه الآية :

«الا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم اليم»[3] .

هنا أيضاً تكررت كلمة «الا تعبدوا الا الله» وكذلك حقيقة الانذار ، حيث جاءت الكلمة «اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم» .

وهذه الآية ايضاً تتصدر تعاليم النبي نوح ـ عليه السلام ـ الى قومه .

٣ ــ وفي الآية (٥٠) من سورة هود نقرأ هذه الكلمات .

«والى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان انتم الا

---

(١) هود/ ٢ .

(٢) هود/ ١ .

(٣) هود/ ٢٦ .

مفترون»[1].

هنا أيضاً نجد كلمة «ان انتم الا مفترون» اشارة الى حقيقة الانذار التي انطوت عليها الآية السابقة ، كما ان هذه الآية تتصدر مجموعة الآيات التي يبين القرآن الكريم -عبرها- رسالة هود الى عاد .

٤ ـــ كذلك في الآية (٦١) نقرأ خلاصة رسالة صالح الى قومه ثمود ، حيث يقول ربنا :

«والى ثمود اخاهم صالحاً ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، هو انشأكم من الارض وأستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب»[2].

وبالرغم من انّا لا نجد في هذه الآية الكريمة التي لخصت رسالة صالح -عليه السلام- الى ثمود ، تلك اللهجة الانذارية ، ولكننا نجد لهجة اخرى وهي بيان ربوبية الله سبحانه وتعالى ، وانه مصدر لنعم الله سبحانه وتعالى التي كانت لثمود والامر بالاستغفار والتوبة مما يهدي الى انذار مبطن .

٥ ـــ وفي الآية (٨٤) نقرأ قوله -سبحانه وتعالى- على لسان شعيب الذي بعث الى مدين :

«والى مدين اخاهم شعيباً ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير ، وإني اخاف عليكم عذاب يوم محيط»[3].

في خاتمة هذه الآية ايضاً نجد لهجة الانذار. وهذه الآيات التي تحدثنا عن حقيقة التوحيد ، وهي -في الواقع- مصدر سائر الحقائق التي تبينها آيات السورة .

٦ ـــ وكما في سورة هود ، كذلك في سائر السور القرآنية نجد ذات المنهج ، -مثلاً- في سورة الشعراء في الآيات (٧٠- ١٠٦- ١٠٨- ١٢٤- ١٢٦- ١٤٢- ١٤٤- ١٦١- ١٦٣- ١٧٧- ١٧٩) نتلوا تذكرة بالله سبحانه على لسان انبياء الله ، ثم تترى الآيات في بيان

---

(١) هود/ ٥٠ .

(٢) هود/ ٦١ .

(٣) هود/ ٨٤ .

سائر القيم الايمانية، تعالوا نقرأ عن رسالة الله الى شعيب :

«كذب اصحاب الايكة المرسلين، اذ قال لهم شعيب الا تتقون، اني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسئلكم عليه من أجر أن اجري الا على رب العالمين، أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين، وزنوا بالقسطاس المستقيم، ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين»[1].

وهذا مثل لسائر المجاميع من الآيات في تلك السورة.

---

(١) الشعراء/ ١٧٦-١٨٣.

في رحاب الاحاديث

صفات المتقين :

واتباعاً لنهج القرآن في بيان الايمان من خلال حقائقه التي تتجلى في المتقين، بين الائمة -عليهم السلام- صفات المتقين، ونحن اذ نستعرضها، ونتلوها نأمل ان نفقه حقيقة الايمان والتقوى واليقين، من خلال هذه الصفات .

ألف ــ روي ان صاحباً لأمير المؤمنين -عليه السلام- يقال له همام، كان رجلاً عابداً، فقال له : يا أمير المؤمنين صف لي المتقين، حتى كأني انظر اليهم، فتثاقل عن جوابه ! ثم قال : (يا همام اتق الله واحسن ! فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)، فلم يقنع همام بذلك القول حتى عزم عليه، قال : فحمد الله واثنى عليه، وصلى على النبي -صلى الله عليه وآله- ثم قال :

(اما بعد فان الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لانه لا تضره معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من اطاعه، فقسم بينهم معايشهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم .

فالمتقون فيها هم أهل الفضائل : منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع، غضوا ابصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت انفسهم منهم في البلاء، كالذي نزلت في الرخاء، لولا الاجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين، شوقاً الى الثواب، وخوفاً من العقاب .

عظم الخالق في انفسهم فصغر مادونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها، فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، أجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وانفسهم عفيفة، صبروا أياماً قصيرة اعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة، يسرها لهم ربهم، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا انفسهم منها.

اما الليل فصافون اقدامهم، تالين لاجزاء القرآن، يرتلونه ترتيلاً يحزنون به انفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم، فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا أنها نصب أعينهم، واذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم. فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم، وأكفهم، وركبهم، واطراف اقدامهم، يطلبون الى الله تعالى فكاك رقابهم.

واما النهار فحلماء، علماء، ابرار، قد براهم الخوف بري القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض، ويقول: قد خولطوا ولقد خالطهم امر عظيم لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لانفسهم متهمون، ومن اعمالهم مشفقون، واذا زكي أحد منهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي اعلم مني بنفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني افضل مما يظنون واغفر لي مالا يعلمون.

فمن علامة أحدهم انك ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وأيماناً في يقين وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجملاً في فاقة، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرجاً عن طمع، يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل، يمسي وهمّه الشكر، ويصبح وهمّه الذكر، يبيت حذراً، ويصبح فرحاً: حذراً لما حذر من الغفلة، وفرحاً بما اصاب من الفضل والرحمة.

ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره، لم يعطها سؤلها فيما تحب، قرة عينه فيما لا يزول، زهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه؛ قانعة نفسه، منزوراً أكله، سهلاً أمره، حريزاً دينه، ميتة شهوته، مكظوماً

غيظه ، الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون .

ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين ، وان كان في الذاكرين ، لم يكتب من الغافلين ، يعفو عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيداً فحشه ، ليناً قوله ، غائباً منكره ، حاضراً معروفه ، مقبلاً خيره ، مدبراً شره .

في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه ، لا يضيع ما استحفظ ، ولا ينسى ما ذكر ، ولا ينابز بالالقاب ، ولا يضار بالجار ، ولا يشمت بالمصائب ، ولا يدخل في الباطل ، ولا يخرج من الحق .

ان صمت لم يغمه صمته ، وان ضحك لم يعل صوته ، وان بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له ، نفسه منه في عناء ، والناس منه في راحة ، اتعب نفسه لآخرته ، واراح الناس من نفسه ، بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخديعة) .

قال : فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها ، فقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : (اما والله لقد كنت أخافها عليه ، ثم قال : هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها) ، فقال له قائل : فما بالك أنت يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : (ويحك ان لكل اجل وقتاً لا يعدوه ، وسبباً لا يتجاوزه ، فمهلاً لا تعد لمثلها ، فإنما نفث الشيطان على لسانك) [1] .

حقائق الايمان :

باء ـ وفي رواية ثانية يفسر الامام علي ـ عليه السلام ـ حقائق الايمان حيث روي عن حبة العرني قال : بين أنا ونوف نائمين في رحبة القصر ، اذ نحن بأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في بقية من الليل ، واضعاً يده على الحائط شبيه الواله ، وهو يقول : «ان في خلق السموات والارض ...» الى آخر الآية ، قال : ثم جعل يقرأ هذه الآيات ويمر شبه الطائر عقله : فقال لي : (أراقد انت يا حبة أم رامق) ؟ قال : قلت : رامق ، هذا أنت تعمل هذا العمل فكيف نحن ! فأرخى عينيه فبكى ، ثم قال لي : (يا حبة ان الله أقرب إلي واليك من حبل الوريد ، يا حبة انه لن يحجبني ولا اياك عن الله شيء) ، قال : ثم

(١) بحار الانوار ج٦٧/ ص٣١٥/٣١٧ .

قال : (اراقد انت يا نوف ؟ قال : قال : لا يا أمير المؤمنين ما انا براقد ، ولقد اطلت بكائي هذه الليلة ، فقال : (يا نوف إن طال بكاؤك في هذا الليل مخافة من الله تعالى قرت عيناك غداً بين يدي الله عزوجل ، يا نوف انه ليس من قطرة قطرت من عين رجل من خشية الله الا اطفأت بحاراً من النيران ، يا نوف انه ليس من رجل اعظم منزلة عند الله من رجل بكى من خشية الله ، واحب في الله وابغض في الله ، يا نوف انه من احب في الله لم يستأثر على محبته ، ومن ابغض في الله لم ينل ببغضه خيراً ، عند ذلك استكملتم حقائق الايمان) [1] .

أبصرت فأثبت :

جيم ــ وروي عن النبي ـصلى الله عليه وآله ـ أنه استقبل حارثة بن مالك بن النعمان الانصاري فقال له :

(كيف انت يا حارثه بن مالك ؟)

فقال : يا رسول الله مؤمن حقاً .

فقال له رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ : (لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك)

فقال : يا رسول الله اعزفت نفسي عن الدنيا ، فاسهرت ليلي واظمأت هواجري ، وكأني انظر الى عرش ربي وقد وضع للحساب وكأني انظر الى اهل الجنة يتزاورون في الجنة ، وكأني اسمع عواء أهل النار في النار .

فقال رسول الله : (عبد نور الله قلبه ، أبصرت فأثبت) [2] .

من هو المؤمن ؟

دال ــ وكذلك حين يصف الامام الصادق ـ عليه السلام ـ المؤمن بالصفات التالية :

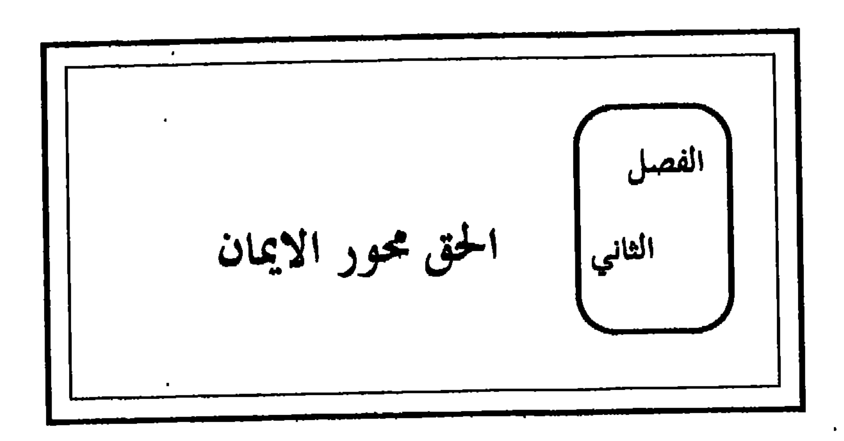
(انما المؤمن (الذي) اذا سخط لم يخرجه سخطه من الحق ، والمؤمن الذي اذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، والمؤمن الذي اذا قدر لم يتعاط ما ليس له) [3] .

---

(١) بحار الانوار ج٤١/ ص٢٣ الرواية ١٣ .

(٢) المصدر ج٦٤/ ص٢٨٧/٢٨٨ .

(٣) بحار الانوار ج٦٤ ص ٢٨٩ .



لماذا الايمان يكون بالحق جميعاً ؟ لانه نور واحد ، ولان المؤمن يخرج به من محورية الهوى الى محورية الحق ، وحين يكون الحق محوراً فلا فرق بين حق وآخر..

١ ــ لقد حددت الآية التالية حقيقة الايمان بشموليته بكل حق والسمع والطاعة ، فقال الله تعالى :

«آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير»(١).

ان عدم التفريق بين الحقائق التي شملها ايمان المسلم ، هو البرهان الساطع على صدق الايمان ، وهو يدل على ان المعيار عنده ليس الهوى ، حتى يفرق به بين حقيقة واخرى .

٢ ــ ويصف ربنا المؤمنين في سورة النساء بأنهم مسلمون للحق ، وراسخون في العلم ، لانهم لا يفرقون في الايمان ، بين كتاب سابق وكتاب لاحق ، بالاضافة الى انهم لا يكتفون بالعلم دون العمل ، بل تراهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة .

قال الله تعالى : «لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ، والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم اجراً عظيماً»(٢).

---

(١) البقرة/ ٢٨٥ .

(٢) النساء/ ١٦٢ .

٣ ـ هل يمكن ان نؤمن ببعض الحق ونكفر ببعض، ثم نبقى مؤمنين ؟

لا يبدو ذلك ممكناً بعد الذكرى، لماذا ؟ لان الايمان يقتضي التحرر من شح الهوى الى رحاب الحق، وحين يوفق الانسان الى ذلك، فلماذا يفرق بين حق وآخر بينما الملاك واحد (وهو انه الحق) ؟ فان فرق فقد دل على انه يتبع الهوى في التفريق، وحينئذ فلا يصدق في ادعاءه الايمان بالحق، ومن هنا يقول ربنا سبحانه :

«والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفوراً رحيماً»(١).

٤ ـ ويقول ربنا سبحانه : «قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون»(٢).

هذه الآية تشير الى ان الايمان كل لا يتجزء، فالايمان بالله يستدعي الايمان بالرسول وبما انزل على الرسول وما انزل على سائر الرسل السابقين.

٥ ـ وقال الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله، والكتاب الذي انزل من قبل، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فقد ضل ضلالاً بعيداً»(٣).

نستوحي من الآية : ان الايمان بكل حق من دون تمييز بين حق وآخر، هو القيمة الاساسية التي تخالف النفاق.

٦ ـ وقد يصرح القرآن باسماء الرسل عندما يبين ضرورة الايمان بالحق كله فيقول مثلاً :

«قولوا آمنا بالله وما انزل الينا، وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى، وما اوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون»(٤).

---

(١) النساء/ ١٥٢.

(٢) المائدة/ ٥٩.

(٣) النساء/ ١٣٦.

(٤) البقرة/ ١٣٦.

«قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل وأسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون»[1].

٨ ـــ والكافر ـــ بعكس المؤمن تماماً ـ يفرق بين الحقائق ، فيؤمن بما تهواه نفسه ، ويكفر بما سواه ، فعياره الهوى ، وليس الحق ، فهو ـ اذا ـ يعبد هواه ، وليس الله سبحانه يعبد .

قال الله تعالى : «ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلاً»[2] .

٩ ـــ وجزاء مثل هؤلاء خزي في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة (وهكذا لا يشفع لهم ايمانهم ببعض الكتاب ، لان كفرهم بالبعض الآخر دليل على عدم تسليمهم للحق ، بل لاهواءهم . والا فما هو ذلك المعيار الذي به يقبلون هذا البعض ويرفضون ذلك ؟ أليس الهوى ؟) يقول الله تعالى :

«افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب»[3] .

١٠ ـــ وانما يكفرون بما لا تهواه انفسهم ، فعيارهم هوى النفس ، يقول ربنا سبحانه :

«افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون»[4] .

١١ ـــ وقد يدعو جو الصراع مع اهل الكتاب بعض المؤمنين الى الكفر بما يؤمنون به من كتاب ، انتقاماً من كفر أولئك بما نؤمن به ، كلا ، اننا نؤمن بكل الحق ـ سواء انزل عليهم ام انزل علينا ـ لان معيار الايمان هو الحق .

قال الله تعالى : «ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم ،

---

(١) آل عمران/ ٨٤ .

(٢) النساء/ ١٥٠ .

(٣) البقرة/ ٨٥ .

(٤) البقرة/ ٨٧ .

وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون»[1].

١٢ ــ ومادام المرء لم يبلغ درجة الايمان بكل الحق، فان ادعاء ايمانه باطل (لانه انما يعبد هواه بأسم الايمان) فلا يعتبر مثل هذا الشخص يدين بدين الحق، حتى ولو ادعى انه من اهل الكتاب فهو لذلك يستحق القتال حتى يعطي الجزية صاغراً.

قال الله تعالى: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، من الذين اوتوا الكتاب، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»[2].

وهنا يتجلى الايمان بأبعد صوره، حيث ان الايمان الحق، هو الايمان الذي يتدرج من الايمان بالله واليوم الآخر، الى الايمان بكل الرسل، وفي طليعتهم خاتم الرسل نبينا محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ وخاتم الكتب هو كتاب القرآن.

١٣ ــ اما الكفار من أهل الكتاب فتجدهم يتلاعبون بالايمان فيقول بعضهم لبعض.

قال الله تعالى: «وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون»[3].

١٤ ــ وقد نعتهم القرآن بأنهم يتبعون اهواءهم، لانهم كذبوا بآيات الله، فلم التكذيب بها وهي الحق، أوليس لانهم يتبعون اهواءهم؟

قال الله تعالى: «ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة»[4].

١٥ ــ وأمر الرسول بألا يحزن عليهم إذا سارعوا في الكفر (وكفروا بالرسول) بالرغم من ادعاءهم الايمان، لان برهان الايمان التسليم للحق وهم يسلمون للهوى، وتراهم يفرقون بين حق وآخر، قال الله سبحانه:

«يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم

(١) العنكبوت/ ٤٦.

(٢) التوبة/ ٢٩.

(٣) آل عمران/ ٧٢.

(٤) الانعام/ ١٥٠.

تؤمن قلوبهم»[1].

١٦ ـــ وهذا ابرز مصاديق النفاق الذي يقول عنه ربنا سبحانه :

«ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون»[2].

١٧ ـــ ويضرب القرآن مثلاً من واقع بني اسرائيل ، لأولئك الذين يفرقون بين حق وآخر ، فيؤمنون بما تهواه انفسهم ، ويكفرون بما يخالف اهواءهم . ترى كيف عادوا جبريل أولم يعلموا ان عداوة ملك واحد ، هو بمثابة عداوة الله ورسله والملائكة جميعاً ؟ قال الله تعالى :

«قل من كان عدو لجبريل فانه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ، من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ، ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون»[3].

وهكذا الذي يكفر ببعض الحق اتباعاً لهواه نعته القرآن بالكافر وبالفاسق .

آفاق الحق

ما هو الحق الذي هو محور الايمان ؟ فيمايلي نفصل القول في آفاق الحق بإذن الله تعالى :

١ ـــ الحق اصل القيم :

قال الله تعالى : «قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون ، وما يتبع أكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون»[4].

---

(١) المائدة/ ٤١ .

(٢) البقرة/ ٨-٩ .

(٣) البقرة/ ٩٧-٩٩ .

(٤) يونس/ ٣٥-٣٦ .

من هاتين الآيتين نستوحي ان اصل القيم واساسها وينبوعها هو الحق وانما نتبع رسالات الله لانها تهدينا الى الحق، وان الطريق الذي يجب ان نسلكه لنصل الى الحق يجب ان يكون طريقاً حقاً (وعلمياً) لكي يوصلنا اليه، لذلك لا ينفع الظن في هذا المجال ولا يغني من الحق شيئاً.

٢ ـ محورية الحق:

الايمان انما هو بالحق، والحق هو محور الايمان، ومعنى الايمان هو التسليم للحق، والحق هو (ضمير)، او بتعبير آخر (غيب) السموات والارض، ويقابل الحق الهوى.

فالانسان حينما يؤمن، انما يسلم بما هو قائم، وما هو حق وما هو واقع، ولكنه حينما لا يؤمن ـاي حينما يكفرـ فإنما يتبع الهوى، اي يتبع النفس وما تفرزه النفس من الوساوس والخواطر والظنون والتخرصات والخيالات وما أشبه.

ـاذنـ هذا هو الفارق الكبير بين الايمان وعدم الايمان (الكفر)، المؤمن يتبع الحق ـاي يتبع ما هو موجود خارج ذاته وخارج (أناه)ـ بينما الكافر يتبع الأنا أو ذاته أو هواه، هذه تعابير مختلفة لكن الحقيقة واحدة.

قال الله سبحانه: «**وهو الذي خلق السموات والارض بالحق، ويوم يقول كن فيكون، قوله الحق، وله الملك، يوم ينفخ في الصور، عالم الغيب والشهادة، وهو الحكيم الخبير**»[1].

هذه الآية تعطينا فكرة واضحة عن الحق، فلقد خلق السموات والارض بالحق، أي جعل الحق محتوى خلق السموات والارض، او ـبتعبير افضلـ: ان السنن التي اودعها الله سبحانه وتعالى في السموات والارض هي سنن قائمة ثابتة، وانما تجري السموات والارض بهذه السنن، وعبرها وفي إطارها.

---

(١) الانعام/ ٧٣.

٣ ـ الحق من الله :

١ ـ الله سبحانه هو الخالق المقدر المدبر، فاسمه الحق. والحق من عنده، وقوله الحق، وكتابه المنزل من عنده حق.

فهو الذي انشأ السموات والارض انشاءاً، وابتدعها ابتداعاً، فكيف لا يكون الحق من عنده، دعنا نتدبر في الآية السابقة وبالذات في قوله تعالى :

«ويوم يقول كن فيكون، قوله الحق»(١).

ترى كيف اتصلت بصيرة خالقية الله ببصيرة ان قوله الحق، حيث نستوحي من ذلك ان الحقيقة الثانية هي ناشئة من الحقيقة الاولى.

٢ ـ والله ـاذاًـ هو الذي يقول الحق، والذي من ابعاده، انه يهدي السبيل، قال الله تعالى :

«والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»(٢).

٣ ـ وقال الله تعالى : **«فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم»**(٣).

انما قيمة قبول الحق ـانى كانـ بأعتباره من الله سبحانه، لان الله سبحانه عليم بكل شيء، فلابد من التسليم لما يأمر به، من دون جدال او مناقشة، ويبين ربنا هذه القيمة من خلال بيان قصة الملائكة عندما ناقشوا ربهم في أمر الخلق، والله ذكرهم بأنهم لا يحيطون علماً بكل شيء.

٤ ـ والذين اوتوا الكتاب (من اليهود والنصارى) يعلمون ان هذا الكتاب حق نزل من عند ربهم، (ولكنهم يكفرون به عناداً) قال الله تعالى :

«وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم»(٤).

---

(١) الانعام/ ٧٣.

(٢) الاحزاب/ ٤.

(٣) البقرة/ ٢٦.

(٤) البقرة/ ١٤٤.

٥ ــ والحق ينزل من عند الله سبحانه كما نزل أمر تغيير القبلة ، وكان ذلك حقاً لانه نزل من عند الله .

قال الله تعالى : «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون» (١) .

٦ ــ ومادام الحق من عند الله فعلينا السعي نحو الاهتداء اليه ، قال الله تعالى :

«قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل» (٢) .

٧ ــ هنا ينبغي ان نسعى من اجل ان نهتدي الى الحق ، فمن اهتدى الى الحق فإنما اهتدى لمنفعة نفسه ، وحقق طموحاته وتطلعاته ، ومن ضل فإنما ضل على نفسه ، فمن المسؤوليات التي نستوحيها من هذه الآية والتي تتصل بالحق هي : مسؤولية الاهتداء اليه ، والتعرف عليه والوصول اليه ـ اذن ـ وعد الله حق ، كلامه ، رسالته حق ، معاجزه على ايدي انبياءه حق ، وهو بذاته الحق المبين .

قال الله تعالى : «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» (٣) .

٨ ــ وانما يهتدي الانسان الى الحق الذي نزل من عند الله عبر التسليم له والايمان به قال الله تعالى : «وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به» (٤) .

٩ ــ وانما الكفار بالحق يكذبون في الزعم بنقص في البراهين ، ولذلك اذا سألتهم من خلق السموات والارض ومن بيده ملكوت كل شيء فإنهم سيقولون الله ولكنهم يكذبون .

وهكذا كان القرآن حقاً ، لانه يهدي الى فطرة الانسان ، وما يهدي اليه عقله (مثل وحدانية الله) قال الله تعالى : «قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن

---

(١) البقرة/ ١٤٩ .

(٢) يونس/ ١٠٨ .

(٣) الكهف/ ٢٩ .

(٤) الحج/ ٥٤ .

كنتم تعلمون سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون .بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون»[1] .

١٠ ـــ وقد جاءت آيات القرآن لنفي الثقافات الجاهلية ، وتبديلها ببصائر تتميز بانها حق وأحسن تفسيراً .

قال الله تعالى : «ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً»[2] .

وفي ذلك كانت حكمة تنزل القرآن تنزيلاً مرتلاً وليس جملة واحدة ، حسبما يبدو من سياق الآيات ، حتى يستبدل الفكر الجاهلي ببصائر الوحي فكرة فكرة ، وبصيرة بصيرة .

١١ ـــ والله سبحانه علام الغيوب ، ولذلك فهو يقذف بالحق ، ويزهق به الباطل ، حتى تكون كلمة الحق هي العليا .

قال الله تعالى : «قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب»[3] .

١٢ ـــ ومادام الحق من عند الله فلا يجوز التشكيك فيما ينزل من عند الله قال الله تعالى :

«الحق من ربك فلا تكونن من الممترين»[4] .

١٣ ـــ ومادام الحق من عند الله فلابد من الانذار به .

قال الله تعالى : «بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير من قبلك»[5] .

٤ ـــ الله هو الحق :

الله هو الحق ، لانه هو الحي القيوم ، ولانه هو الملك القاهر ، ولانه على العرش استوى يدبر الأمر كيف يشاء ، ولانه ليس بباطل ، كما الآلهة التي تدعى من دونه .

فالحق هنا اسم من اسماء ربنا ويهدينا ـ كما سائر اسماءه الحسنى ـ الى نفي العجز عنه سبحانه ، كما نفي التحديد عنه تعالى . ولا يحق لنا ان نتصور ربنا من خلال اسماءه

---

(١) المؤمنون/ ٨٨-٩٠ .

(٢) الفرقان/ ٣٣ .

(٣) سبأ/ ٤٨ .

(٤) بقرة/ ١٤٧ ، آل عمران/ ٦٠ ، يونس/ ٩٤ .

(٥) السجدة/ ٣ .

الحسنى بصورة أو بأخرى ، بل علينا ان نكتفي -فقط- بمعرفة آثار تلك الاسماء في أنفسنا وفي الآفاق من حولنا .

١ ــ وهكذا جاءت هذه الكلمة ، عند بيان قدرة الله على احياء الموتى ، كما قدرته على كل شيء . قال الله تعالى :

«ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيي الموتى ، وانه على كل شيء قدير»[١] .

٢ ــ وعند بيان ان الآلهة التي تدعى من دونه هي باطلة ، لانها لا تنفع ولا تضر . قال الله تعالى :

«ذلك بأن الله هو الحق ، وان ما يدعون من دونه هو الباطل»[٢] .

٣ ــ وعند بيان ان الله يحكم بالعدل ، ويوفي الناس جزاءهم الحق ، بلا ظلم ، لان حسابه قائم على اساس شهادة ألسنتهم وايديهم وأرجلهم ، قال الله سبحانه :

«يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ، ويعلمون ان الله هو الحق المبين»[٣] .

٤ ــ وقال الله تعالى : «ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ، الا له الحكم»[٤] .

٥ ــ اما الذين اتخذوهم موالي من دونه فانهم سوف يتلاشون عند مواجهة الحقيقة يوم القيامة ، ولا يملكون ضراً ولا نفعاً .

قال الله تعالى : «وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون»[٥] .

٦ ــ وهو الرب الحق ، لانه الذي يرزقنا وهو الذي يملك السمع والابصار ، وهو الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، وهو الذي يدبر الامر ، اما الارباب من دونه فهم الضلال .

قال الله تعالى : «فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق الا الضلال ، فأنى

---

(١) الحج/ ٦.

(٢) الحج/ ٦٢.

(٣) النور/ ٢٥.

(٤) الانعام/ ٦٢ .

(٥) يونس/ ٣٠.

تصرفون»[1].

٧ ــ والله هو الملك الحق، لانه على العرش استوى، ولانه نزل الكتاب، وان اليه المصير، ولان الوجوه قد عنت له..

قال الله تعالى: «فتعالى الله الملك الحق»[2].

٥ ــ الله حفيظ الحق:

أما تلك السنن الالهية (الانظمة القائمة في الكائنات) فان الله الحكيم سبحانه هو الذي قدرها في خلقه، وهو الذي يجريها، ويقهر الخليقة عليها.. فالنظام قائم وربنا قيوم عليه.

وهو يعلم الانسان ذلك الحق (عبر الوحي والعقل) ويحقه بكلماته، حتى يصبح ظاهر البرهان، ويفرضه على المجتمع البشري فرضاً.

ومن ابعاد حفظ الحق (المتمثل في الرسالة) انه يصونه من ايدي التحريف والتزييف، وبذلك وعد ربنا، الا يدع الصراط المستقيم يضيع بين السبل، او يضل من اختاره عن اهدافه.

ومن مظاهر حفظ الحق انه سبحانه لا يغير الحق تبعاً لاهواء المشركين ورغباتهم والتي منها ـ مثلاً ـ مطالبتهم بنزول الملائكة جهاراً مما يرتبط (ضمن السنن الالهية) بتمام مصلحة الامتحان، فلا ينظرون لو نزلت الملائكة ولم يؤمنوا.. هذه أبعاد حفظ الله للحق واليك تفصيل القول في ذلك:

الف: هكذا يحفظ الله الحق

١ ــ «ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون»[3].

انما يضمن الرب حقانية الحق وتكريسه واستمراره وشرعيته بكلماته. فاذا ببرهانه

(١) يونس/ ٣٢.

(٢) طه/ ١١٤، المؤمنون/ ١١٦.

(٣) يونس/ ٨٢.

الساطع لا يدع ريباً ولا جدلاً في الحق الذي يدعو اليه سبحانه .

٢ ــ وعندما يظهر الحق ـ بكلمات الله ـ فان الكافرين (بالحق) ينهزمون ـ باذن الله وأمره ـ ويقطع دابرهم .

قال الله سبحانه : «ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين»[(١)] .

وهكذا فان الباطل يتلاشى بكلمات الله ، كما يحق الله الحق بها .

٣ ــ وبما ان الله عليم بذات الصدور فان كلماته نافذة فيها ، وماحية للباطل محواً .

قال الله تعالى : «ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور»[(٢)] .

٤ ــ وقد يحق الله الحق بتأييده المباشر (وليس فقط بكلماته) كما قدر سبحانه المواجهة العسكرية في حرب بدر، وهزم ـ بقدرته ـ قوات قريش الكافرة ، وكانت تلك نقطة تحول في احقاق الاسلام الحق ، وابطال الشرك الباطل .

قال الله تعالى : «ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون»[(٣)] .

باء : الله يحفظ الذكر

ومن ذلك انه سبحانه يحفظ الحق المتمثل في الذكر (كتابه الكريم) من التحريف والنسيان .

١ ــ قال الله تعالى :

«انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون»[(٤)] .

٢ ــ اما كيف يحفظ الحق (الكتاب) فان الله سبحانه

اولاً : يجعل في الارض رجالاً يحملهم علم الكتاب ، كما جعل في السماء بروجاً . قال الله تعالى :

«ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين ، وحفظناها من كل شيطان

---

(١) الانفال/ ٧ .

(٢) الشورى/ ٢٤ .

(٣) الانفال/ ٨ .

(٤) الحجر/ ٩ .

رجيم»[1].

وقد وردت السنة بتفسير هذه الحكمة بأن الله سبحانه يجعل رجالاً يحفظ بهم الدين.

ألف ــ قال رسول الله ـصلى الله عليه وآلهـ: (النجوم أمان لاهل السماء، فاذا ذهبت النجوم ذهب اهل السماء، واهل بيتي امان لاهل الارض، فاذا ذهب اهل بيتي ذهب اهل الارض)[2].

باء ــ قال رسول الله ـصلى الله عليه وآلهـ: (جعل الله النجوم اماناً لاهل السماء، وجعل اهل بيتي اماناً لاهل الارض)[3].

وثانياً: انه ضمن الصراط الذي يهدي اليه الذكر ـوهو الصراط المستقيمـ ضمنه الله سبحانه (بألا يضل من اختاره والا يضيع اجره وما اشبه) وقال الله سبحانه:

٣ ــ «قال هذا صراط عليّ مستقيم»[4].

مما يدل على ان الايمان هو بالحق وبالصراط المستقيم الذي ضمن الله سبحانه استقامته وسلامته ووصوله الى الهدف.

٤ ــ ما هو هذا الصراط؟ انه صراط عبادته.

قال الله تعالى: «وان اعبدوني هذا صراط مستقيم»[5].

ثالثاً: ان الله سبحانه يحفظ السالكين في هذا الصراط من كيد الشيطان وولايته.

٥ ــ قال الله تعالى:

«ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين»[6].

رابعاً: ان الله قد كفى رسوله الذي حمل هذه الرسالة كفاه المستهزئين ان يؤثروا عليه او على المؤمنين.

---

(١) الحجر/ ١٦-١٧.

(٢) اكمال الدين ص١١٨ ــ بحار الانوار ج٢٧/ ص٣١٠.

(٣) تفسير القمي ص٤٤٤ ــ البحار ج٢٧/ ص٣٠٨.

(٤) الحجر/ ٤١.

(٥) يس/ ٦١.

(٦) الحجر/ ٤٢.

٦ ــ قال الله تعالى :

«فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين»[1].

جيم : عندما تنتهي المهلة

وعندما تنتهي المدة التي أجل الكفار اليها ، هنالك ينزل الله الملائكة جهاراً وعلناً بتأييد الحق ، وهكذا لا يكون تنزل الملائكة حسب اهواء الكفار، بل بالحق لانه إذا تنزلت كلما اقترح الكفار، إذاً لانتهت فترة الابتلاء وجاء ميعاد الجزاء العادل .

قال الله تعالى : «ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذاً منظرين»[2].

وقوله تعالى :

«وما كانوا اذاً منظرين» يدل على ان تنزل الملائكة جهاراً ، حجة بالغة فلو كفر بها احد من بعده لم ينظر.

بلى : ان عدم وجود دعم ظاهر للرسالة بهذه الدرجة (تنزل الملائكة) لا يعني عدم وجود اي دعم بتاتاً ، انما يوجد مستوى من الدعم متمثل في حفظ الرسالة من اي انحراف ، كما قرأناه آنفاً .

٦ ــ الحق محتوى الكتاب :

وكما خلق الله السموات والارض بالحق ، كذلك نزل الكتاب بالحق .

١/ فالحق هنا وهناك واحد ، وهما جميعاً من عند الله سبحانه ، قال الله تعالى :

«ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق»[3].

٢/ ولانه كتاب حق ، فان آخر كتاب نزل من عند الله يصدق بأول كتاب لانهما يعكسان جميعاً الحق الواحد ، واذا كان الكتاب ـحاشا للهـ قد انزل بالهوى لكان فيه اختلافاً كبيراً ، قال الله تعالى :

---

(١) الحجر/ ٩٤-٩٥.

(٢) الحجر/ ٨.

(٣) البقرة/ ١٧٦.

«نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه»(١).

٣/ ومن ابعاد هذه الحقيقة : ان الكتاب يبين الحق في الخصومات فيحكم به النبي بين الناس ، ولا يكون للخائنين (الذين يعتدون على حقوق الناس) خصيماً ونصيراً.

قال الله تعالى : «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً»(٢).

٤/ وقال الله تعالى : «وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه»(٣).

وهكذا جاء عن القرآن في الحديث المأثور عن الامام علي -عليه السلام- : (واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش ، والهادي الذي لا يضل ، والمحدث الذي لا يكذب ، وما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان ، زيادة في هدى ، ونقصان من عمى)(٤).

٧ ــ الحق رسالة الانبياء :

١/ ولان الحق محتوى رسالة الانبياء فقد وجب علينا الاستجابة لهم واتباعهم ، قال الله تعالى :

«يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليماً حكيماً»(٥).

بهذه الكلمة ، التي تفيض حكمة ورحمة وبصيرة ، أمرنا الرب بان نؤمن بالرسول ، لانه قد جاء بالحق .

٢/ فاذا آمن الناس بالكتاب آتاهم الله ثباتاً على الطريقة ، وهدى ونوراً لمعرفة

---

(١) آل عمران/ ٣.

(٢) النساء/ ١٠٥.

(٣) البقرة/ ٢١٣.

(٤) البحار ج٩٢/ ص٢٤.

(٥) النساء/ ١٧٠.

الحقائق ، وبشرهم بما ينتظرهم من اجر عظيم بسبب تسليمهم للحق .

قال الله تعالى : «قل نزله روح القدس من ربك بالحق ، ليثبت الذين آمنوا ، وهدى ، وبشرى للمسلمين»[1] .

٣/ كما ان الحق قيمة خلق السموات والارض ، كذلك هو روح الرسالات الالهية وقيمتها المثلى ، لان الرسالات الالهية تعبير عن الحق والانبياء هم حملتها .

ومن ينظر في الكتب المنزلة من عند الله يعلم ان القرآن حق ، لان الرسول قد جاء بذات الكلمات التي نزلت على الرسل السابقين ولان كل الكتب انما نزلت بالحق وقد جاء الانبياء جميعاً به .

قال الله تعالى : «والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق»[2] .

٤/ ولا يشك الرسول بالحق الذي نزل عليه من ربه ولو لم يؤمن به اكثر الناس (اليس الحق معيار الايمان وليست الاكثرية ؟) .

قال الله تعالى : «فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون»[3] .

٥/ في الآية (١- ١٤- ١٧) من سورة الرعد يبين القرآن الكريم قيمة الحق ، وان الحق محور الايمان ، ومحور رسالات الله ، والتسليم له والاعتراف به ، والاعتراف والتسليم لكل مقتضياته وابعاده يعتبر اهم معاني الايمان ، وفيمايلي نقرأ هذه الآيات .

قال الله تعالى : «المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون»[4] .

وهكذا فالحق هو محتوى الكتاب الذي انزل الى الرسول .

٦/ ومن مظاهر حقانية الكتاب انه يدعو الى الرب الحق الذي يستجيب دعوة الداعين ، بينما الالهة الباطلة لا تستجيب لهم .

---

(١) النحل/ ١٠٢ .

(٢) الانعام/ ١١٤ .

(٣) هود/ ١٧ .

(٤) الرعد/ ١ .

قال الله تعالى: «له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء»[1].

٧/ ومن امثلة الحق ان القرآن كتاب الله الذي يدعو الى سنن الله في الآفاق، والى فطرة الله في الانفس، -وبالتالي- تلك الحقائق التي تظهر في الحياة الآخرة.

ويضرب القرآن مثلاً واضحاً على ذلك فلنستمع له:

«انزل من السماء ماءً فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال»[2].

ترى كيف ان الزبد -بكل الوانه- يذهب جفاء بينما الماء الذي انزله الله يمكث في الارض؟ كذلك الآيات التي انزلها الله تنفع الناس، اما زبد التحريف والتزييف الذي يطفح عليه فانه يذهب جفاء.

٨/ ومثل آخر يضربه القرآن الكريم من واقع لوط -عليه السلام- وابراهيم -عليه السلام-، حين نزلت الملائكة على ابراهيم يبشرونه بغلام حليم، ثم ينذرون بالعذاب الذي قدره الله سبحانه لقوم لوط. ثم نجاة لوط واهله، فتلك جميعاً هي الحقائق التي قدرها الله (سنة العذاب للكافرين، وسنة النجاة والبشرى للمؤمنين) وانزلها الله في كلمات على رسله، فالكلمات تعكس الحقائق وتصدقها، كذلك سائر آيات الكتاب. ونقرء هذا المثل في سورة هود (الآيات ٦٩- ٨٣).

٩/ قال الله تعالى:

«هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون»[3].

وبما ان محتوى الكتاب هو حق، فانه دين الحق الذي يظهره الله على الدين كله، وهذا احد ابعاد حقانية الكتاب حيث انه يثبته الله في واقع الحياة.

١٠/ ويضرب القرآن مثلاً آخر من واقع فرعون وكيف انذره الله -عبر رسوله- فكفر

---

(١) الرعد/ ١٤.

(٢) الرعد/ ١٧.

(٣) التوبة/ ٣٣.

فاغرقه الله ، وانقذ رسوله والمؤمنين ، انه مثل للحق الباقي ، وللباطل الزاهق ، ثم يقول ربنا سبحانه عن هذا الكتاب الذي هو كتاب الحق :

«وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشراً ونذيراً»[1].

١١/ وفي سورة فاطر يبين الله مصير الكاذبين ، وكيف اخذهم الله ، ثم يقول سبحانه :

«انا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً»[2].

١٢/ فالحق -اذاً- كتاب التقدير الذي يحققه الله في الارض بتقديراته الحكيمة ، وهو كذلك الكتاب الذي ينصر الله به عباده الصالحين في الآخرة ، حيث ترى المؤمنين يحمدون ربهم -بعد دخولهم الجنة ويقولون ما حكاه الله تعالى عنهم :

«وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون»[3].

١٣/ وهكذا كانت تلك المناهج التي طبقوها ، والتي جاءت بها رسالات الله ، كانت الحق ، ودليل ذلك : الجنة التي اورثهم الله بأعمالهم ، ومن -جهة ثانية- يعترف الكافرون الذين لم يطبقوا تلك الرسالة : بأنهم كانوا قد تركوا الحق ، وذلك حين يرون العذاب ، قال الله تعالى :

«هل ينظرون الآ تأويله ، يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق»[4].

١٤/ وفي مطلع سورة القصص التي يفصل الله لنا القول في قصة موسى وفرعون ، يذكرنا القرآن بأنه نبأ جاء بالحق ، أليس موسى جاء بالحق وكذبه فرعون فنجى موسى واغرق فرعون ؟

---

(١) الاسراء/ ١٠٥ .

(٢) فاطر/ ٢٤ .

(٣) الاعراف/ ٤٣ .

(٤) الاعراف/ ٥٣ .

قال الله تعالى: «نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون»[1].

١٥/ وهكذا تجد العلماء الذين اوتوا الكتاب (واهتدوا الى سنن الاولين) يؤمنون بهذا الكتاب و يجدون انه يهديهم الى الحق (أوليس يتفق وما يعرفونه من سنن الاولين ومن رسالات الله السابقة، ومن فطرتهم وعقولهم ؟).

قال الله تعالى: «واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا»[2].

١٦/ وقال الله تعالى: «ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق»[3].

١٧/ ومن ابعاد حقانية الكتاب انه يصدق بالكتب الحق، التي انزلت من قبل.

قال الله تعالى: «والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق، مصدقاً لما بين يديه، ان الله بعباده لخبير بصير»[4].

١٨ ــ كما ان حملة هذا الكتاب، هم الذين اصطفاهم الله من خلقه، كما حملة كتبه السابقة وهم يصدق بعضهم بعضاً.

قال الله تعالى: «بل جاء بالحق وصدق المرسلين»[5].

١٩ ــ وهذا الكتاب يدعو الى الدين الحق، الذي يقوم على اساس عبادة الله وحده.

قال الله تعالى: «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق، فاعبد الله مخلصاً له الدين»[6].

٢٠ ــ ومن براهين صدقه وتجليات حقانيته وانه من عند الله سبحانه، انه انزل للناس (كلهم ابيضهم واسودهم، غنيهم وفقيرهم) من عند الله (رب الناس اجمعين) قال الله تعالى:

---

(١) القصص/ ٣.

(٢) القصص/ ٥٣.

(٣) سبأ/ ٦.

(٤) فاطر/ ٣١.

(٥) الصافات/ ٣٧.

(٦) الزمر/ ٢.

«انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق» (١).

٢١ ــ ومن تجليات الحق في الكتاب ، ان الله انزل معه الميزان الذي يقيس بالحق ويبين ما هو الحق ، ميزاناً للناس (الرسول والحجة من بعده) ، وميزاناً للحوادث (العقل) وميزاناً للسلع (القسطاس) وميزاناً للخلافات (القضاء الحق) .

قال الله تعالى : «الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان» (٢).

٢٢ ــ والحق يخالف الاهواء ، ولذلك فان اكثر الناس يكرهون الحق ، تبعاً لشهواتهم واهوائهم ، وهذا احد براهين الحق ، حيث ان الانسان يقدر على معرفة الحق والباطل بقياسها بهواه ، فما خالف هواه وكرهته نفسه الامارة بالسوء فهو الحق ـ عادة ـ قال الله تعالى :

«لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون» (٣).

٢٣ ــ وحسب آية قرآنية ، فان الجن لما سمعوا الذكر استدلوا على صدقه بانه يهدي الى الحق ، أليس يصدق الرسالات التي كانت من قبل ؟ قال الله تعالى (حكاية عنهم) :

«انا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى ، مصدقاً لما بين يديه ، يهدي الى الحق ، والى طريق مستقيم» (٤).

٢٤ ــ وقد جعل الله محور الايمان بالرسالات ؛ انه الحق من ربهم ، فمجرد انه نزل على محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ ليس معياراً ، بل لانه الحق من ربهم ، وهو المعيار لتصديق سائر الرسل ، بل سائر الحقائق ايضاً .

قال الله تعالى : «والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد ، وهو الحق من ربهم ، كفر عنهم سيئاتهم ، واصلح بالهم» (٥).

٢٥ ــ وهكذا يعود القرآن ويؤكد على هذا المعيار ، وان محور الايمان هو الحق من

---

(١) الزمر/ ٤١ .

(٢) الشورى/ ١٧ .

(٣) الزخرف/ ٧٨ .

(٤) الاحقاف/ ٣٠ .

(٥) محمد/ ٢ .

الله ، ويقول ربنا سبحانه :

«وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم» [١].

٢٦ ـــ وحين يصف ربنا سبحانه رسوله وما جاء به ، يبين انه جاء بدين الحق ، وهكذا نستوحي ان معيار قبول ما جاء به : انه دين الحق .

قال الله تعالى : «هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق» [٢].

٢٧ ـــ اما الكفار فان علة وقوعهم في الفوضى الفكرية والعملية (الامر المريج) فهي انهم كذبوا بالحق ، قال الله سبحانه :

«بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج» [٣] .

٢٨ ـــ وحتى بعد بلوغ درجة الايمان ، فان محور الارتفاع الى درجة الخشوع هو ذكر الله ، والتمسك بما نزل من الحق من عند الله سبحانه .

قال الله تعالى : «ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق» [٤] .

٢٩ ـــ ومعيار الموقف من الناس ، هو مدى تكذيبهم او تصديقهم بالحق ، فالحق هو معيار الموقف السليم .

قال الله تعالى : «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ، تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق» [٥].

٣٠ ـــ اما اليهود فانهم باءوا بغضب على غضب ، لانهم اتبعوا اهواءهم وجعلوا هواهم (وليس الحق) محوراً لايمانهم .

قال الله تعالى : «واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله ، قالوا نؤمن بما انزل علينا ، ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم» [٦].

---

(١) محمد/ ٣.

(٢) الفتح/ ٢٨ ، الصف/ ٩.

(٣) ق/ ٥ .

(٤) الحديد/ ١٦ .

(٥) الممتحنة/ ١ .

(٦) البقرة/ ٩١.

٣١ ــ وانما اضحى النبي -صلى الله عليه وآله- رسولاً ، لأنه تلقى آيات الله التي تليت عليه بالحق ، وقال ربنا سبحانه :

«تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ، وانك لمن المرسلين»[١].

٣٢ ــ وقد أمر الرسول باتباع الحق ، ورفض اهواءهم ، التي تدعوه الى ترك ذلك الحق الذي انزل عليه من الله .

قال الله تعالى : «ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق» [٢].

٣٣ ــ والمؤمنون يؤمنون بالحق (ويجعلون الحق محوراً لايمانهم) قال الله تعالى عنهم :

«واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ، ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين» [٣].

٣٤ ــ وهكذا كان الحق سبباً الى رحمة الله والدخول مع الصالحين ، اما التكذيب به فهو سبب للعذاب في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى :

«فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ، فسوف يأتيهم انباؤا ما كانوا به يستهزئون»[٤].

٣٥ ــ ومن يكذب بالحق فهو وحده يتحمل مسؤولية ضلالته وتكذيبه وليس الرسول عنهم بوكيل .

قال الله تعالى : «وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل» [٥].

٣٦ ــ ومن يتبع الحق فهو بصير، لان الحق دليله وهاديه ، اما الذي يكذب به ، فانه اعمى لا يهتدي سبيلاً .

قال الله تعالى : «افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى» [٦].

---

(١) البقرة/ ٢٥٢ ، آل عمران/ ١٠٨ .

(٢) المائدة/ ٤٨ .

(٣) المائدة/ ٨٣-٨٤ .

(٤) الانعام/ ٥ .

(٥) الانعام/ ٦٦ .

(٦) الرعد/ ١٩ .

٣٧ ــ وحين تحدى الكفار الرسول قائلين: «لماذا لا يأتي معه الملائكة شاهدين» ردهم القرآن، بان الله لا ينزل الملائكة حسب اهواء اولئك، وانما بالحق (ووفق السنن الحاكمة) ولانه لو نزلهم فلم يستجيبوا بعدئذ، انتهت فترة الامتحان ولم يمهلوا بعده.

قال الله تعالى: «ما ننزل الملائكة الا بالحق، وما كانوا اذاً منظرين»[(١)].

٣٨ ــ ومن لا يؤمن بوعد الله الحق، بل يبقى في تردده وفي ظنونه، فانه يبرر سيئاته، يقول الله تعالى: «واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها، قلتم: ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظناً وما نحن بمستيقنين»[(٢)].

٣٩ ــ واذا نزل الحق من عند الله فلابد من الايمان به، ولا يجوز التردد والارتياب (لانه ينزل عليهم العذاب آنئذ) ومن هنا حين جاءت الملائكة بالبشرى الى ابراهيم وتساءل ـعليه السلامـ كيف يكون له ولد وهو شيخ كبير وامرأته عاقر؟ قالت الملائكة له (حسب حكاية الله سبحانه).

«قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين»[(٣)].

٤٠ ــ وابراهيم الخليل ـعليه السلامـ هو الذي تحدى الاصنام وعبدتها المشركين، وقال له قومه: هل انت من اللاعبين (ولعل مرادهم من اللاعبين هم الذين يشكون في كل شيء ولا يتبعون ديناً)؟ فقال: كلا انما ادعوكم الى الله سبحانه، والى اتباع الحق.

قال الله تعالى: «قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين»[(٤)].

وهكذا الحق لا يتناسب واللعب، لانه جد لا هزل فيه.

٤١ ــ والحق ايضاً يتنافى كلياً عن الجنون، ولكن الكفار الذين لم يتحملوا مستوى الجدية والتحدي عند الانبياء، تراهم يتهمونهم ـعادةـ بالجنون.

قال الله تعالى: «ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق»[(٥)].

---

(١) الحجر/ ٨.

(٢) الجاثية/ ٣٢.

(٣) الحجر/ ٥٥.

(٤) الانبياء/ ٥٥.

(٥) المؤمنون/ ٧٠.

٤٢ ــ وآيات الحق تملأ الآفاق والانفس ، فتلك السنن الحاكمة في الكائنات ، وهذه الفطرة الناطقة في اعماق انفسنا ، تشهد بحقيقة الكتاب ، لانه يعكس تلك السنن وهذه الفطرة بصورة واضحة .

قال الله تعالى : «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق» (١).

٤٣ ــ ويحمل رسالة الحق رسول من عند الله ، يبين الحق بوضوح ، حتى لا يبقى اي مجال للتبرير واي سبب للشك .

قال الله تعالى : «بل متعت هؤلاء واباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين» (٢).

٤٤ ــ واذا لم يؤمن الانسان بالله وآياته التي تتلى بالحق ، فلا شيء يستحق الايمان ابداً .

قال الله تعالى : «تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ، فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون» (٣).

٨ ــ الرسول حق :

١ ــ والرسول حق لانه جاء حقاً من عند الله ، ولانه يحمل رسالة حق .

قال الله تعالى : «كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق» (٤).

٢ ــ وليس الرسول الهاً ، ولا كاذباً ولا مجنوناً ، وانما هو بشر يوحى اليه ، وهذا هو الحق في كل رسول ، وفي النبي عيسى بن مريم بالذات الذي قال الكافرون فيه اقوالاً شتى ، اتباعاً لاهوائهم :

قال الله تعالى : «ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون» (٥).

---

(١) فصلت/ ٥٣ .

(٢) الزخرف/ ٢٩ .

(٣) الجاثية/ ٦ .

(٤) آل عمران/ ٨٦ .

(٥) مريم/ ٣٤ .

٩ ــ الحق يغلب السحر:

والسحر باطل، ورسالة الله حق، ورسالة الله تنتصر ولا يفلح الساحر حيث اتى.

١ ــ وهكذا اختلف السحر والرسالة، فالرسالة حق، والسحر باطل، ولكنهم كابروا وخلطوا بينها، قال الله سبحانه:

«فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين» [١].

٢ ــ وكان رد القرآن على هذا الزعم حاسماً، وقائماً على اساس حقيقة يعرفها الجميع، حيث قال الله سبحانه:

«قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون» [٢].

٣ ــ وقال الله تعالى: «وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين» [٣].

٤ ــ والفرق الكبير بين الحق والسحر، هو الفرق بين الايمان والكفر، وانما دليل زيفهم وضلالهم خلطهم بين الحق والسحر!

قال الله تعالى: «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون» [٤].

٥ ــ ومادامت الآيات بينات، فان نسبتها الى السحر تدل على انهم هم الذين كفروا بسوء ارادتهم، قال الله تعالى:

«واذا تتلى عليهم آياتنا بينات، قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين» [٥].

٦ ــ وعقبى السحر الفضيحة والبطلان، وعقبى الحق الوقوع والتحقق، وهذا بالضبط هو الفرق بين الكفر والايمان.

---

(١) يونس/ ٧٦.

(٢) يونس/ ٧٧.

(٣) سبأ/ ٤٣.

(٤) الزخرف/ ٣٠.

(٥) الاحقاف/ ٧.

قال الله تعالى : «فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون» [1].

١٠ ـ الحق اداة الخلق :

١ ـ الحق محور الايمان ، وخلق الله السموات والارض بالحق ، فلابد ان يكون الايمان بالحق هو الايمان الشامل لكل شيء ، قال الله تعالى :

«خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون» [2].

ونستوحي من هذه الآية : ان قيمة الايمان الحق هي الخلوص فيه وابعاد اي نوع من الشرك عنه .

٢ ـ ولم يخلق الله السموات والارض عبثاً ولا لعباً ، ولم يترك عباده سدى ، (وإنما كل شيء خلق بقدر وبأجل وبحكمة ولغاية) إذ خلقهما بالحق ـ أليس الحق هو الذي يكون فيه تقدير وسنة واجل وغاية نافعة ؟ ـ وهكذا قال الله تعالى في فاتحة سورة النحل :

«خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون» [3].

ولدى التأمل في سائر آيات هذه السورة ، نعرف ابعاد هذا الحق الذي بينه ربنا سبحانه ، وبالذات جانب الهدفية في الخلق ، وان كل شيء خلق بحكمة بالغة ، ولعل الحق هنا يعني هذا الجانب .

٣ ـ ولعل خاتمة هذه الآية تهدينا الى الحقيقة التالية : ان من الحق مسؤولية الانسان عن افعاله ، مادام الانسان لا يشذ عن قانون الهدفية في هذا الخلق ، وعليه فهو مسؤول عن افعاله ، والمشركون يحاولون التهرب من المسؤولية بشركهم ، وهي محاولة فاشلة ، لان الله لم يكن له شريك فلا يمكن التهرب من المسؤولية الى شريكه سبحانه .

قال الله تعالى : «الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد» [4].

---

(١) الاعراف/ ١١٨ .

(٢) النحل/ ٣ .

(٣) النحل/ ٣ .

(٤) ابراهيم/ ١٩ .

فالله خلق السموات والارض بالحق، فلذلك كل شيء في السموات والارض مخلوق لله هو حق، وقائم على حق، على تقدير وعلم، على سنة جارية وعلى تدبير، والى اجل -وبالتالي- على سنة محكمة وأجل محدد، ولذلك فان الله قد يقضي باعدام طائفة، وخلق طائفة مكانهم، اذا انتهت مهمة الاولى.

٤ ــ ثم انظروا الى الشمس (محور منظومتنا) كيف جعلها الله ضياءاً واجراها في فلكها لمستقر لها، والى القمر كيف جعله الله نوراً وقدره منازل لكي نحسب الشهور، وانظروا الى حركة الليل والنهار وكل ما فيهما من حكمة بالغة، اليس في ذلك دليل على: ان الله ما خلق السموات والارض وما بينهما باطلاً، وانما خلقهما بالحق (وفق سنة واجل وغاية)؟ قال الله تعالى:

«هو الذي جعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون»[١].

٥ ــ وكما ان خلق السموات والارض كان بالحق، كذلك كان قول الله وحكمه بالحق، فمن آمن به ولم يشرك به ما لم ينزل به سلطاناً، فهو أحق بالأمن، ومن عمل صالحاً فسوف يجزيه الله بالحسنى، وهكذا لم يكن دينه لعباً ولا هزواً، قال الله تعالى:

«وهو الذي خلق السموات والارض بالحق، ويوم يقول كن فيكون، قوله الحق، وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهوالحكيم الخبير» [٢].

٦ ــ ومادامت السموات والارض قائمة على اساس الحق، فان القرية التي قامت على اساس الشرك بالله انما هــي نسيج واه، كبيت العنكبوت «وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت»[٣].

قال الله تعالى: «خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين»[٤].

٧ ــ واذا لم يكن الحق حاكماً، فلماذا دمر الله القرى الظالمة؟! بلى. وان كل

---

(١) يونس/ ٥.

(٢) الانعام/ ٧٣.

(٣) العنكبوت/ ٤١.

(٤) العنكبوت/ ٤٤.

شيء خلق لغاية ، افلا يهدينا الفكر الى ان الانسان -بدوره- قد خلق لغاية ، وفي اطار نظام؟ وانه يوقف يوماً للحساب امام رب العالمين ، قال الله تعالى :

«اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى ، وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون» [1].

٨ ــ ولقد خلق الله السموات والارض بحكمة ولاجل مسمى ، وما في حركة الليل والنهار من تدبير ظاهر، ونظم دقيق ، لشاهد على ان الخالق لم يبدعهما عبثاً ولا لعباً ، وان كل انسان مسؤول عن افعاله ، وان لا احد يزر وزره ، ولا يتحمل عنه ذنبه ، او يفتديه بنفسه .

قال الله تعالى : «خلق السموات والارض بالحق ، يكور الليل على النهار، ويكور النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر، كل يجري لاجل مسمى ، الا هو العزيز الغفار» [2].

٩ ــ وهكذا كانت تذكرة القرآن ، بان خلق السموات والارض بالحق ، لتبصير الانسان بحقيقة المسؤولية (حسبما نستوحي من التدبر في سائر آيات سورة الزمر -انظر مثلاً الآية٧-) وتبين ذلك ظاهراً في الآية التالية :

«وخلق الله السموات والارض بالحق، ولتجزى كل نفس بما كسبت، وهم لا يظلمون» [3].

١٠ ــ اولا يعلم الذين يتخذون دينهم لهواً ولعباً ؛ ان نظام الكائنات ليس على اللعب ، وانما على اساس الجد والهدف ، قال الله تعالى :

«وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما إلا بالحق ، ولكن اكثرهم لا يعلمون» [4].

ولو علموا مدى جدية الخلق ، اذاً لما اتخذوا حياتهم لعباً .

ولقد رأينا : كيف ان خلق السموات والارض بالحق يهدينا الى ان الحياة ليست

---

(١) الروم/ ٨.

(٢) الزمر/ ٥.

(٣) الجاثية/ ٢٢.

(٤) الدخان/ ٣٨-٣٩.

عبثاً، واذا لم تكن الدنيا دار جزاء، فان داراً اخرى هيئها الرب للجزاء وان اليه المصير (وهكذا نجد ـ عادة ـ هذه الكلمة تأتي مع التذكرة بالاخرة).

قال الله تعالى: «خلق السموات والارض بالحق، وصوركم فاحسن صوركم، واليه المصير»(١).

١١ ـ الوعد الحق:

ومادامت السموات والارض قائمة على اساس الحق، فان ذلك يهدينا الى اسم الله «الحق» وانه لحق كل ما جاء من عنده، فكتابه حق، ورسوله حق، ووعده حق، وقد جاء الوعد الحق ـ في كثير من الموارد ـ للتذكرة بالآخرة، واذ وعد الله شيئاً فلماذا يخلفه؟ هل لضعف او جهل؟ تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً. فوعده حق، وذلك دليل آخر يهدينا الى الحياة الآخرة.

١ ـ قال الله تعالى: «اليه مرجعكم جميعاً، وعد الله حقاً»(٢).

٢ ـ وقال الله سبحانه: «واقسموا بالله جهد ايمانهم، لا يبعث الله من يموت، بلى وعداً عليه حقاً، ولكن اكثر الناس لا يعلمون»(٣).

٣ ـ وعندما يتحقق وعد الله الحق، فانه يجعل ما بناه البشر دكا (مثل سد ذي القرنين) قال الله تعالى:

«فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء، وكان وعد ربي حقاً»(٤).

٤ ـ وهنالك تشخص ابصار الكافرين بذلك الوعد الحق، قال الله تعالى:

«واقترب الوعد الحق، فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا»(٥).

٥ ـ وصدق وعد الله بالجزاء الاوفى في الآخرة، يشهد له ما نجده في الحياة الدنيا

---

(١) التغابن/ ٣.

(٢) يونس/ ٤.

(٣) النحل/ ٣٨.

(٤) الكهف/ ٩٨.

(٥) الانبياء/ ٩٧.

من الجزاء الادنى ، وان وعد الله بكلا الامرين حق ، ويبدوا ان الآية التالية تهدينا الى ذلك ، قال الله تعالى :

«الا ان لله ما في السموات والارض، الا ان وعد الله حق، ولكن اكثرهم لا يعلمون» (١).

٦ ـ ويوم القيامة حين يتلاوم الكفار، ويتبرأ الاتباع من المتبوعين، هنالك يتبرأ اولياء الشيطان منه، كما يتبرأ الشيطان منهم ، ويعترف ـ بعد فوات الاوان ـ بان وعد الله حق ، ويزيد الظالمين ندامة . قال الله تعالى :

«وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق، ووعدتكم فأخلفتكم» (٢) .

٧ ـ وعموماً، وعد الله حق، سواء كان في الدنيا او في الاخرة، وهكذا اعتقد النبي نوح ـ عليه السلام ـ ان وعد الله بنجاة اهله يشمل من انتسب اليه ولو لم يتبعه .

قال الله تعالى حكاية عنه : **«رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق»** (٣).

٨ ـ ونقرأ في قصة اصحاب الكهف كيف نجى الله المؤمنين ، الذين اعتزلوا الكفار وأووا الى الكهف ، ثم اعثر الله عليهم ، ليعلم الجميع ان وعد الله بنجاة المؤمنين حق ، قال الله تعالى :

«وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق» (٤).

٩ ـ وام موسى حين أمرها الله بان تلقيه باليم ، ووعدها بأن يعيده عليها سالماً ، فلما تحقق وعد الله لها ، علمت ان وعد الله حق ، وهكذا الوعد الاكبر في الآخرة حق . فقال الله سبحانه :

«فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ، ولتعلم ان وعده الله حق، ولكن اكثرهم لا يعلمون» (٥).

---

(١) يونس/ ٥٥ .

(٢) ابراهيم/ ٢٢ .

(٣) هود/ ٤٥ .

(٤) الكهف/ ٢١ .

(٥) القصص/ ١٣ .

١٠ ــ وبعد ان أنبأ الله تعالى -في سورة الروم- النبي والمؤمنين، بأن الروم سينتصرون بعد هزيمتهم، وبين ان عليهم ان يسيروا في الارض لينظروا كيف كان عاقبة المشركين، واخبرهم بمصير المكذبين بالرسل، بعد ذلك قال تعالى -في خاتمة السورة-:

«فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون» (١).

١١ ــ وفي سورة فاطر حيث يحذر الله عباده من مغبة الغفلة عن الوعد الحق. ويذكرهم بآياته في الكائنات وفي انفسهم -يحذرهم- في مطلع السورة -من عاملي؛ الغفلة عن وعد الله- وعن الاغترار بالدنيا وبالشيطان، يقول الله تعالى:

«ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور» (٢).

١٢ ــ وفي آية مشابهة، نجد ذات الكلمات في خواتيم سورة لقمان، بعد التحذير من اليوم الموعود، وكذلك نجد آية مشابهة في سورة غافر، فبعد ان يعد الله رسله بأنه سينصرهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد (غافر/ ٥١) يأمر النبي بالصبر مادام الوعد حقاً يقول سبحانه:

«فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك» (٣).

١٣ ــ ثم يبين ربنا لرسوله ما ينتهي اليه مصير الكافرين بالرسل يوم القيامة (غافر/٧٦) ويأمره -مرة أخرى- بالصبر ويقول سبحانه:

«فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون» (٤).

من هنا فان وعد الله الحق، يتحقق -مرة- في الدنيا عند نصرة الرسول على اعداءه، ومرة في الآخرة، حين يقوم الاشهاد عندما ينصرهم في الآخرة.

١٤ ــ والذين يكذبون بوعد الله الحق (وهو وعده الصدق) يحق عليهم القول، وعندئذ لا ناصر لهم من عذاب يومئذ، ويضرب القرآن مثلاً من قصة الرجل المكابر

---

(١) الروم/ ٦٠.

(٢) فاطر/ ٥.

(٣) غافر/ ٥٥.

(٤) غافر/ ٧٧.

(الذي يستهزء بوالديه، بالرغم من انهما يستغيثان الله لعله يؤمن، وعند رفضه يتحقق عليه وعد الله بالعذاب) يقول الله سبحانه :

«والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي، وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق، فيقول ما هذا الا اساطير الاولين، أولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس، انهم كانوا خاسرين» (١).

ترى كيف انتهى امره الى الخسران عندما كذب بوعد الله ؟

١٥ ـ اما الذين يصدقون بوعد الله الحق، فان جزاءهم الجنة خالدين فيها، قال الله تعالى :

«والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار، خالدين فيها أبداً، وعد الله حقاً، ومن اصدق من الله قيلاً» (٢).

١٦ ـ وهنالك عندما يتحقق الوعد الحق (بالنسبة الى المصدقين به والى المكذبين به سواء)، هنالك يجري الحوار التالي الذي يعكس الحقيقة بأجلى صورها .

قال الله تعالى : «ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم، فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين» (٣).

١٧ ـ ومن وعد الله الحق الذي يتحقق في الآخرة، عقبى الصفقة الرابحة التي كانت بينه وبين الاصفياء من عباده (وهم المجاهدون) حيث يقول ربنا سبحانه :

«ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن، ومن اوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم» (٤).

١٨ ـ ومن آثار الايمان بوعد الله الحق، الخلود في الجنة حيث يقول ربنا سبحانه :

«ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها، وعد الله حقاً وهو

---

(١) الاحقاف/ ١٧-١٨ .

(٢) النساء/ ١٢٢ .

(٣) الاعراف/ ٤٤ .

(٤) التوبة/ ١١١ .

العزيز الحكيم»[1].

١٢ ـ الحق يغلب البشر:

١ ـ ومن تجليات الحق، انه يهزم الباطل، ولا احد يستطيع ان يقاومه ويعجزه، فلابد ـ اذاً ـ من الايمان به، قال الله تعالى:

«ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين»[2].

٢ ـ ويظهر الحق جلياً عندما يقف الانسان امام ربه، وهناك يؤخذ منه الاعتراف به، ذلك الاعتراف الذي لو سبق منهم لنفعهم كثيراً.

قال الله تعالى: «ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا»[3].

٣ ـ ومرة اخرى يعترفون به عندما يعرضون على نار جهنم، وقبل لحظات من ورودها هنالك يعترفون، ولكن دون جدوى.

قال الله تعالى: «ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق»[4].

ومادام الاعتراف بالحق سيتم عاجلاً ام آجلاً، فلماذا المعاجزة والمكابرة؟

١٣ ـ الحق يبقى

١ ـ الحق من عند الله وهو الذي يضمن تحقيقه، وكما يبطل الباطل ويدعه زهوقاً، قال الله تعالى: «ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون»[5].

٢ ـ اما المجرمون فيكرهون تحقيق الحق وابطال ما هم عليه من الباطل، ويعاجزون في سبيل منع ارادة الله، ولكنهم يفشلون (وهكذا يكون الايمان بالحق خيراً وافضل عاقبة)

---

(١) لقمان/ ٨-٩.

(٢) يونس/ ٥٣.

(٣) الانعام/ ٣٠.

(٤) الاحقاف/ ٣٤.

(٥) الانفال/ ٨.

وقد يحق الله الحق بكلماته ، التي تبرهن على صدق الحق .

قال الله تعالى : «ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون» [١].

٣ ــ ولان الله عليم بذات الصدور، فان حجته نافذة ، وكلماته تمحي الباطل باذن الله .

قال الله تعالى : «ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور» [٢].

٤ ــ وتلك ارادة الله العليا : ان يحق الحق بكلماته ، لكي يقضي على الكافرين .

(ويهدينا ذلك الى ضرورة المسارعة الى الايمان به وعدم الكفر به) قال الله تعالى :

«ويريد الله ان يحق الحق بكلماته . ويقطع دابر الكافرين» [٣].

٥ ــ والباطل بذاته يفقد الاستمرار، لانه زهوق ، وهكذا تراه يزهق حينما يجيء الحق .

قال الله تعالى : «وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» [٤].

٦ ــ وهكذا يقذف الله بالحق (كتاب الله ، رسول الله ، والآيات المبصرات) على الباطل (الخرافات والاساطير والثقافات الشركية) فيغلب عليه ويتلاشى .

قال الله تعالى : «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق» [٥] .

٧ ــ وكما النور والظلام اذا جاء النور يبدد الظلام فينتهي ، كذلك الحق والباطل .

قال الله تعالى : «قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد» [٦].

٨ ــ والكفار يجادلون بالباطل (يزخرفون الباطل بكلماتهم ، ويكررون الحديث حوله والدعاية له) كل ذلك ليدحضوا به الحق (وهكذا يكون الهدف من كثير من الثقافات تبرير الكفر والشرك ومحاولة دحض الحق) ولكن الله لهم بالمرصاد اذ يأخذهم

---

(١) يونس/ ٨٢.

(٢) الشورى/ ٢٤ .

(٣) الانفال/ ٧.

(٤) الاسراء/ ٨١.

(٥) الانبياء/ ١٨ .

(٦) سبأ/ ٤٩ .

في الوقت المناسب.

قال الله تعالى: «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم»[1].

٩/ وقال الله تعالى: «ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق»[2].

وكمثل على ذلك قولهم على الانبياء انهم سحرة او مجانين او انهم يريدون اخراج الناس من قريتهم، وهكذا.

١٠ ــ ويقضي بالحق عند الاختلاف سواء في الدنيا (عبر رسالته او رسله) او فى الاخرة (عند مواجهة الحقائق) اما الكفار فهم لا يعرفون حقاً ولا يقضون به. قال الله تعالى:

«والله يقضي بالحق، والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء»[3].

١١ ــ وهكذا إذا جاء أمر الله (في الدنيا عند عذاب الاستيصال، وفي الآخرة عند قيام الساعة) قضى الله بالحق، فيما يختلف فيه الناس. (وهكذا الحق واحد لا مرية فيه).

قال الله تعالى: «فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون»[4].

١٤ ــ الحكم بالحق:

١ ــ والله يقضي بالحق، ويحكم بين الناس في الدنيا بالحق، عبر كتبه ورسله واولياءه (وربما تأييده لاهل الحق في القضايا العامة)، اما يوم القيامة فان الله يقضي بالحق في كل صغيرة وكبيرة.

وهذا ما نستوحيه من قوله سبحانه: «وهو خير الفاصلين».

قال الله تعالى: «ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين»[5].

---

(١) غافر/ ٥.

(٢) الكهف/ ٥٦.

(٣) غافر/ ٢٠.

(٤) غافر/ ٧٨.

(٥) الانعام/ ٥٧.

٢ ــ والمؤمنون ـحيث عرفوا ان الله يقضي بالحق ـ سألوا الله ان يفتح بينهم وبين اعداءهم به . قال الله تعالى :

«ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وانت خير الفاتحين»[(١)] .

٣ ــ وقال الله تعالى : «قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم»[(٢)] .

٤ ــ وكتاب الله الذي يحفظ كل صغيرة وكبيرة ينطق بالحق ، وهو الشاهد عليهم الذي به يفتح الله بين الناس ، قال الله تعالى :

«ولدينا كتاب ينطق بالحق» [(٣)] .

٥ ــ ويوم القيامة يقضي الله بين الناس بالحق ، بعد ان يتجلى الحق بكل مظاهره ، واذا بالكتاب (الذي يحتوي على كل حادثة) واذا بالأنبياء والشهداء ، واذا بالناس ، يقضى بينهم بالحق ، ويتمثل هنا بالنار ـحسبا ـ نستلهم من قوله سبحانه : «وهم لا يظلمون» .

قال الله تعالى : «واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون»[(٤)] .

٦ ــ ومرة اخرى ، يؤكد ربنا على ذلك حينما يحكم الله لعباده الصالحين بالحق (ويتمثل هنا بالجنة) .

قال الله تعالى : «وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» [(٥)] .

٧ ــ وقال الله سبحانه : «والله لا يستحي من الحق»[(٦)] .

---

(١) الاعراف/ ٨٩ .

(٢) سبأ/ ٢٦ .

(٣) المؤمنون/ ٦٢ .

(٤) الزمر/ ٦٩ .

(٥) الزمر/ ٧٥ .

(٦) الاحزاب/ ٥٣ .

١٥ ـ هكذا يحق الله الحق :

ويضرب الله مثلاً من قصة يوسف على تحقيق الحق ، حينما اعترفت امرأة العزيز بعد طول انكار بانها كانت هي المذنبة .

قال الله تعالى : «قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ، انا راودته عن نفسه ، وانه لمن الصادقين» (١) .

١٦ ـ الميزان الحق :

والايمان بالحق ، يقتضي اتباعه ، ولكن انى لنا اتباعه من دون معرفته ، ومعرفته قد تكون بالاجمال فلا يكفي لاتباعه بالكامل ، أرأيت لو عرفت حدود ارضك عرفت كيف تتصرف فيها اما اذا لم تعرفها فانك قد تغرس في ارض غيرك ، فلا تكون قد اتبعت الحق تماماً .

كذلك لو عرفت ان فلاناً يطلبك مبلغاً من المال ، دون ان تعرف كميته ، فهل يمكنك الوفاء له بحقه ؟

وهكذا يستدعي الايمان بالحق ، معرفة الميزان الحق الذي يحدد قدره وحدوده ، وهكذا يتطلب الأيمان بالحق وعي الميزان .

قال الله تعالى : «والوزن يومئذ الحق» (٢) .

١٧ ـ بعد الحق ضلال :

١ ـ نقرأ قوله سبحانه وتعالى : «فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فانى تصرفون» (٣) .

هنا جاءت صفة الحق كأسم من اسماء الرب سبحانه وتعالى فهو الرب حقاً .

---

(١) يوسف/ ٥١ .

(٢) الاعراف/ ٨ .

(٣) يونس/ ٣٢ .

وأي شيء لا يستلهم شرعيته من الله سبحانه فهو ضلال، لذلك قال ربنا سبحانه:

«فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون».

٢ ــ ثم ان الباطل زيف زاهق، وبناء منهار، وشجرة مجتثة، ولذلك فهو يتلاشى عند مواجهة الحق.

قال الله تعالى: «فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون»(١).

١٨ ــ جزاء من يترك حظاً من الحق:

١ ــ ومما يسبب الانحراف، ترك بعض الحق، او بتعبير آخر نسيان حظ من الكتاب (ونصيب منه) قال الله تعالى:

«ونسوا حظاً مما ذكروا به»(٢).

٢ ــ كذلك قال الله تعالى: «ومن الذين قالوا انا نصارى، اخذنا ميثاقهم، فنسوا حظاً مما ذكروا به، فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة»(٣).

أرأيت كيف انهم حين تركوا حظاً من الكتاب انتقم الله منهم، فاذا بهم يحترقون بنار الخلافات الى الابد.

ولعل الحظ الذي تركوه، وهو ولاية الله، لانها حبل الله الذي لو اعتصم به المؤمنون دخلوا في حصن الله وأمنوا التفرق.

١٩ ــ الحسد يمنع الحق:

وقد يمنع الانسان عن اتباع الحق الحسد، قال الله تعالى:

«ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم

---

(١) القصص/ ٧٥.

(٢) المائدة/ ١٣.

(٣) المائدة/ ١٤.

من بعد ما تبين لهم الحق»[1].

٢٠ ــ من اتبع الحق هداه الله :

من آمن واتبع الحق هداه الله الى الحقائق التي يختلف فيها الناس، قال الله تعالى: «فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بأذنه»[2].

٢١ ــ ابعاد كلمة الحق :

ما هو الحق ؟

في منطق القرآن الكريم، الحق هو ما يخالف الباطل، والباطل كل وهم وظن وكذب.

فالله هو الحق، وهو الرب الحق، وهو المولى الحق، والله خلق السموات والارض بالحق.

ورسالات الله حق، ورسل الله جاءوا بالحق.

وما يملكه الانسان وفق سنة الهية فهو حق له، وما لا يملكه ليس له بحق.

وفيما يلي نستلهم آفاق معنى الحق من الآيات القرآنية حسب مواقع الكلمة في القرآن.

والآيات التي استوضحنا منها هذه البصائر، ان الله هو الحق، وانه خلق السموات والارض بالحق، وانه نزل الحق، وان رسله جاءوا بالحق، كل هذه البصائر لا نستعرضها من جديد هنا، وانما نكتفي بغيرها مما لم نتعرض لها، ابتداءاً من معناه المخالف للكذب، والوهم، وانتهاءاً بالحق الشخصي، ومروراً بمعنى تحقيق الرؤيا، والحقيقة الكاملة.

---

(١) البقرة/ ١٠٩.

(٢) البقرة/ ٢١٣.

ألف: الحق ولا كذب

الحق -حق لا كذب- ومن الناس من يقص الباطل، اساطير وخرافات لا عبر فيها، ولا بصائر ولا افكار، بينما القرآن يقص الحقائق التي وقعت فعلاً، ويبين ما فيها من سنن الهية قد ظهرت، وما فيها من بصائر وعبر، فهي اذاً -حق بكل ابعادها- من انها وقعت وهي سوف تتكرر وتنفع الناس ايضاً، قال الله تعالى:

١ - «ان هذا لهو القصص الحق»(١).

٢ - وقال الله تعالى: «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق»(٢).

٣ - والظن يخالف الحق، لانه لا يستند على واقع، بل على وهم النفس، فهناك طائفة كانت تعيش لمصالحها فأهمتهم انفسهم (وهكذا افرزت هذه الحالة النفسية وساوس واوهاماً) وظنوا غير الحق.

قال الله تعالى: «وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق»(٣).

٤ - ومن الناس من يغلو في دينه، وانطلاقاً من غلوه الباطل تنتج نفسه افكاراً باطلة -ينسبها الى الله سبحانه- وهكذا يقول غير الحق، فالحق -اذاً- مصدره الواقع وغير الحق مصدره الوهم.

قال الله تعالى: «يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق»(٤).

٥/ قال الله تعالى: «يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق»(٥).

باء: الحق ولا خطأ

١ - والله سبحانه امر نبيه بالخروج من المدينة المنورة لمواجهة الاعداء، وكان فريق

---

(١) آل عمران/ ٦٢.

(٢) المائدة/ ٢٧.

(٣) آل عمران/ ١٥٤.

(٤) النساء/ ١٧١.

(٥) المائدة/ ٧٧.

من المؤمنين كارهون لذلك ، وتبين ان البقاء كان خطأ ، وان الخروج كان هو الحق (فالحق هنا في مقابل الخطأ) . قال الله تعالى :

«كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون»[1] .

٢ ــ والحق يتمثل في الصحيح الصالح حسب سنن الخلق ، وهو يخالف الهوى القائم على الظنون والشهوات والاماني ، قال الله تعالى :

«ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن»[2] .

تدبروا في معاني هذه الآية ، فادامت السموات والارض قائمة على اساس الحق فهي صالحة ، اما لو قامت على الهوى لفسدت ، فالحق اذاً هو سنة الله التي يجريها في الكائنات (النظام الطبيعي حسب تعبيرنا) .

٣ ــ اهل النار يتخاصمون ، وهذه حقيقة واقعة ، وهي ليست خطأ ، او مجرد ادعاء او كلام فارغ ، انه حق (الحق هنا في مقابل الباطل الذي لا وجود له) قال الله تعالى :

«ان ذلك لحق تخاصم اهل النار»[3].

٤ ــ وللموت سكرات تغمر الانسان سكرة بعد اخرى ، والسكرة قد تكون سكرة باطلة (كالذي يشرب الخمر) ولكن سكرة الموت حق ، انها الشدة التي تجعل الانسان في سكرة ، كما يوم القيامة واهواله ، حيث ترى الناس فيه سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

(وهنا الحق يأتي في مواجهة الخيال او الوهم) قال الله تعالى :

«وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد»[4] .

وفي بعض التفاسير: وجاءت سكرة الحق بالموت .

وهي قراءة سعيد بن جبير، وطلحة، ورواها اصحابنا عن ائمة الهدى ـعليهم السلامـ[5].

---

(١) الانفال/ ٥ .

(٢) المؤمنون/ ٧١ .

(٣) ص/ ٦٤ .

(٤) ق/ ١٩ .

(٥) تفسير نور الثقلين ج ٥/ ص ١١١ .

٥ ــ كذلك يوم القيامة يسمع الناس الصيحة، وليست تلك الصيحة وهماً او ظناً، وانما هي بالحق قال الله تعالى:

«يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج»[١].

٦ ــ بينما يوم القيامة حق ترى بعض الناس يكذبون به، كلا انه حق (لا وهم ولا ادعاء)، قال الله تعالى:

«ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مئاباً»[٢].

وقال سبحانه: «ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم»[٣].

٧ ــ ويرى النبي ـصلى الله عليه وآله ـ في المنام انه يدخل المسجد الحرام، ويصدق الله تلك الرؤيا بالحق.. وكذلك تتحقق تلك البشارة الالهية (لعل الحق هنا بمعنى التحقق وانه واقع فعلاً) قال الله تعالى:

«لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق»[٤].

جيم: الحق من جميع الابعاد

١ ــ الحق قد يأتي بمعنى الشمول والكمال من جميع الابعاد، قال الله تعالى:

«وما قدروا الله حق قدره»[٥].

٢ ــ وقال الله تعالى: «وجاهدوا في الله حق جهاده»[٦].

٣ ــ وقال الله تعالى: «ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم»[٧].

٤ ــ وقال الله تعالى: «يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق»[٨].

---

(١) ق/ ٤٢.

(٢) النبأ/ ٣٩.

(٣) الواقعة/ ٩٥-٩٦.

(٤) الفتح/ ٢٧.

(٥) الانعام/٩١، الحج/ ٧٤، الزمر/ ٦٧.

(٦) الحج/ ٧٨.

(٧) الواقعة/ ٩٥-٩٦.

(٨) النور/ ٢٥.

اي جزاءهم الاوفى .

٥ ــ ولعل هذا معنى الآية التالية :

«هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً»[١].

على ان يكون الحق صفة للولاية .

دال : الحق الملك

وقد يكون الحق بمعنى امتلاك الشيء ، او نوع سلطة للانسان على الشيء ، بنسبة معينة يبينها الوحي والعقل .

فالانسان مسلط على نفسه وعلى فعله ، وعلى ماله ، ومسخرة له الطبيعة حسب السنة الالهية .

١ ــ والله سبحانه جعل للدين احكاماً ، منه ان يكتب ، وان يملي الذي عليه الحق (المدين وهو المقترض) ليكون اعترافاً منه ، عند طلب القرض ، فقال الله سبحانه :

«فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه»[٢].

فالحق هنا ذلك الدين الذي يعطيه صاحب المال للمقترض الى اجل (وهذا هو الحق القانوني) .

٢ ــ والنبي عيسى -عليه السلام- يقف امام ربه ، فيسأله : هل قال للناس ان يعبدوه ؟ فينكر ويقول ليس ذلك من حقي ، قال الله تعالى :

«قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق»[٣] .

٣ ــ فالحق هنا هو حدود صلاحية النبي ، فهي محدودة ببلاغ الرسالة ، وليس ادعاء الالوهية قال الله تعالى :

«ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من

---

(١) الكهف/ ٤٤ .

(٢) البقرة/ ٢٨٢ .

(٣) المائدة/ ١١٦ .

دون الله» [1].

فالحق هنا السلطة على الشيء ومدى صلاحية النبي في التصرف في ابعاد الرسالة .

٤ ـ ليست لاحد سلطة اخراج الناس من بلادهم ، لمجرد انهم يوحدون ربهم ، قال الله تعالى :

«الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، الا ان يقولوا ربنا الله» [2].

فالحق هنا ايضاً السلطة او الصلاحية .. (الممنوحة من عند الله لشخص او دولة) .

٥ ـ يختلف الناس فيما بينهم على الاموال ، بعضهم على حق فيها ، وبعضهم يدعي باطلاً ، ولابد من الرجوع الى الدين وقبول حكمه لهم ، او عليهم ، ولكن المنافقين اذا كان لهم الحق يعترفون به ، وان كان عليهم يرفضونه قال الله تعالى :

«وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين» [3].

فالحق هنا هو المال أو السلطة او الملك ـ وبالتالي ـ ان تكون دعواهم هي الصحيحة .

٢٢ ـ آفاق الايمان بالحق :

١ ـ حينما يؤمن القلب ، تخشع الجوارح ، وهكذا يصف ربنا طائفة من المؤمنين بالحق ، العارفين به فيقول الله تعالى عنهم :

«ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق» [4] .

٢ ـ ويلتزم العارف بالحق قولاً به ، فلا ينطق الا ما يعرفه منه ، وبالذات فيما يتصل بالوحي (مصدر شرعية الحق) يقول الله تعالى :

«ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق» [5] .

---

(١) آل عمران/ ٧٩ .

(٢) الحج/ ٤٠ .

(٣) النور/ ٤٩ .

(٤) المائدة/ ٨٣ .

(٥) الاعراف/ ١٦٩ .

٣ ــ والانبياء ـعليهم السلام ـ كانوا القدوة في القول بالحق ، قال الله تعالى :

«حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق»(١).

٤ ــ ولان الحق محور الحياة ، فان المؤمن لا يكتفي فيه بالظن ، لانه لا يغني عنه شيئاً ، قال الله تعالى :

«ان الظن لا يغني من الحق شيئاً»(٢).

٥ ــ اما الذين يقولون على الله غير الحق ، فان جزاءهم عذاب الهون يوم القيامة ، قال الله عزوجل :

«اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق»(٣).

٦ ــ بينما المؤمنون بالحق جزاؤهم الأمن يوم القيامة ، لانهم آمنوا به في الدنيا . قال الله تعالى :

«حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق»(٤).

وفسروا «فزع» ان الفزع خرج عن افئدتهم ، فلا خوف يومئذ عليهم ولا هم يحزنون .

٢٣ ــ الدعوة الى الحق :

١ ــ والمؤمنون يدعون ربهم بان ينصر الحق ، ويقضي به بينهم وبين اعداءهم ، وبالرغم من ايمانهم بان لهم الحق ، ولكنهم حين يدعون لانفسهم لا ينسون معيارهم المتمثل في الحق ، قال الله تعالى :

«ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق»(٥).

٢ ــ والحق محور دعوة المؤمنين ، فهم يهدون بالحق ، ويتحاكمون اليه ، قال الله

---

(١) الاعراف/ ١٠٥ .

(٢) يونس/ ٣٦ ، النجم/ ٢٨ .

(٣) الانعام/ ٩٣ .

(٤) سبأ/ ٢٣ .

(٥) الاعراف/ ٨٩ .

تعالى :

٣ ــ «ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون»[١].

٤ ــ وقال الله تعالى : «وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون»[٢].

٥ ــ وقد أمر الله تعالى رسوله بأن يصدع بما انزل اليه من ربه من الحق ، فقال الله سبحانه :

«فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين» [٣].

٦ ــ وفي طريق دعوته الى الحق ، عليه ان يستقيم ويتحمل كل الصعاب .

عن ابي حمزة قال : قال ابو جعفر ـ عليه السلام ـ : (لما حضرت علي بن الحسين ـ عليهم السلام ـ الوفاة ضمني الى صدره وقال : يا بني اوصيك بما اوصاني به ابي حين حضرته الوفاة ، وبما ذكر ان اباه اوصاه به : يا بني اصبر على الحق وان كان مراً)[٤].

قال الله تعالى : «فلذلك فادع واستقم كما امرت»[٥].

٧ ــ وعلى الرسول ان يدعو الى الحق كله ، ولا يخشى احداً ، فيخفي جانباً من الحق ، ويذيع غيره ، وفي مقابل دعوته الصريحة وعده الله بالنصر ، فقال الله تعالى :

«يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين» [٦] .

---

(١) الاعراف/ ١٥٩ .

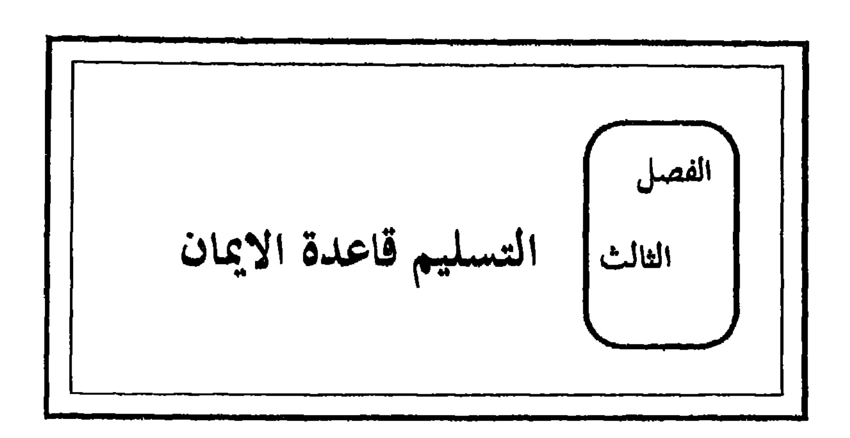
(٢) الاعراف/ ١٨١ .

(٣) الحجر/ ٩٤ .

(٤) جهاد النفس باب ١٩ حديث ٣ .

(٥) الشورى/ ١٥ .

(٦) المائدة/ ٦٧ .



يتنازع الحق والباطل نفس البشر، فيغلب هذا حيناً وذاك احياناً ، ويبقى قلب الانسان متقلباً بين اتباع الحق والخضوع للهوى حتى يغلب احدهما ، فاذا سلم الانسان قياده كلياً للحق ، فقد أمن ، واطمأنت نفسه ، واذا استسلم للهوى بصورة مطلقة ، فقد كفر وطبع على قلبه .

وفي هذه النقطة بالذات تجري ام معارك البشر التي لو خسرها لا ينفعه ان يربح غيرها ، ولو ربحها لا يضره ان يخسر ما سواها .

والقرآن الكريم هو كتاب الايمان ، والايمان صبغته العامة ، والايمان مركز اهتمامه وينبوع فيضه ، ومبعث انواره . ومن هنا فانه يفسر حقائقه من جميع الابعاد ، وحين يذكرنا بالتسليم الذي يشكل اهم تجلياته ، يبدأ بالتذكرة بأن الله هو خالق كل شيء ، وانه اسلم له من في السموات والارض ، فلماذا يتمرد عليه البشر؟ ثم يذكرنا بالتسليم وحقائقه وآثاره عبر قصص حقيقية من صميم حياة البشر فوق هذا الكوكب ، ابتداءاً من لحظة اخبار الرب ملائكته بأنه جاعل في الارض خليفة ، حيث تساءل الملائكة عن حكمة ذلك مع علمهم بالفساد الذي سوف ينشره البشر وسفكهم الدماء البريئة ، وانتهاءاً بقصة خروج آدم من الجنة ، حيث طعم من الشجرة المحرمة ، ومروراً بأم المعاصي حيث استكبر ابليس عن السجود لآدم .

فالملائكة حين اعترضوا -بأدب- فقد تجاوزوا حدهم ، اذ كان المفروض عليهم ان يسلّموا لله عندما اخبرهم بإرادته .. ولكنهم عرفوا -بعدئذ- ان اعتراضهم كان خطأ ،

حيث علم الله آدم الاسماء التي كانت الملائكة جاهلة بها ، وامره بأن يعلمهم اياها .

اما آدم فقد غسل خطيئته بالتوبة ، الا ان آثار عصيانه (وعدم تسليمه) بأية درجة كان لازالت باقية ، اذ اخرج ذريته من الجنة .

وتختلف الصورة تماماً عند ابليس ، الذي لازال متمرداً حتى اليوم ، وهذه مراتب عدم التسليم من الاعتراض عند الملائكة ، الى الاكل المحرم ، ثم التوبة عند آدم وزوجه ، الى التمرد والاستمرار في الغي ، كلها عبر ، ولكن درجاتها تختلف وهي تعلمنا ضرورة التسليم لله ليكون قاعدة للايمان ، وفيما يلي نفصل القول في هذه البصائر بإذن الله تعالى .

١ ـ بين التسليم والايمان

قال الله سبحانه :

«الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين»[١] .

نهتدي من خلال التأمل في هذه الآية الى ان الايمان والتسليم (الاسلام) حقيقة واحدة .

وهكذا جاء في حديث شريف عن احمد بن محمد خالد عن بعض اصحابنا رفعه ، قال ، قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ :(لأنسبن الاسلام نسبة لا ينسبه احد قبلي ولا ينسبه احد بعدي الا بمثل ذلك : ان الاسلام هو التسليم ، والتسليم هو اليقين ، واليقين هو التصديق ، والتصديق هو الأقرار ، والاقرار هو العمل ، والعمل هو الاداء ، ان المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن اتاه من ربه فأخذه ، ان المؤمن يرى يقينه في عمله ، والكافر يرى انكاره في عمله ، فوالذي نفسي بيده ما عرفوا امرهم ، فاعتبروا انكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة[٢] .

٢ ـ لماذا التسليم لله ؟

تحفزنا الى التسليم لله ـ والذي يتمثل في اتباع دينه وطاعة وليه ـ عدة بصائر :

(١) الزخرف/ ٦٩ .

(٢) الكافي ج٢/ ص٤٦ باب نسبة الاسلام .

اولاً: ان السموات. والارض قد اسلمت لرب العالمين افنشذ ـنحن البشرـ عن ذلك؟ اننا اذا اسلمنا لله انسجمنا مع فطرة الخلق التي تحيط بنا؛ اما اذا تمردنا فان كل شيء من حولنا يتمرد علينا لان كل شيء طائع لرب العالمين قال الله سبحانه:

١ ــ «افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض»(١).

ثانياً: وقصة خلقه الانسان، تهدينا الى ضرورة التسليم لان الملائكة اخطأوا حين اعترضوا على ربهم ولم يسلموا له تسليماً عندما انبأهم بانه جاعل في الارض خليفة، وبان خطأهم في اللحظة التي عرض عليهم اولئك الانوار وسئلوا عن اسماءهم فلم يعرفوا، وعلمهم آدم خليفة الله في الارض اسماءهم، وهكذا ظهرت لهم حكمة جعل الله في الارض خليفة.

اما ابليس فقد لعن اشد اللعن بسبب عصيانه، وعدم تسليمه لامر الله بالسجود لآدم.

بينما أخرج آدم وزوجه من الجنة عندما أكلا من الشجرة المنهية.

وهكذا كانت نتيجة التمرد على الله وعدم التسليم له سيئة جداً، فاذا كان الذنب (عدم التسليم) في صورة اعتراض قولي أثمر الخيبة (عند الملائكة) واذا كان تمرداً عملياً اثمر (اللعنة) عندابليس، واذا كان أكلاً محرماً اثمر الخروج من الجنة (عند آدم وزوجه).

كل ذلك يحفزنا الى التسليم لله وعدم التمرد عليه، تعالوا نتدبر في قصة خلقنا الاول ونتعلم منها تسليماً تاماً لرب العالمين.

٢ ــ قال الله تعالى: «هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً، ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم، وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال اني اعلم ما لا تعلمون، وعلم آدم الاسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة، فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم انبئهم باسماءهم، فلما انبأهم بأسماءهم، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب

(١) آل عمران/ ٨٣.

السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون، وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، وكلا منها رغداً حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها، فأخرجهما مما كانا فيه، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم»[1].

وعن قصة إعتراض الملائكة جاء في الحديث المروي عن الامام الباقر -عليه السلام- كان ذلك تعصباً منهم فأحتجب (الرب بنوره) عنهم سبع سنين فلاذوا بالعرش يقولون: لبيك ذا المعارج لبيك، حتى تاب عليهم، فلما اصاب آدم الذنب طاف بالبيت حتى قبل الله منه[2].

ثالثاً: وبنوا اسرائيل لم يسلموا للحق، وجرفتهم عاصفة الفتنة، حين غاب عنهم نبيهم وقائدهم موسى بن عمران اربعين يوماً فلم يصبروا، ومن هذه القصة التي نتلوها مراراً في آيات الذكر، نستوحي ان التسليم للحق انما يصعب عند مخالفته لهوى النفس، ومع تطور الظروف المعاكسة.

٣ ـ يقول الله تعالى: «واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون، واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون، واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل، فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم، ذلكم خير لكم عند بارئكم، فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم»[3].

وبنو اسرائيل -بعد فتنة العجل- استعادوا وعيهم وتابوا الى الله سبحانه، وفازوا في الامتحان الثاني والصعب جداً، حين امرهم موسى بأن يقتلوا انفسهم ففعلوا فتاب الله عليهم. ومن هذه القصة نعرف: مدى صعوبة التسليم -احياناً- ولكنه السبيل الوحيد الى

---

(١) البقرة/ ٢٩-٣٨.

(٢) تفسير الصافي في ج١/ ص١١٠.

(٣) البقرة/ ٥١-٥٤.

الفوز بـرضوان الله سبحانه ، فلابد ان نسلكه ابداً .

رابعاً : وقد اخذ الله من بني اسرائيل ميثاقاً غليظاً على الاخذ بما انزل عليهم ، وعدم التهاون فيه ، ويبدو انه الجانب الظاهر للتسليم للحق .

٤ ــ قال الله تعالى : «واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور، خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون» (١).

خامساً : التسليم لله سبحانه شرط اساسي للهداية الى الحق ، وتعود الآيات لتأكيد هذه القيمة وبيان شروطها الايجابية بعد ان بينت الآيات الشروط السلبية التي تعترض طريقها .

فحين يزكى القلب من حجب الضلالة مثل هوى النفس ، والعصبية والاماني والظنون وبالتالي من العنصرية ، ومن كل العقبات التي تعترض سبيل الهداية . هناك تنفع آيات الكتاب من يتلوها حق تلاوتها ، يقرأها ليسلم بها ، ليعقلها ، ويرتفع الى مستوى تلقيها بالتدبر فيها ، والعزم الراسخ لتطبيقها ، هناك فقط يتجلى الايمان الحق ، ويتميز المؤمنون حقاً بالكتاب ، عمن هم منها في شك .

٥ ــ قال الله سبحانه : «الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون» (٢).

وقد سمى الحديث الشريف التالي التسليم (العروة الوثق) حيث جاء في كتاب المحاسن مرفوعاً عن ابي عبدالله ـعليه السلامـ قال : كل من تمسك بالعروة الوثق فهو ناج ، قلت ما هي ؟ قال : التسليم (٣).

٣ ــ ابراهيم مثل التسليم :

ولقد بلغ النبي ابراهيم ـعليه السلامـ ذروة التسليم لله سبحانه ، فجعله الله للناس

---

(١) البقرة/ ٦٣.

(٢) البقرة/ ١٢١.

(٣) بحار الانوار ج٢/ ص٢٠٤.

اماماً، ألم يسلم نفسه للنيران؟ ألم يسكن ذريته عند بيت الله وسلم لامر الله بذلك ؟ الم يسلم ابنه للذبح ؟ الم يعرض عليه الله الولاية للنبي محمد واهل بيته ـ عليه وعليهم السلام ـ فسلم نفسه لها ؟

١ ـ لقد قال الله تعالى : **«واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين»**(١) .

ويبدو ان الكلمات التي اتمهن كانت تتصل بعهد الولاية وشروطها وابعادها ، وان الأبناء لم يكونوا صالحين لها ماداموا ظالمين .

٢ ـ وفي آية مباركة يصف القرآن منتهى التسليم عند ابراهيم وابنه الذبيح اسماعيل ، حيث يذكرنا بأبعاد هذه الصفة الايمانية عندهما . عندما نجد ابراهيم الشيخ الذي انتظر طويلاً حتى رزق ولداً حتى إذا كبر هذا الولد ـ أي اسماعيل ـ واصبح اليوم شاباً يملأ قلبه فرحاً وسكينة ، يستعد لذبح هذا الفتى المؤمن بيده ، كما نرى هذا الشاب الذي يستقبل الحياة بكل أمل ، يتقبل الامر الالهي بكل ترحاب ! انه تجلٍ عظيم لروح التسليم لله ، قال الله تعالى :

«فلما اسلما وتله للجبين»(٢) .

٣ ـ وبيت الله الحرام ، جعله الله مثابة للناس وأمناً ، ولكنه امر ان يطهر من الاوثان ، والاوثان اكبر عقبة في طريق التسليم لله الواحد :

قال الله تعالى : **«واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً ، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود»**(٣) .

٤ ـ وكان ابراهيم حين يرفع قواعد البيت واسماعيل وهما يدعوان الله بأن يرزقهما حالة التسليم ، وان يجعل من ذريتها امة مسلمة لله ، مما يهدينا الى ان التسليم هو ذروة التكامل الايماني ، قال الله تعالى :

---

(١) البقرة/ ١٢٤ .

(٢) الصافات/ ١٠٣ .

(٣) البقرة/ ١٢٥ .

«واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل، ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا، وتب علينا انك انت التواب الرحيم»[1].

٥ ــ وانما بلغ ابراهيم تلك الدرجة العليا، بتسليمه لله سبحانه، حيث قال الله سبحانه عن (حكمة اصطفاءه له):

«ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه، ولقد أصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين، اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين»[2].

٦ ــ هكذا كانت درجة التسليم لله رب العالمين ـ روح الايمان، وجوهره ومنطلقه وقد كانت وصية الانبياء لذريتهم ذلك، فهذا يعقوب الجد الاعلى لامة بني اسرائيل، يوصي ابناءه عند موته بذلك، يقول الله سبحانه:

«ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب، يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون»[3].

إذاً ـ هذا ـ هو الدين الذي اصطفاه لعباده الصالحين، وهو التسليم التام لله رب العالمين.

٧ ــ والراسخون في العلم، هم المسلمون لامر الله، ذلك لان التسليم اساس الهداية، فمن لم تطمئن نفسه الى الحق، واتبع هواه، كيف ينتفع بآيات الحق ودلائله؟.

قال الله تعالى: «وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به، كل من عند ربنا، وما يذكر إلّا أولوا الألباب»[4].

هكذا نرى التسليم لما انزل الله، والايمان به جملة واحدة، حتى ولو لم يحط الفرد به علماً تفصيلاً، نرى انه يصبح سبباً للرسوخ في العلم، والاهتداء الى تأويل المتشابهات.

٨ ــ والاسلام ـ الذي هو التسليم لله وحده ـ هو الدين الاحسن، لانه ميراث

---

(١) البقرة/ ١٢٧.

(٢) البقرة/ ١٣٠.

(٣) البقرة/ ١٣٢.

(٤) آل عمران/ ٧.

ابراهيم الخليل -عليه السلام-، وهو الحنفية الطاهرة، يقول الله تعالى:

«ومن احسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلاً»(١).

فلكي يتخلص الانسان من دائرة الشرك، التي تحيط بعبدة الاصنام، ولكي يستريح في أمان من شرك الشيطان، ومن مشاكل المتمردين الذين يسعون للتخلص من المسؤولية، لكل ذلك علينا ان نسلم الوجه لله رب العالمين، ذلك ان التسليم ليس فقط يصوننا من اطماع ابليس وانما يسهل علينا -ايضاً- تحمل المسؤولية. والتسليم يكون لله ولرسله حسب الحديث المأثور:

عن ابي بصير قال: سألت أبا عبدالله -عليه السلام- عن قول الله عزوجل: **«ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً»** قال: (الصلاة له، والتسليم له في كل شيء جاء به)(٢).

/ التسليم للحق لا للتقاليد:

١ ــ التسليم لله وللرسالة التي انزلها، والقيم الحق التي فيها (دون الاسماء التي ما انزل الله بها من سلطان) انه جوهر التوحيد، وروح التعاليم الالهية، ومنطلق التحرر من الجمود، والتقليد والتبعية، -وبالتالي- من كل الاصنام التي تقف دون تقدم الانسان وتطوره وتكامله، ومن دون الارتفاع الى هذا المستوى من التوحيد، لا يهتدي البشر الى الحق، لان هذه الاسماء تحجبه عن الحقائق، وقد ذكرت آيات سورة البقرة بهذه البصيرة وضربت مثلاً من قصة القبلة التي كانت -في البدء- باتجاه المسجد الاقصى ثم تبدلت الى المسجد الحرام، مما أثار اعتراض البعض الذي بينه القرآن حيث قال الله سبحانه:

«سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم»(٣).

---

(١) النساء/ ١٢٥.

(٢) بحار الانوار ج٢/ ص٢٠٤.

(٣) البقرة/ ١٤٢.

هكذا رد القرآن اعتراضهم بقوة، فان العلاقة حين تكون بالله «رب المشرق والمغرب» فانه تضيق المسافات، وتذوب الحواجز، وتنصهر الفوارق، وينفتح افق الانسان على الحقائق المطلقة، فيهتدي -باذن الله تعالى- الى الحق الواضح.

٢ ــ قال الله تعالى: «ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم»(١).

٣ ــ وجعل الله معيار الايمان والاتباع الحق النازل من عند الله بعيداً عن اي اعتبار آخر، فقال الله سبحانه:

«قد نرى تقلب وجهك في السماء، فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره، وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون»(٢).

وهكذا كان الفرق بين العالم والجاهل، هو ارتباط العالم بالحق -يدور معه انى اتجه- بينما يرتبط الجاهل بالاسماء وبالتقاليد التي جرى عليها.

٥ / التسليم للحق لا للحمية:

١ ــ الهوى يتمثل في الحمية، حمية الدم والقوم والاقليم، أو حمية الفئة والتجمع والطائفة، والتسليم للحق يعني مواجهة هذه الحميات جميعاً.

وان المعيار للهداية ليس طائفة اليهود، او طائفة النصارى، وانما ملة ابرهيم الذي حطم الاوثان وحنف عنها، ولم يكن من المشركين، وما هي ملة ابراهيم؟ انها الاسلام الذي يعني التسليم لله، ولما انزله الله على الانبياء جميعاً دون تفريق بين احد منهم.

قال الله تعالى: «وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، قولوا آمنّا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له

---

(١) البقرة/ ١١٥.

(٢) البقرة/ ١٤٤.

مسلمون»[1].

٢ ـــ والتسليم لله هو الخط الجامع لكل اهل الحق، ورفض الحق انى كان هو الشقاق وهو ـ بالتالي ـ الخروج عن الشرعية الالهية، والشذوذ عن سنة الله.

قال الله تعالى: «فان آمنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم»[2].

هكذا اصبح التسليم هو الايمان وهو سبيل الهدى وبه التأييد الالهي، وقد جاء في الحديث المأثور عن عبدالله بن مسكان عن كامل التمار، قال: قال ابو جعفر ـ عليه السلام ـ: (يا كامل اتدري ما قول الله عزوجل: «قد افلح المؤمنون») ؟ قلت: جعلت فداك افلحوا وفازوا وادخلوا الجنة، قال: (قد افلح المسلمون ان المسلمين هم النجباء)[3].

٦ / التسليم صبغة الله:

وهذا التسليم (الاسلام ـ الايمان بكل الحق) هو الصبغة الالهية التي لابد ان تشيع في كل آفاق الحياة.

«صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون»[4].

والعبادة هي مظهر ذلك التسليم القلبي الذي يصبغ حياة المؤمن في كل ابعادها.

٧ / التسليم القلبي للحق:

ابرز القيم التسليم القلبي للحق، بحيث لا يجد المؤمن في قلبه حرجاً من الحق، ومن تحققاته وابعاده، وبذلك يكتسب السكينة والرضا.

اذا رأيت جبلاً اشم فلا تقل لم خلقه الله بهذا الحجم، بينما انا الانسان لا استطيع

---

(١) البقرة/ ١٣٥-١٣٦.

(٢) البقرة/ ١٣٧.

(٣) بحار الانوار ج٢/ ص١٩٨.

(٤) البقرة/ ١٣٨.

ان ابلغه طولاً .

واذا صرف نظرك تلقاء صحراء واسعة ، فلا تتحدى خلقة الله ، بل آمن بها وسلم بها نفساً ولا تقل لم لا استطيع ان اخرق هذه الارض ؟

وكذلك اذا انزل الله كتاباً فيه نور وهدى ، فلا يكن في صدرك حرج منه ، لانه كتاب الله الذي لا ريب فيه ، قال الله تعالى :

«كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه»(١) .

وهكذا الايمان بالحق يتطلب التسليم قلباً به ، حتى يغمر وعي الحق ارجاء النفس ويطيب به رضاً .

٨ / التسليم العملي للحق :

١ ـ ويفيض التسليم القلبي نوراً على الجوارح ، فتبسلم بالكتاب عملاً ، وينعكس ذلك على اتباع الكتاب ، قال الله تعالى :

«اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم» (٢) .

٢ ـ ومن دون التسليم يخشى نزول العذاب .

قال الله تعالى : «وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة»(٣) .

٩ / الطاعة والتسليم للرسول :

١ ـ ومن ابعاد التسليم العملي ، طاعة الرسول (وولي الامر المطاع بأذن الله) في شأن القضاء .

قال الله تعالى : «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في

---

(١) الاعراف/ ٢ .

(٢) الاعراف/ ٣ .

(٣) الزمر/ ٥٤ـ٥٥ .

انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً»[1].

التسليم للرسول يعني عدم وجود ضيق نفسي من احكامه ، وبالذات القضائية منها ، والتي قد تكون ضد مصالح الانسان حقاً عندما تصل الامة الى مستوى فض الخلافات عند الرسول دون ان يجد الواحد منهم اي حرج في نفسه من احكامه ، فأنها قد بلغت شأناً بعيداً في الايمان.

وانما التسليم للرسول واجب لانه تسليم لله وللحق الذي انزله الله عليه ، ولانه يتوافق وتلك الفطرة التي اركزها الله في قلب كل انسان ، الا ترى ان الرسول يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وانه يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، وانه يضع عنهم اصرهم الذي اثقل كواهلهم ، ويفك عنهم قيودهم التي حملوها على انفسهم.

٢ ــ اذاً التسليم لله والحق المرتكز في العقل والذي يدعو اليه الرسول ، هو المطلوب ، ولكن التسليم ليس مجرد عقد ونية في القلب ، بل هو ـ ايضاً ـ ايمان واحترام ونصرة واتباع للكتاب. والذين يسلمون للرسول بهذا المستوى ، هم المفلحون الذين يبلغون اقصى اهداف حياتهم.

قال الله تعالى : «الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون»[2].

وهكذا جاء في الحديث عن صفوان بن يحيى ، عن الكاهلي ، عن ابي عبدالله ـ عليه السلام ـ انه تلا هذه الآية :

«فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً» فقال : لو ان قوماً عبدوا الله ووحّدوه ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : لو صنع كذا وكذا ، أو وجدوا ذلك في انفسهم كانوا بذلك

---

(١) النساء/ ٦٥.

(٢) الاعراف/ ١٥٧.

مشركين، ثم قال:

«فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً» قال: هو التسليم في الأمور[1].

وعن عبدالله بن سنان عمن ذكر عن ابي عبدالله -عليه السلام-، قال: قلت: بأي شيء يعلم المؤمن انه مؤمن؟ قال: (بالتسليم لله والرضا فيما ورد عليه من سرور وسخط)[2].

١٠ / صلاة وتسليم:

لان الله وملائكته يصلون على النبي -صلى الله عليه وآله- فان المؤمنين يصلون عليه (ويدعون له ويحيونه بأحسن التحية) ويسلمون تسليماً، فهم يصدقون به قولاً (بالصلاة) وعملاً (بالتسليم).

قال الله تعالى: «ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً» [3].

١١/ التسليم للسنن:

لله في خلقه سنن، تمثل في الشرائع الحاكمة في الخليقة (التي نسميها بالانظمة الطبيعية) والمؤمن بالله يسلم لسننه، فلا يتمرد عليها، ولا يطغى وانما يسخرها لتطلعاته، ويعمر الارض بها، وليست هذه السنن قاهرة لارادة الله، الذي استوى على العرش بقدرته التي لا يحدها شيء، فانما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون، بلى هو القاهر على كل شيء.

١ ـ وعلينا نحن -كبشر- ان نخضع لتلك السنن، لانها سنن حق، من هنا قال الله

---

(١) بحار الانوار ج٢/ ص١٩٩.

(٢) الكافي ج٢/ ص٦٣.

(٣) الاحزاب/ ٥٦.

«قوله الحق» فهو سبحانه وتعالى، يجري تلك السنن، ويحكم بتلك السنن، ويضمن تطبيق تلك السنن، فعلينا ان نسلم لتلك السنن.

قال الله تعالى: «وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق»(١).

٢ ــ قال الله تعالى: «إنما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون»(٢).

وهنا التسليم هو الرضا بقضاء الله. حيث جاء في حديث شريف: عن ابي عبدالله الصادق -عليه السلام- انه سئل: بأي شيء يعلم المؤمن بانه مؤمن؟ قال: (بالتسليم لله، والرضا فيما ورد عليه من سرور او سخط)(٣).

١٢/ التسليم لولاية الله:

التسليم لله يتمثل عملاً في الاحتماء به، والدخول في حصنه، والسكون الى وعده، وانتظار نصره. و-بتعبير آخر- الدخول في كهف رحمته وحصن عزته.

١ ــ وحين يدخل الانسان في حصن الله وولاية الله يستعيذ به عن ولاية الشيطان، وعن إرهاب الطغاة، وعن الخوض مع المجتمع الفاسد، قال الله سبحانه:

«ان وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين»(٤).

٢ ــ ولعل من ولاية الله تذكره عندما يمس المؤمن طائف من الشيطان قال الله تعالى:

«انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون»(٥).

٣ ــ فترى كيف ان الكافر يصبح ولياً للشيطان لأنه لم يتحصن بولاية الرحمن!

وقال الله تعالى: «فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء

---

(١) الانعام/ ٧٣.

(٢) يس/ ٨٢.

(٣) الكافي ج٢/ ص٦٣.

(٤) الاعراف/ ١٩٦.

(٥) الاعراف/ ٢٧.

من دون الله ويحسبون انهم مهتدون»[1].

٤ ـــ وولاية الله ينبغي ان تكون خالصة ، وقال الله تعالى :

«ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون»[2].

من هذه الآية نستوحي قيمة اساسية هي قيمة الخلوص في الولاء لله وللرسول وللمؤمنين ، وعدم خلط الولاء بولاءات اخرى وهو الايمان الخالص الذي هو قيمة لا تقاس بسائر القيم .

١٣/ اعلان الولاء :

١ ـــ والتسليم يقتضي المبادرة الايجابية كما يقتضي تحدي الضغوط .

والمبادرة الايجابية تقتضي المسارعة في اعلان الولاء .وعدم انتظار الآخرين ، ومن هنا نعرف لماذا يؤكد القرآن الحكيم على ان يكون الفرد اول من يسلم .

ويبدو ان ذلك من خصائص الولاية الالهية . حيث انها علاقة بين الفرد وربه ، فلماذا ينتظر سائر البشر؟ قال الله تعالى :

«قل اغير الله اتخذ ولياً فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان أكون أول من اسلم ولا تكونن من المشركين»[3].

صحيح ان هذا الامر متوجه الى الرسول ولكنه لا يختص به ، وانما كل مسلم تشمله ـ عادة ـ الخطابات التي تتوجه في القرآن الكريم الى النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ سواء كانت بصيغة أمر او نهي كما في الآية التالية :

٢ ـــ قال الله تعالى : «قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني

---

(١) الاعراف/ ٣٠.

(٢) التوبة/ ١٦ .

(٣) الانعام/ ١٤ .

البينات من ربي وأمرت ان اسلم لرب العالمين»[1].

٣ ــ قال الله تعالى : «لا شريك له وبذلك أمرت وانا اول المسلمين»[2].

١٤/ التسليم لما تكرهه النفس:

١ ــ لا يتوافق التسليم ـ في الاغلب ـ مع اهواء النفس ، فعلى المؤمن ان يوطن نفسه سلفاً بقبول الحق والتسليم له ، برغم كراهية نفسه له ، ويضرب لنا القرآن الكريم مثلاً من واقع الحرب كأوضح مثال على ما يكرهه الانسان ، وهو حق لابد منه فيقول سبحانه :

«كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون»[3].

الحق ـ هذه المرة ـ يتجلى في تقدير الهي يقضي بخروج النبي من بيته ، والمؤمن لابد له ان يعترف بهذا الحق ، وهو الشيء المتحقق فعلاً ، والمنسجم مع سنن الله ، ومع ارادة الله ، وهو محور الايمان ، لان الايمان بالحق محور سائر القيم المثلى في الاسلام .

٢ ــ قال الله تعالى : «وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين»[4].

وهكذا نجد ان كلمة «وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم» تدل على ان الانسان ، وبسبب جهله ، لا يحب الاخطار ، واذا اكتنفت الاخطار الحق ، فانه ـ بالطبع ـ لا يحب ذلك الحق ويقول ربنا : «وتودون ان غير ذات الشوكة» اي تودون ان تواجهوا العير وليس النفير ـ في القصة المعروفة في بدر ـ حيث كانوا يريدون ملاحقة القافلة التجارية وليس مواجهة القوة العسكرية .. ولكن الانسان يجب ان يتكامل ، ويصل الى الحق والايمان به ويقول ربنا : «ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين» .

فقد تكون المواجهة العسكرية افضل لانها قد تؤدي الى قطع دابر الكافرين ، والى

---

(١) غافر/ ٦٦ .

(٢) الانعام/ ١٦٣ .

(٣) الانفال/ ٥ .

(٤) الانفال/ ٧ .

نشر رسالة الله .

٣ ــ وعموماً الحرب ظاهرة تكرهها النفس البشرية لانها تنطوي على الخطر والدمار، ولكنها قد تصبح ضرورة ، اذا كـانـت دفاعية وتقطع دابر الفتنة ، فلابد ان يطيب المؤمن نفساً بها ويسلم لها .

وقال الله تعالى : «كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وانتم لا تعلمون»[1] .

وهكذا على الانسان ان يدور حول (الحق) وليس حول الهوى والحب والبغض .

وهذه من علامات المؤمن كما جاء في الحديث :

عن جميل بن صالح عن بعض اشياخ بني النجاشي عن أبي عبدالله ـعليه السلامـ قال : (رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحب العبد أو كره ، ولا يرضى عبد عن الله فيما أحب أو كره إلا كان خيراً له فيما أحب أو كره»[2] .

٤ ــ وتسليم الانسان لله ولما يأمره ويقدره ، ليس شاذاً في مسيرة الخليقة ، اذ كل من في السموات والارض قد سلم له .

قال الله تعالى : «وله أسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً»[3] .

ان ملايين الانظمة الفطرية تتحكم ـشئنا امْ أبيناـ في تدبير حياتنا ، وهي تجري بأمر الله . فلماذا التمرد على الله والطغيان ؟ انه لا يجدي احداً نفعاً .

١٥/ التسليم من اهداف النعم :

وهذه النعم التي لا يحصيها العادون ، تحيط بحياتنا ، فهل نتقبلها أم نعارضها ؟ وهل نسلم لبارئها ومقدرها ام نتحداه ونطغى عليه ؟ !

ان العقل يهدينا الى ضرورة التسليم لمن انعم علينا ، وتحيط بنا نعمه التي لا غنى لنا

---

(١) البقرة/ ٢١٦ .

(٢) الكافي ج٢/ ص٦٠ .

(٣) آل عمران/ ٨٣ .

عنها ، اوليست فطرة البشر قد جبلت على شكر الذي ينعم عليه وحب من يحسن اليه ؟ ومن أكثر نعماً واحساناً علينا من ربنا ؟ وأي شكر افضل من التسليم له ؟

الا ترى كيف نتفيىء الظلال ، ونأوي الى اكنان الجبال ، ونتقي الاخطار بالدروع ، اليست هذه النعم تهدينا الى ضرورة التسليم لله ربنا ؟

قال الله تعالى : **«والله جعل لكم مما خلق ظلالاً ، وجعل لكم من الجبال اكناناً ، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون»**(١) .

١٦/ من حقائق التسليم :

الف ــ تسليم الرسول للوحي :

١ ــ وميزة الرسول التي تجعله مطاعاً ـبإذن الله تعالى ـ هي في اتباعه التام لرسالة ربه ، التي توحي اليه ـ(لا لانه يملك خزائن الله او يعلم الغيب او انه ملك ..) قال الله تعالى :

«قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا اعلم الغيب ، ولا اقول اني ملك ، ان اتبع الا ما يوحى الي»(٢) .

٢ ــ ويتطابق هذا التعبير مع ما أمر به الرسول بأن يكون أول من أسلم . ذلك ان اتباع الوحي هو بعد من ابعاد التسليم لله سبحانه .

وقال الله تعالى : **«قل أنما اتبع ما يوحى الي من ربي ، هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»**(٣) .

٣ ــ وهكذا لم تكن دعوة الرسول الناس الى نفسه ، بل الى الوحي الالهي ، الذي يدعو اليه ، وهو أول من اسلم وأول العابدين ، وهو أشد الناس خشية من العذاب

---

(١) النحل/ ٨١ .

(٢) الانعام/ ٥٠ .

(٣) الاعراف/ ٢٠٣ .

العظيم، ان هو عصى ربه.

وقال الله تعالى: «وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات، قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم»[1].

٤ ــ والرسول في كل شيء اسوة لسائر البشر، وهو اسوة ـ كذلك ـ في اتباع الوحي والتسليم له.

قال الله تعالى: «قل ما كنت بدعاً من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم، ان اتبع الا ما يوحى الي، وما أنا إلّا نذير مبين»[2].

باء ــ اخلاص الدعاء:

١ ــ ومن ابعاد التسليم لله، اخلاص الدعاء، والا يدعو الانسان غير الله، ولا يشرك في دعاءه أحداً غير الله.

ويبدو من سياق آيات القرآن: ان الدعاء يأتي ـ هنا ـ بمعناه المعروف، فلا يجوز ان يتوسل الانسان بغير الله لقضاء حوائجه الا بإذن الله تعالى، ولذلك جاء التعبير القرآني هنا «من دون الله».

قال الله تعالى: «قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله، كالذي استهوته الشياطين في الارض، حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين»[3].

وبالتدبر في خاتمة الآية تتوضح علاقة الدعاء بالتسليم، فمن أسلم لله سبحانه، فانه لا يدعو من دونه أحداً، لانه لا أحد ينفع او يضر من دون اذن الله، ولان الانسان اذا اهتدى الى الله خالقه، لا يختار عليه الشياطين.

٢ ــ وقال الله تعالى: «لن ندعو من دونه الهاً لقد قلنا اذاً شططاً»[4].

---

(١) يونس/ ١٥.

(٢) الاحقاف/ ٩.

(٣) الانعام/ ٧١.

(٤) الكهف/ ١٤.

جيم ـ كيف نسلم لله ؟

لابد ان يبادر المؤمن الى تنفيذ الاوامر فور عرفانه بها ، والذين يتهاونون في تطبيق الاحكام وتراهم يتعللون بالمعاذير في تأخير تنفيذها ، هم في درجة هابطة من الايمان ، كمثل بني اسرائيل حينما امرهم نبيهم موسى -عليه السلام- بذبح بقرة ، فطرحوا اسألة كانت تعكس شكهم وضعف ايمانهم ، وهكذا تعتبر المسارعة الى العمل الصالح والاستباق الى الخيرات دليلاً على صدق المؤمن ورسوخ الايمان ، بينما التباطؤ دليل ضعف التسليم .

قال الله تعالى : «**واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزواً ، قال اعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر ، عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ، قالوا ادع ربك يبين لنا ما لونها ؟ قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ ان البقر تشابه علينا ، وانا ان شاء الله لمهتدون . قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث ، مسلمة لا شية فيها ، قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون**»[1] .

١٧/ اجر الذين اسلموا :

١ ــ الذين اسلموا لله لا يضيع الله اجرهم ، واعظم الاجر انه لا خوف عليهم من المستقبل ، ولا هم يحزنون على الماضي ، لان عملهم مقبول عند الله ، وأجرهم محفوظ .

قال الله تعالى : «**بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن ، فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**»[2] .

٢ ــ اما في الدنيا فقد اهتدوا الى سبل السلام وتحروا الطريق الرشد الذي يهديهم الى الفلاح -لانه شريعة الرب التي جعلها للخليقة- .

---

(١) البقرة/ ٦٧-٧١ .

(٢) البقرة/ ١١٢ .

قال الله تعالى: «فمن اسلم فأولئك تحروا رشداً»[1].

٣ ــ وقال الله تعالى: «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين»[2].

٤ ــ وهم قد استمسكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها. واية عروة اوثق من ولاية الله، ومن حفظه ورعايته وتأييده وتسديده. وهذا ما نستفيده من الحديث المأثور. في كتاب المحاسن مرفوعاً عن أبي عبدالله ـعليه السلامـ قال: (كل من تمسك بالعروة الوثقى فهو ناج)، قلت: ما هي؟ قال: (التسليم)[3].

قال الله تعالى: «ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى»[4].

٥ ــ ولهم البشرى في الحياة الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: «فإلـٰهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين»[5].

ويبدو ان الاخبات هو درجة متقدمة من التسليم.

١٨/ التسليم اطار الولاية:

١ ــ لان المؤمنين يسلمون لله سبحانه، فان التسليم يجمعهم حول مائدة القيم الربانية، ويحيط جمعهم برعاية الهية، ويصهرهم في بوتقة التوحيد.

وهكذا جاء الاسلام (دين التسليم لله وحده) مشروعاً لتوحيد جميع المؤمنين بالله سبحانه، فبعد ان بين القرآن ان الدين عند الله الاسلام قائلاً:

«ان الدين عند الله الاسلام»[6].

بعدئذ خاطب أهل الكتاب متسائلاً، هل اسلموا حتى يدخلوا في اطار الولاية الالهية، وحتى يهتدوا؟ وهكذا اصبح الاسلام (التسليم لله وحده) دعوة الى الوحدة وتحت راية التوحيد، قال الله تعالى:

«فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين

---

(١) الجن/ ١٤.

(٢) النحل/ ٨٩.

(٣) بحار الانوار ج٢/ ص٢٠٤.

(٤) لقمان/ ٢٢.

(٥) الحج/ ٣٤.

(٦) آل عمران/ ١٩.

أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد»[١].

٢ ـ ومن هنا فان الاسلام يقتضي الانتماء الى تجمع الذين اسلموا، ولذلك تجد ملكة سبأ حين عرفت الحق قالت:

«واسلمت مع سليمان لله رب العالمين»[٢].

فلقد عرفت ان الاسلام يقتضي قيادة وتجمعاً، فاعترفت بقيادة سليمان لتجمع الموحدين.

واساس حكومة النبيين هو اسلامهم، فلأنهم اسلموا لله (وكان اسلامهم أنقى واصفى) فقد سلمت بأيديهم القيادة، قال الله تعالى:

«انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار، بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء»[٣].

ترى كيف ان الربانيين والاحبار اصبحوا اوصياء الانبياء في الحكم بالكتاب (وفي قيادة تجمع المؤمنين)؟ إنما عبر استحافظهم له (وعلمهم به) وعبر شهادتهم عليه (اي بعدالتهم). بينما كان معيار قيادة الأنبياء إنهم أسلموا لله.

١٩/ الاسلام احسن عاقبة:

١ ـ ولان الاسلام صبغة الله، فان المؤمنين يدعون ربهم ليوفقهم للاستقامة عليه، حتى آخر لحظة من حياتهم.

قال الله تعالى: «فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً والحقني بالصالحين»[٤].

٢ ـ ويدعو المؤمنون باستمرار خط الاسلام في ذريتهم، لان حبهم للقيم المثلى المتجسدة في الاسلام (التسليم) وكذلك حبهم لذريتهم، يدعوهم الى هذه الدعوة المباركة.

قال الله تعالى: «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك»[٥].

---

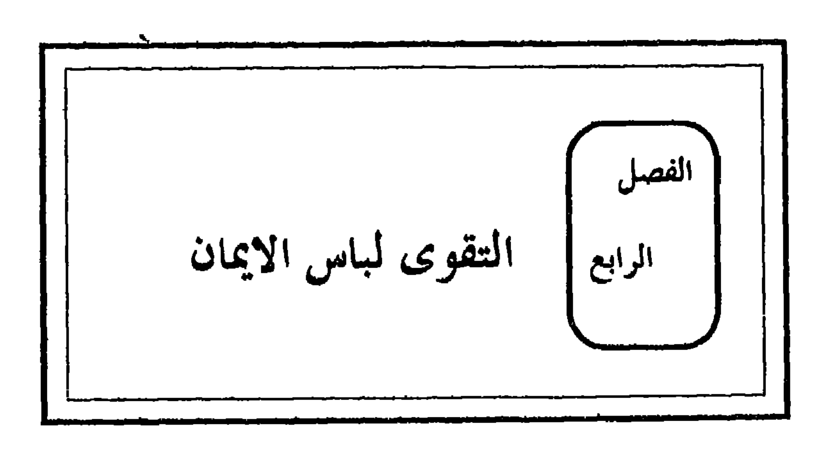
(١) آل عمران/ ٢٠.

(٢) النمل/ ٤٤.

(٣) المائدة/ ٤٤.

(٤) يوسف/ ١٠١.

(٥) البقرة/ ١٢٨.



الفصل الرابع
التقوى لباس الايمان

ما هي آفاق كلمة التقوى ، وما هي اصلها ودواعيها ، وما هي حقائقها في النفس والحياة ، وما الذي ينميها ، وما هي عاقبتها ؟

١ ــ لفظة التقوى :

التقوى من الوقاية ، ويحيط بالأنسان الخطر فإذا امتلك ما يتقي به الخطر نجا والا هلك .

١ ــ في نفس الانسان كبر وحسد وحقد وفي أقواله كذب وانحراف وفساد ، وفي عمله ظلم وفاحشة وأثم ، فإذا اوتي التقوى ، ابتعد بها عن النار ، لان النارهي حقيقة تلك المساوىء في الآخرة .

أما اذا لم يؤتها واجه النار بوجهه بصورة مباشرة ، قال الله تعالى :

«افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة»[1] .

٢ ــ وهكذا التقوى هي التي تحول بين النار وبين وجه البشر يوم القيامة فهي وقاية ، كذلك في الدنيا ، اذا ابتلي الانسان بظالم غشوم ، ولم يتخلص منه الا بكتمان معارضته فعليه ان يتقي منه تقاة ، أي يصون نفسه بالسرية التامة ، ليحفظ نفسه من شره قال الله تعالى :

---

(١) الزمر/ ٢٤ .

«ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة»[1] .

٣ ــ وكذلك يسأل المؤمنون ربهم ان يحول بينهم وبين نار جهنم ويقولون :

«ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[2] .

فالوقاية هنا ـ ذات ـ الاصل الذي اشتقت من كلمة التقوى .

فالتقوى ـ اذاً ـ ليست مجرد الخوف ، وانما الخوف الذي يدعو صاحبه الى عمل شيء ليحفظ نفسه مما يخاف منه بل هو ما يهيئ الانسان لنفسه للحفاظ عليها في مواجهة خوفه ـ والله العالم ـ .

٤ ــ ولعل من ذلك قوله سبحانه :

«قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً»[3] .

فالتقوى هي التي تحفظ الانسان من ارتكاب الجريمة .

٢ ــ الايمان أصل التقوى :

الايمان بالله وباليوم الآخر وبالرسول ، وبكل حق نزل به الكتاب ، هو أصل التقوى ، وكلما زاد الايمان جلاءاً ووضوحاً ، كلما كانت التقوى اعمق جذراً ، وأصلب عوداً .

١ ــ وهكذا كانت وصية الأنبياء بعد التذكرة بالله ـ الواحد الاحد ـ التقوى ، قال الله سبحانه :

«وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره افلا تتقون»[4] .

٢ ــ «ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره افلا تتقون»[5] .

---

(١) آل عمران/ ٢٨ .

(٢) البقرة/ ٢٠١ .

(٣) مريم/ ١٨ .

(٤) الاعراف/ ٦٥ .

(٥) المؤمنون/ ٢٣ .

٣ ــ «فأرسلنا فيهم رسولاً منهم ان اعبدوا الله مالكم من إله غيره افلا تتقون»[١].

وهكذا كانت التقوى ثمرة التوحيد الخالص، لان من اشرك بالله وزعم ان شيئاً او شخصاً، انى كان، ينقذانه من غضب الله وعذابه فانه لا يتقيه اعتماداً على ما زعم، بينما لو اسقط الشركاء الموهومين من حسابه لم يبق أمامه الا التقوى.

٤ ــ والتقوى هي أيضاً ثمرة عبادة الله، والتسليم له والا فأي حقيقة تبقى للعبادة من دون تقوى الله، قال الله سبحانه:

«وإبراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون»[٢].

٥ ــ وهكذا كانت التقوى هي الثمرة المباشرة للعبادة، قال الله سبحانه:

«يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون»[٣].

فالذي يعبد ربه يتقي بعبادته نار جهنم وغضب الرب.

٦ ــ وايمان المسلم بشهادة الله على كل شيء يبعثه نحو تقواه قال الله سبحانه:

«واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيداً»[٤].

أليست العبادة هي التسليم؟ أوليس التسليم هو الذي تظهر حقائقه في النفس والسلوك؟

٧ ــ ولم لا يتقي الانسان ربه؟ أوليس هو الولي والشفيع، ولا أحد ينفع البشر عند الحاجة أو عند مواجهة الخطر غير الله سبحانه؟

«وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون»[٥].

٨ ــ ولم لا يتقي الانسان ربه أوليس هو الذي يدبر الامر؟ (فهو الذي يجري المقادير حسبما يشاء في الليل والنهار) قال الله تعالى:

---

(١) المؤمنون/ ٣٢.

(٢) العنكبوت/ ١٦.

(٣) البقرة/ ٢١.

(٤) الاحزاب/ ٥٥.

(٥) الانعام/ ٥١.

«ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون»[1].

٩ ـــ وهو الذي يحيط علماً بكل شيء يقول ربنا سبحانه :

«واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم»[2].

١٠ ـــ وهو الذي نلقاه افلا نتقيه حياءاً منه ورغبة في عطاءه، وخشية من عقابه، قال ربنا سبحانه :

«واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين»[3] .

١١ ـــ وهو رب العرش العظيم الذي يحيط علماً وقدرة وتدبيراً بكل شيء، يقول ربنا سبحانه :

«قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون»[4].

١٢ ـــ وهو الذي خلقنا كما خلق آبائنا الاولين، قال الله سبحانه :

«واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين»[5].

١٣ ـــ وهو الذي أمدنا بكل النعم ودفع عنا النقم فقال ربنا سبحانه :

«واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون امدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون»[6].

١٤ ـــ وهو الذي نرجو رحمته ونسأل توبته، فهو اجدر بان يتقى رغبة في واسع رحمته، وعظيم توبته، قال الله سبحانه :

«واتقوا الله ان الله تواب رحيم»[7].

١٥ ـــ والله أهل للتقوى (لأنه القوي العزيز، والمقتدر الجبار، والرحيم الغفار) قال سبحانه :

---

(١) يونس/ ٣١.

(٢) البقرة/ ٢٨٢.

(٣) البقرة/ ٢٢٣.

(٤) المؤمنون/ ٨٦-٨٧.

(٥) الشعراء/ ١٨٤.

(٦) الشعراء/ ١٣٢-١٣٤.

(٧) الحجرات/ ١٢.

«وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة»[1] .

١٦ ـــ وانه سريع الحساب ، قال الله سبحانه :

«واتقوا الله إن الله سريع الحساب»[2] .

٣ ـــ التقوى والايمان بالآخرة :

١ ـــ وكما الايمان بالله ينمي التقوى ؛ كذلك الايمان بالآخرة ، فكلما تذكر المؤمن ايام الله ، حيث يقوم الناس لرب العالمين ، وفكر فيما اعد لذلك اليوم الرهيب ، كلما ازداد تقوى ، وبالذات عندما يتذكر ان الله سبحانه خبير بما يعمل ، فلا ينفعه الانكار ولا الادعاء .

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون»[3] .

٢ ـــ الموت يختطف الانسان في كل لحظة ، وعند الموت يلقى الانسان أعماله ، وعندما يكون الانسان متقياً لا يهاب الموت . بينما الفاسق الذي يسوف التوبة ، ينكد عيشه ظلال الموت ، الذي يتهرب منه عبثاً ، قال الله تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون»[4] .

٤ ـــ بين التقوى وطاعة الرسول :

١ ـــ الايمان بالرسول وبالوحي الذي يتلقاه من عند الله سبحانه ، سبب آخر يدعو المسلم الى التقوى ، وهكذا جاءت التقوى وطاعة الرسول متقارنتين ، على ان طاعة الرسول صنو تقوى الله ، فإذا كانت التقوى التزام حدود الله في الثوابت ، فإن الطاعة للرسول هي التزام حدود الله في المتغيرات (في الأمن أو الخوف) قال الله تعالى :

---

(١) المدثر/ ٥٦ .

(٢) المائدة/ ٤ .

(٣) الحشر/ ١٨ .

(٤) آل عمران/ ١٠٢ .

«ومصدقاً لما بين يدي من التوراة، ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم، وجئتكم بآية من ربكم، فاتقوا الله وأطيعون»[1].

٢ ـ ولم تختلف رسالات الله في الايمان بهذين الركنين تقوى الله وطاعة رسوله، وهما كانا يلخصان كل ابعاد الرسالة، قال الله تعالى:

«إذ قال لهم أخوهم صالح الا تتقون إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون»[2].

٣ ـ وقال سبحانه:

«إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون، اني لكم رسول أمين، فاتقوا الله واطيعون»[3].

٤ ـ وكما صالح ولوط كذلك شعيب اختصر بصائر الرسالة الالهية في كلمات، فقال الله سبحانه:

«إذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون»[4].

٥ ـ وهكذا الايمان بالرسالة يدعو الى التقوى، فإذا عرف الانسان ان الله هو الذي بعث الرسول، دعاه ذلك الى التقوى والالتزام بحدود الشريعة التي جاء بها. قال الله سبحانه فيما يتصل بالنبي نوح ـ عليه السلام ـ:

«قال يا قوم اني لكم نذير مبين، ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون»[5].

٥ ـ لماذا التقوى؟

ما هي الدواعي التي تبعثنا نحو التقوى؟

اولاً: العذاب الذي ينتظر الفاسقين يوم الحساب.

ثانياً: الثواب الذي اعده الله للمتقين.

ثالثاً: فوائد التقوى في الدنيا.

---

(١) آل عمران/ ٥٠.

(٢) الشعراء/ ١٤٢-١٤٤.

(٣) الشعراء/ ١٦١-١٦٣.

(٤) الشعراء/ ١٧٧-١٧٩.

(٥) نوح/ ٢-٣.

الف : اتقوا النار

١ ـــ وبصراحة بالغة يحذرنا ربنا من النار اللاهبة التي تحيط بالناس لولا التقوى فيقول الله سبحانه :

«فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين» (١).

٢ ـــ ويقول الله سبحانه : «واتقوا النـار التي أعدت للكافرين» (٢).

أنها نار قد أعدت اعداداً ، فياويل الذي لا يحذرها ولا يتقيها باجتناب الكفر والفسق وباجتراح الحسنات .

٣ ـــ فاذا كانت النار جاهزة ومعدة ، ولابد من مواجهتها ، فعلينا ان نعد ترساً نتقيها به ، والا فان وجوهنا الناعمة ـ والعياذ بالله ـ تكون ترسنا الوحيد تجاهها .

يقول ربنا سبحانه : «افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون» (٣).

٤ ـــ بلى ، اليوم ، وليس غداً ، علينا ان نهيء ما يقينا عذاب ذلك اليوم ، فالذي يؤتي ماله يتزكى يجنب ذلك العذاب ، (لان زكاته تصونه من النار) قال الله سبحانه :

«فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى» (٤).

٥ ـــ والعذاب شديد فانما التقوى افضل وسيلة لتجنبه ، وان العقل يدعونا الى تجنب ذلك العذاب بالتقوى ، قال الله سبحانه :

«اعد الله لهم عذاباً شديداً فاتقوا الله ، يا أولي الالباب ، الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكراً» (٥).

---

(١) البقرة/ ٢٤ .

(٢) آل عمران/ ١٣١ .

(٣) الزمر/ ٢٤ .

(٤) الليل/ ١٤-١٨ .

(٥) الطلاق/ ١٠ .

٦ ــ ذلك العذاب يواجهه البشر في يوم الرجعة الكبرى ، وان ذلك اليوم ليوم رهيب ومرعب وجدير بالتقوى ، لأن الانسان يرجع فيه الى الله العظيم ، يقول الله سبحانه :

«واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون»[(١)].

٧ ــ اننا اذا تصورنا ذلك اليوم ، حيث يقوم الناس لرب العالمين ، لابد ان يستبد بنا الرعب يقول ربنا سبحانه (وهو يحدثنا عن المطففين) :

«الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين»[(٢)].

٨ ــ في ذلك اليوم لا يقبل فداء ، ولا احد يقدر على ان ينفع احداً بشيء ، قال الله سبحانه :

«واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً»[(٣)].

٩ ــ وحتى اقرب الناس الى الانسان لا يمكنه ان يؤدي أية خدمة ، قال الله تعالى :

«يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً»[(٤)].

«يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده»[(٥)].

وترافق ذلك اليوم احداث مرعبة ، اهمها الزلزال العظيم ، اولا يجدر بنا ان نتقيه ، يقول ربنا سبحانه :

«يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد»[(٦)].

---

(١) البقرة/ ٢٨١ .

(٢) المطففين/ ٤-٦ .

(٣) البقرة/ ٤٨ والبقرة/ ١٢٣ .

(٤) لقمان/ ٣٣ .

(٥) الحج/ ١-٢ .

وقال الله سبحانه : «فكيف تتقون ، ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً» (١).

وفي القرآن آيات كثيرة في نعت ذلك اليوم ، واهوالها وآياتها ، مما يثير في كل ذي قلب ، مشاعر الخوف والرهبة .

باء : لنعم دار المتقين

١ ــ ولا يعادل تحذير القرآن من نار الآخرة واهوال يوم القيامة الا وعد الله للمتقين بالأمن منها ، وبأن الدار الآخرة هي دارهم ، حيث أعد الله لهم أجراً عظيماً ، وهذا ثاني اعظم باعث للانسان الى التقوى حيث يقول ربنا سبحانه :

«وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ، للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين» (٢).

٢ ــ للمتقين كل أمن وسلام وطمأنينة في ذلك اليوم الرهيب ، بينما ترى الناس سكارى من عذاب الله الشديد ، قال ربنا سبحانه :

«الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون» (٣).

٣ ــ واحد أبرز اسباب أمنهم يوم الفزع الاكبر ، ان الله تقبل منهم حسناتهم ، وقال الله سبحانه :

«انما يتقبل الله من المتقين» (٤).

٤ ــ كما وانه سبحانه غفر ذنوبهم وقال سبحانه :

«واتقوا الله ان الله غفور رحيم» (٥).

---

(١) المزمل/ ١٧.

(٢) النحل/ ٣٠.

(٣) يونس/ ٦٢ــ٦٣.

(٤) المائدة/ ٢٧.

(٥) الانفال/ ٦٩.

جيم: في هذه الدنيا حسنة

١ ـ ليست الدنيا دار الجزاء الاوفى، ولكن فيها جزاء واف للمتقين، فالله سبحانه يرزقهم نوراً وفرقاناً، ويصونهم من ألوان العذاب التي تصيب الفاسقين.

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً، ويكفر عنكم سيئاتكم، ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم»[1].

فمن أمن الله واتقى يؤتيه الله نوراً يفرق به بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين الهدى والضلالة، وهذا هو السبيل الى الفلاح..

٢ ـ والتقوى وسيلة الى رحمة الله الواسعة، قال الله سبحانه:

«ورحمتي وسعت كل شيء، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون»[2].

٣ ـ والتقوى لباس يحصن الانسان من الاخطار.. فالذي يتقي الفيروس لا يمرض، والذي يتجنب العدوان لا يعتدى عليه، والذي يترك الفواحش لا تضره، وهكذا قال ربنا تعالى:

«يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلكم تذكرون»[3].

الذي لا يسرف ولا يظلم ولا يعتدي ويتجنب الخبائث والاثم والفواحش، انه يتحصن من عواقب كل تلك السيئات، وهذا هو اعظم فوائد التقوى في الدنيا.

٤ ـ من أمثلة هذا اللباس ما يذكرنا به القرآن الكريم من معاملة الايتام، فمن احسن اليهم لم يخش مصير ذريته لو مات عنهم، وهكذا التقوى تصون ذريته، لانها لباس وحصن، (بينما الذي لا يأوي أيتام الناس يخشى على ايتامه من الضياع) قال ربنا

---

(١) الانفال/ ٢٩.

(٢) الاعراف/ ١٥٦.

(٣) الاعراف/ ٢٦.

سبحانه :

«وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً» [1].

٥ ـــ ومن الامثلة الواقعية ان الله أمر النساء بالاحتشام لكي لا يتعرضن لأذى الجاهلين وقال سبحانه :

«يا نساء النبي لستن كاحدٍ من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض» [2].

٦ ـــ وهكذا كانت التقوى وصية الله سبحانه لكل الامم فقال ربنا سبحانه :

«ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم ان اتقوا الله» [3].

وهكذا كانت التقوى أيضاً وصية الانبياء للامم ووصية الصالحين ، وان الوصية بالتقوى لهي من الحوافز التي تدعونا اليها .

٦ ـــ حقائق التقوى :

التقوى لباس يحصن الانسان ويزينه ، والتقوى صبغة الله التي تتجلى في كل ابعاد حياة المؤمن ، وهكذا فان التقوى كما مصباح زاهر ينير كل زاوية من زوايا الفكر والسلوك .

وفي آيات القرآن تبصير بصفات المتقين والتي هي تجليات التقوى ، في مختلف جوانب حياتهم ويتم الحديث عنها مرة بصورة جامعة ومرات ببيان المفردات حسب المناسبات المختلفة ، وهذه هي حقائق التقوى ـ أي المصاديق الواقعية للتقوى ـ .

١ ـــ في مطلع سورة البقرة يتلو علينا الذكر صفات المتقين ـ التي تجمل ما تفصله منها آيات هذه السورة من بعد ، وبالتدبر في هذه الصفات ، تتكامل صورتهم المثلى ، يقول ربنا

---

(١) النساء/ ٩ .

(٢) الاحزاب/ ٣٢ .

(٣) النساء/ ١٣١ .

سبحانه :

«الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون» (١).

وهكذا التقوى ايمان وعمل ، ايمان بالغيب يتجلى في الصلاة والانفاق (فالصلاة رمز العبادة ، والانفاق رمز العطاء ، وهو مثال العلاقة مع الآخرين ، وان شئت قلت ؛ الصلاة صلة العبد بربه ، والانفاق صلته بالناس) .

واذا تأملت في سائر صفات المتقين تراها تنشأ من هذه الصفة الرئيسية .

٢ ـــ وفي وسط السورة يفصل الرب تعالى صفات المتقين ويقول :

«ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، واقام الصلاة ، وآتى الزكاة والموفون بعهدهم ، اذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء ، وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون» (٢).

هكذا تجد في هذه الآية تأكيداً على صفة الايمان بكل حق جاء من عند الله ، وتفصيلاً لمفردات الايمان (بالله والآخرة والملائكة والكتب والانبياء) كما جاء هناك تأكيد وتفصيل لحقيقة الانفاق ، وبالذات بيان موارد الانفاق ، وبيان ان الانفاق يجب ان يكون خالصاً لوجه الله حتى يصبح سمة للتقوى .

وفي الآية بيان لصفة الوفاء بالعهد والصبر والثبات (حين البأس) ثم بين القرآن بوضوح ان هذه هي صفات المتقين (والصادقين) .

وفي مطلع الآية بصيرة هامة ؛ ان التقوى ليست بالمظاهر (كالوسوسة في تحديد اتجاه الصلاة ، حسبما نجدها عند اليهود) بل بالحقائق التي يشهد بعضها لبعض .

---

(١) البقرة/ ١-٤ .

(٢) البقرة/ ١٧٧ .

فالتقوى روح تتجلى في السلوك ، انها مظاهر الايمان الحق ، تصبغ حياة المسلم ، بصبغة العبادة والتسليم لله وحده .

٣ ــ وفي آيات مباركات يتلو علينا ربنا حقائق التقوى في حياة المؤمن ، (اقرأ الآيات ١٧٧/ ٢٤١/ البقرة) .

فالتقوى تتجلى في القصاص (حيث نيران الغضب ملتهبة) قال الله تعالى :

«ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون»[١] .

٤ ــ وتظهر في الوصية (والعمل بها بعد وفاة صاحبها) قال ربنا سبحانه :

«كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين»[٢] .

٥ ــ وتشهد في الصيام ، حيث يقول ربنا :

«يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون»[٣] .

٦ ــ كما تظهر التقوى في التقيد بحدود الله في الرفث ، وفي الطعام والشراب ، قال الله تعالى :

«ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون» [٤] .

٧ ــ وكذلك تتجلى التقوى في الالتزام بحدود الزمان والمكان الذي وقتها الله سبحانه ، قال الله تعالى :

«يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتق وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون»[٥] .

---

(١) البقرة/ ١٧٩ .

(٢) البقرة/ ١٨٠ .

(٣) البقرة/ ١٨٣ .

(٤) البقرة/ ١٨٧ .

(٥) البقرة/ ١٨٩ .

فالتقوى ـ اذاً ـ هي الحركة ضمن السبيل المرسوم وحسب الاوقات المحددة ، فمن صام قبل شهر رمضان او حج بعد اشهره لم يكن متقياً .

٨ ـــ القتال واجب ، والحرب ظاهرة تستمر في حياة البشر ، ولكن التقوى تفرض شروط القتال ، وحدود القتال ، فالمؤمن يحدد سبيل القتال (ان يكون سبيل الله والا يكون عدوانياً) ولا يقاتل في المسجد الحرام الا دفاعاً .

فاذا انتهوا انتهى ، ولا يقاتل في الشهر الحرام الا عند قتالهم فيه ، وهكذا يلتزم باحكام الله في القتال ، قال ربنا سبحانه :

«الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين»(١) .

٩ ـــ والحج شريعة من شرائع الاسلام ، وهدفه تنمية التقوى في المسلمين ، وله حدود مرسومة يرعاها المتقون ، حيث يقول ربنا بعد بيان احكام الحج :

«واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب»(٢) .

١٠ ـــ ثم يقول ربنا في بيان الغاية الاسمى لشريعة الحج (وهي تزود الناس بالتقوى) .

«الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب»(٣) .

وهكذا تأتي التقوى لتضبط حركة الحاج في أشهر معلومات ، وهي ـ بالتالي ـ افضل زاد يعود به الحاج الى وطنه .

١١ ـــ وبعد بيان سائر أحكام الحج ، وفي ختام المناسك التي يفصلها القرآن الحكيم يقول ربنا سبحانه :

«واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه

---

(١) البقرة/ ١٩٤ .

(٢) البقرة/ ١٩٦ .

(٣) البقرة/ ١٩٧ .

لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون»[1].

١٢ ـــ ويبين ربنا حدود العلاقة الزوجية (ابتداءً من حرمة النكاح في المشركين، واستمراراً مع حرمة المباشرة عند المحيض، وانتهاءاً بابتغاء الذرية) ثم يأمر بالتقوى لرعاية هذه الحدود، ويقول ربنا سبحانه:

«نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين»[2].

١٣ ـــ ويبين ربنا من بعد ذلك قضايا الطلاق والايلاء، ويؤكد على حدود الله في العلاقة الزوجية ويقول:

«تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون»[3].

ثم يأمر بالتقوى ويقول سبحانه:

«ولا تتخذوا آيات الله هزواً واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم»[4].

هكذا تصبح التقوى حصناً للعلاقة بين الزوجين تحافظ على الحدود الشرعية المرسومة لها.

١٤ ـــ ويأمر الله ـسبحانهـ بالمعروف في العشرة بين الزوجين، ثم يوصي بالتقوى (للعمل بهذه العشرة) ويقول الله تعالى:

«واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير»[5].

١٥ ـــ وبين ربنا أحكام العدة، وخطبة النساء والمهر، فقال الله سبحانه:

«فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم»[6].

---

(١) البقرة/ ٢٠٣.

(٢) البقرة/ ٢٢٣.

(٣) البقرة/ ٢٢٩.

(٤) البقرة/ ٢٣١.

(٥) البقرة/ ٢٣٣.

(٦) الطلاق/ ١.

١٦ ــ وأمر بالعفو عند الطلاق قبل الدخول ، وقال انه أقرب الى التقوى ، وأمر بالوصية للأزواج الا يخرجن قبل حول . ثم قال الله سبحانه :

«وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين»(١).

وبهذة الآية الكريمة أكتملت أكثر الجوانب من الصورة ، فيما يتصل بالتقوى وبالمتقين ، مما يهدينا الى البصائر التالية :

أولاً : التقوى روح واحدة ، حقيقتها التسليم لأمر الله ، والتعبد بأحكام الله ، والتقيد بحدوده ، وان مظاهر التقوى تتعدد حسب تنوع الحقائق الخارجية التي تظهر التقوى بها .

ثانياً : تنمو التقوى بالعبادات (الصيام والحج) كما تنمو بأحكام رادعة (القصاص) وهكذا بالتذكرة (بين الآيات) .

ثالثاً : بواعث التقوى في نفس المؤمن تنبع من معرفته بالله واسماءه الحسنى ، فالمؤمن يتقي ربه لانه يعلم ان الله مع المتقين ، ولانه يعلم ان الله شديد العقاب ، ولان التقوى خير زاد له ليوم القيامة ، ولأنه يعلم انه يحشر الى الله وانه ملاقيه وان للمؤمن البشرى ، ولأنه يعلم ان الله بكل شيء عليم ، وانه بما يعمل بصير .

رابعاً : التقوى تزيد من احساس الانسان بمسؤولياته ، فاذا به يوصي بالخير بعد ان يعمل به ، فالوصية حق للمتقي لانه يحرض بها غيره الى العمل بالشرائع .

٧ ــ التقوى : الانتماء الحق

فيما مضى استوحينا حقائق التقوى في جملة حدود شرعية جمعتها آيات سورة البقرة . وفيمايلي نستوحي حقائق أخرى للتقوى في التجمع الايماني ، والمجتمع الاسلامي ، والاخلاق والسلوك .

ألف ــ التجمع الايماني

١ ــ لكي تكون متقياً حقاً فلابد ان تكون مع الصادقين ، قال الله سبحانه :

---

(١) البقرة/ ٢٤١ .

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»[1].

٢ ـــ وأول شروط الانتماء احترام القائد الالهي (الرسول وخلفاؤه بحق) قال الله سبحانه:

«يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله»[2].

٣ ـــ ومن مظاهر احترام القائد غض الصوت عنده احتراماً، وهو علامة التقوى قال الله سبحانه:

«ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم»[3].

٤ ـــ ومن احترام القائد طاعته، والا يتناجى المؤمن بمعصيته (ولا يتآمر عليه) قال الله سبحانه:

«يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول، وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون»[4].

٥ ـــ والبراءة من اعداء الله، ركن اساسي للتجمع الايماني، من فقده فقد التقوى قال ربنا سبحانه:

«يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين»[5].

باء ـــ مجتمع التقوى

ومجتمع التقوى قائم على أساس المساواة أمام الحق، الوفاء بالعهد، واداء الامانة، واصلاح ذات البين، والقول السديد.

---

(١) التوبة/ ١١٩.

(٢) الحجرات/ ١.

(٣) الحجرات/ ٣.

(٤) المجادلة/ ٩.

(٥) المائدة/ ٥٧.

١ ــ وقد سبق في آية كريمة ان علامة التقوى ؛ الوفاء بالعهد، وقد ذكرتنا آية اخرى بأن نقض العهد من علامات الذين لا يتقون، قال ربنا سبحانه :

«الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون»[١].

٢ ــ وأمر بالتقوى في العلاقة الاقتصادية بين ابناء المجتمع، وذلك بتحريم الربا وقال الله سبحانه :

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا»[٢].

٣ ــ وقد أمر الله باداء الامانة، ووصى بالتقوى في ذلك، وقال الله سبحانه :

«فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه»[٣].

٤ ــ ومن الامانة عدم بخس الناس حقهم، قال الله تعالى :

«وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً»[٤].

٥ ــ ومن أركان المجتمع الايماني (المتصف بالتقوى) اصلاح ذات البين، قال ربنا سبحانه :

«فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله»[٥].

٦ ــ ولكي يبقى المجتمع، فاضلاً متماسكاً قائماً على الصراط السوي، فعلى المؤمنين ان يختاروا القول السديد (لا باطل فيه ولا فحش ولا عصبية) قال الله سبحانه :

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً»[٦].

٧ ــ ومن التقوى في المجتمع، الالتزام بحدود الله في العلاقة الزوجية (وقد سبق الحديث عن ذلك).

٨ ــ ومنه الوفاء بحق الوالدين وقد تجلى في المسيح عيسى بن مريم -مثل التقوى-

---

(١) الانفال/ ٥٦.

(٢) البقرة/ ٢٧٨.

(٣) البقرة/ ٢٨٣.

(٤) البقرة/ ٢٨٢.

(٥) الانفال/ ١.

(٦) الاحزاب/ ٧٠.

ببره بوالدته ، وقال ربنا سبحانه :

«وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً»[1].

ويجتمع التقوى ذات مظهر الهي ، لان المتقين يعظمون شعائر الله (وهي المظاهر الايمانية فيه) قال الله سبحانه :

«ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب»[2].

جيم ـــ التقوى السلوك المتعادل

١ ـــ وتتحق التقوى في العشرة بالسلوك المتعادل ، فالتقيد بحدود الله في الطعام ، من مظاهر التقوى في السلوك ، فلا يجوز تحريم ما أحل الله ، ولا أكل الخبائث والمحرمات .

فمن حرم على نفسه ما أحل الله تجافى عن حد التقوى كمن اعتدى وأكل ما خبث او حرم ، قال الله سبحانه :

«يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون»[3].

٢ ـــ وقد حرم الله على بني اسرائيل بعض الطيبات ، فأرسل الله النبي عيسى -عليه السلام- ليحل لهم وقال سبحانه (وهو يأمرهم بالتقوى والأخذ بالأمر الجديد) :

«ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون»[4].

٣ ـــ وهكذا الطعام وقود العمل الصالح ، واذا طعم المؤمن فلا جناح عليه ، شريطة ان يتقي الله بإيمانه وعمله الصالح ، وكذلك باحسانه ، قال الله سبحانه :

«ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا

---

(١) مريم/ ١٣ .

(٢) الحج/ ٣٢ .

(٣) المائدة/ ٨٧-٨٨ .

(٤) آل عمران/ ٥٠ .

الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين»[1].

٨/ التقوى والصفات المثلى:

حين تتجلى التقوى في افعال حميدة فانها تعكس جانباً محدوداً من آثارها، بينما اذا انعكست في صفات مثلى، فانها تتجلى بكل جمالها وروعتها وجلالها.

فالتقوى حين تتجلى -مثلاً- في صورة الصبر، او الاحسان، او الصدق عند مواجهة الاعداء، فانها تظهر بكل ابعادها، فالصبر ليس عملاً بل خلقاً، والخلق مبعث اعمال كثيرة، ومن هنا فان نعت المتقي بالصابر او المحسن يكون اقرب الى الفهم من وصفه -مثلاً- بالمتقي.

وعموماً تأتي الصفات المثلى متقارنة في آيات الذكر، لربما للدلالة على انها تجليات لحقيقة واحدة، هي تلك الروح الايمانية عند الفرد.

ألف ـ كلمة التقوى

١ ـ ومن اعظم صفات المتقين، تخلصهم من العصبيات الارضية، ونقاء نفوسهم من حس التعالي على الاخرين، الذي يؤدي الى اشاعة الفساد، قال الله تعالى:

«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير»[2].

٢ ـ وقال الله سبحانه:

«اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى، وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً»[3].

فكلمة التقوى هي التي تتعالى على العصبيات (القومية والعنصرية والحزبية) وتبلغ

---

(١) المائدة/ ٩٣.

(٢) الحجرات/ ١٣.

(٣) الفتح/ ٢٦.

درجة السكينة حيث الايمان بالله والحق ، والتحاكم اليه .

٣ ـــ وعندئذ لا تجد المتقين يبحثون عن العلو في الارض ـوبالتالي ـ لا ينشرون الفساد ، لانهم يرون الحق هو الاعلى ، قال الله سبحانه :

«تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»[١] .

باء ـــ بين التقوى والصبر

في أكثر من آية قرنت التقوى بالصبر، ولكن في آية سبقت (الآية ١٧٧ من سورة البقرة) جعلت التقوى اصل الصبر، مما يوحي بأن المراد من هذه المقارنة ، قد يكون هذا الترابط ، او على أي حال تكون صفتا التقوى والصبر صنوان وناشئتان من روح الايمان .

١ ـــ فمع الصبر والتقوى يفشل كيد الاعداء ، قال ربنا سبحانه :

«وانْ تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً»[٢] .

٢ ـــ والصبر والتقوى يستدران رحمة الله وعونه ، قال الله سبحانه :

«بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم ، هذا يمددكم ربكم بخمسة الآف من الملائكة مسومين»[٣] .

٣ ـــ والصبر والتقوى أصل النجاح ، قال الله سبحانه :

«وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور»[٤] .

وقد أمر الله بالصبر والتقوى وجعلها وسيلة الفلاح ، بالاضافة الى المصابرة والمرابطة ، فقال الله سبحانه :

«اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»[٥] .

---

(١) القصص/ ٨٣ .

(٢) آل عمران/ ١٢٠ .

(٣) آل عمران/ ١٢٥ .

(٤) آل عمران/ ١٨٦ .

(٥) آل عمران/ ٢٠٠ .

ولعل الامر بالتقوى -مع الصبر- يهدينا الى ان مجرد الصبر دون التقيد بالشريعة، بكل ابعادها، لا يورث نجاحاً او فلاحاً، لان الشريعة بناء متين لابد من المحافظة عليه كلياً حتى يكون حصناً للمؤمنين، وقد يكون الصبر في بعض المواطن هو الاهم، او الاحسان، أو الانفاق، فيأتي ذكره، الا انه في ذات الوقت يشار الى أهمية سائر ابعاد الشريعة وذلك عبر التذكير بالتقوى وهي الالتزام بكافة حدود الشريعة -والله العالم-.

٤ — وعندما أمر الله سبحانه نبيه الكريم بالصبر ذكره بأن العاقبة للمتقين، ونستوحي من ذلك ان مجرد الصبر (دون الالتزام بسائر احكام الدين لا يجدي نفعاً) فقال الله سبحانه:

«تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين»[١].

جيم — بين التقوى والاحسان

١ — والتقوى اصل الاحسان، والاحسان حين يكون نابعاً من التقوى يكون ذات فائدة تامة، لانه يكون في منظومة متكاملة من القيم الايمانية التي تؤطرها التقوى، يقول ربنا سبحانه:

«ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»[٢].

٢ — وقال الله سبحانه:

«وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيراً»[٣].

دال — بين التقوى والوفاء

١ — كذلك الوفاء بالعهد من ابرز تجليات التقوى في حياة المسلم، ولكن الوفاء

---

(١) هود/ ٤٩.

(٢) النحل/ ١٢٨.

(٣) النساء/ ١٢٨.

من دون التقوى (اي من دون سائر صفات الجمال والكمال) لا يجدي نفعاً ، ومن هنا جاء الامر بالوفاء مقارناً بالامر بالتقوى ، وقال الله سبحانه :

«بلى من اوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين»(١).

٢ ـ وقد جعل الوفاء بالعهد علامة التقوى في عدة آيات مباركات فقال الله سبحانه :

«فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين»(٢).

فاتمام العهد ـ الى تمام المدة ـ دليل التقوى ، والله يحب المتقين (فيؤيدهم بنصره).

٣ ـ وقال الله سبحانه :

«فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين»(٣).

ذال ـ بين التقوى والعدالة

والتقوى تأمر بالعدالة ، والعدالة تحفظ التقوى ، قال الله سبحانه :

«اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله»(٤).

هاء ـ بين التقوى والتوكل

والمتقون يتوكلون على الله ، ولا يجدون امامهم عقبة دون تحقيق اسمى درجات الطموح ، قال الله سبحانه :

«واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون»(٥).

---

(١) آل عمران/ ٧٦.

(٢) التوبة/ ٤.

(٣) التوبة/ ٧.

(٤) المائدة/ ٨.

(٥) المائدة/ ١١.

واو ــ بين التقوى والرشد

والتقوى تزيد رشد الانسان وكماله، بينما الفاسق لا رشد له، وقد نستوحي ذلك من قوله سبحانه :

«فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد»(١).

٩/ تنمية التقوى :

في اثناء حديثنا عن الابعاد المختلفة للتقوى، عرفنا بعض ما ينميها، ولتكتمل الصورة، ينبغي ان نستهدي بسائر الآيات التي تذكر بما ينمي التقوى.

الف ــ التقوى من عند الله

التقوى من عند الله، لان الله هو الذي يهدي الناس الى ما يتقون منه، ويرزقهم العقل الذي به يتقون، ويوفق من شاء منهم للتقوى، ونستفيد ذلك من الآيات التالية :

١ ــ لا يعذب الله قوماً الا بعد ان يبين لهم ما يتقون منه، يقول الله سبحانه :

«وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون»(٢).

٢ ــ وقد اعطى الله كل نفس فجورها وتقواها (أي كيف يتقي وماذا منه يتقي) وقال الله سبحانه :

«ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها»(٣).

٣ ــ والذين اهتدوا الى ربهم يبين لهم ما يتقون منه (ويوفقهم بفضله للتقوى) قال الله سبحانه :

«والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم»(٤).

---

(١) هود/ ٧٨.

(٢) التوبة/ ١١٥.

(٣) الشمس/ ٧ ـ ٨.

(٤) محمد/ ١٧.

وباجمال فان زيادة التقوى بزيادة روح الايمان ، والله سبحانه يزيد ايمان الفرد بالعمل الصالح وبالتذكر والمواعظ ، وكذلك التقوى .

باء ــ العبادة تنمي التقوى

لقد تلونا في آيات سورة البقرة ان حكمة الحج التزود بالتقوى ، وحكمة الصيام تنمية التقوى ، وهكذا حكمة القصاص . وعموماً فان حكمة العبادات تنمية التقوى حسبما استوحينا من قوله سبحانه :

«يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون»(١) .

فزيادة التقوى هي أعظم فوائد العبادات .

جيم ــ التذكرة تنمي التقوى

وهكذا تنمو التقوى بالتذكرة ، سواء بالوصية او بتلاوة الآيات او ببيان مصائر الغابرين او بموعظة الصالحين ، وهذا ما نستفيده من الآيات التالية :

١ ــ بعد بيان جملة آيات يبين ربنا الهدف منها ؛ تنمية التقوى ويقول :

«كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون»(٢) .

٢ ــ واساساً الهدف الاسمى لانزال القرآن ولما فيه من الوعيد (بعاقبة المكذبين) رفع الناس الى درجة التقوى ، قال الله تعالى :

«وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون»(٣) .

٣ ــ وتنوع أمثلة القرآن (حسب حاجات البشر النفسية والمعاشية) بهدف تذكرتهم ، وبالتالي بلوغهم درجة التقوى ، قال ربنا الحكيم :

«ولقد ضربنا في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآناً عربياً غير ذي عوج

---

(١) البقرة/ ٢١ .

(٢) البقرة/ ١٨٧ .

(٣) طه/ ١١٣ .

لعلهم يتقون»[1].

٤ ـــ وأمثلة القرآن في الغابرين من الامم ، وعبر هلاكهم ، وانذار القرآن بعذاب الآخرة ، كل ذلك جاء بهدف تنمية التقوى ، قال ربنا سبحانه :

«وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون»[2].

٥ ـــ وقال الله سبحانه :

«فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين»[3].

هكذا كان العذاب النازل بالأمم الغابرة موعظة للمتقين ، (والقصة تتصل بمسخ الذين اعتدوا في السبت) .

٦ ـــ ولعل الموعظة تعني ما يزيد العارف وعياً ، والقرآن موعظة للمتقين لانه يزيدهم تقوى ، قال الله سبحانه :

«هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين»[4].

٧ ـــ وكذلك كان الانجيل الذي اوتي عيسى -عليه السلام- حيث يقول الله سبحانه :

«ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين»[5].

٨ ـــ ومن أبعاد الوعظ أمثلة الغابرين ، حيث يتعظ الانسان بمن هلك ، وقال سبحانه :

«ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين»[6].

٩ ـــ وقد يطوف على الانسان طائف من الشيطان فينسيه ذكر الله ، ويحتاج الى التذكرة ، وفي الوحي تذكرة كافية للمتقين ، قال الله سبحانه :

---

(١) الزمر/ ٢٧ - ٢٨ .

(٢) الانعام/ ٦٩ .

(٣) البقرة/ ٦٦ .

(٤) آل عمران/ ١٣٨ .

(٥) المائدة/ ٤٦ .

(٦) النور/ ٣٤ .

«ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءاً وذكراً للمتقين»[1].

١٠ ـــ وهكذا كان على المسلم ان يتلو القرآن ليزداد تقوى ، قال الله سبحانه :

«خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون»[2].

١١ ـــ وكذلك التقوى تنمو بموعظة الصالحين ، وقد تساءل البعض لماذا الوعظ لمن يرتكب الموبقات (مثل الصيد في السبت) ؟ فكان جوابهم بهدف الاعذار، ورجاء تقواهم ، قال ربنا سبحانه :

«واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم او معذبهم عذاباً شديداً ، قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون»[3].

١٠/ عقبى التقوى في الحياة :

ما هي عاقبة المتقين ؟ لقد استوحينا من آيات مباركات ما يدعو الى التقوى وعرفنا يومئذ عاقبة المتقين الحسنى ، وما نذكره فيما يلي ليس سوى تكميل لما ذكرناه آنفاً .

ألف ـــ ان الله مع المتقين

١ ـــ تأييد الرب للمتقين يزيدهم توكلاً على ربهم وثقة به في أعمالهم ، ويوفر لهم الاسباب حتى يأخذوا بها لنيل اهدافهم ، ويبصرهم سبل النجاح ويهديهم الى رشدهم ويقول الله سبحانه :

«واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين»[4].

٢ ـــ ويقول تعالى :

«وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين»[5].

---

(١) الانبياء/ ٤٨ .

(٢) الاعراف/ ١٧١ .

(٣) الاعراف/ ١٦٤ .

(٤) البقرة/ ١٩٤ .

(٥) التوبة/ ٣٦ .

الا ترى كيف جاء الدعم الالهي (بأنه سبحانه مع المتقين) عند امره تعالى بمحاربة الكفار كافة.

٣ ــ كذلك عندما أمر ربنا بالشدة مع الكفار، وعد المتقين بأن يكون معهم، فقال عز من قائل:

«وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين»(١).

٤ ــ بلى الذي يتقي ربه يتقيد بكل الحدود الشرعية، ويعمل بما امر الله، ويأخذ بتلك السنن الالهية التي ذكر بها الوحي، وهي كفيلة بانجاحه، بتوفيق الله ورعايته الخاصة، قال الله سبحانه:

«ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»(٢).

٥ ــ ومن ابعاد لطف الله وعنايته بالمتقين؛ انه تعالى يهديهم الى رشدهم ويجعل لهم فرقاناً يعرفون به الحق ويهتدون الى سبيل النجاح فقال الله سبحانه:

«يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذوالفضل العظيم»(٣).

٦ ــ وهكذا جعل الله القرآن هدى للمتقين مما نعرف مدى صلة الهداية بالتقوى وقال الله سبحانه:

«الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين»(٤).

٧ ــ وحين ذكرنا بآيات خلقه، بين أنها للمتقين وقال سبحانه:

«ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون»(٥).

٨ ــ بينما الفاسق لا يهديه الله سبحانه، قال عزوجل:

---

(١) التوبة/ ١٢٣.

(٢) النحل/ ١٢٨.

(٣) الانفال/ ٢٩.

(٤) البقرة/ ١ ــ ٢.

(٥) يونس/ ٦.

«واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين»[1].

٩ ــ وهكذا كانت البشارة للمتقين قبل غيرهم، لانهم الذين يهتدون بنور الوحي، قال الله تعالى:

«فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدا»[2].

١٠ ــ ومن عنايته سبحانه لهم، انه يهديهم الى سبيل الخروج من دائرة المشاكل والاخطار، وانه يرزقهم من حيث لم يتوقعوا، ويرزقهم التوكل عليه (وما فيه من قوة الارادة) ويقول سبحانه:

«واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ان الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدراً»[3].

باء ــ وراثة الارض

والله سبحانه وعد الصالحين من عباده والمتقين بأن يورثهم الارض، وهكذا كانت العاقبة للمتقين، قال الله سبحانه:

«ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين»[4].

وقال تعالى: «لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى»[5].

جيم ــ تيسير الحياة

١ ــ كيف يجعل الله الحياة يسراً للمتقين؟ هل بتوفيقهم لاسباب النجاح.. او بتوفير وسائل الفلاح؟ أم بتبصيرهم لسبل السلام وهدايتهم للرشد؟ او بتزويدهم بروح

---

(١) المائدة/ ١٠٨.

(٢) مريم/ ٩٧.

(٣) الطلاق/ ٢ ــ ٣.

(٤) الاعراف/ ١٢٨.

(٥) طه/ ١٣٢.

منه يبشرهم ويشد عزائمهم وينمي ارادتهم؟ كل ذلك محتمل وأكثر من ذلك ، فالله الذي ألان الحديد لداود ، وسخر لسليمان الريح ، وعلم آدم الاسماء ، لا يعجزه شيء في الارض والسماء .

قال الله تعالى : «ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً»[1] .

٢ ــ ان عطش الفاسق الى حطام الدنيا يجعله في عذاب واصب ، فإذا بالدنيا تضيق عليه بمذاهبها ، بينما طمأنينة المتقي تجعل الحياة يسراً عليه .

كما ان الله يشرح صدر المؤمن ، ويرزقه الرضا ، ويرزقه شكر نعماءه عليه ـ وبالتالي ـ يجعل الحياة له روحاً وريحاناً ورضاً وسلاماً ذلك لان المتقي الحق يناجي ربه كل يوم مرات ، فيجد عنده ما يشفي من كل غليل ، وينزع من قلبه كل غل عمن يعاشرهم من المؤمنين .

ويجعل قلبه مزرعة الرحمة والحب ، قال ربنا سبحانه :

«فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى»[2] .

٣ ــ على ان بركات السماء والارض بيد الرب سبحانه ، فإذا اتقى أهل الارض أرسلها ، واذا اذنبوا منعها عنهم .

قال الله تعالى : «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض»[3] .

٤ ــ والتقوى تستدر رحمة الله في الحاضر ، وتصلح ما افسده العبد في الماضي ، ويكفر الله بها السيئات ، وقال الله سبحانه :

«واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون»[4] .

٥ ــ وقال الله سبحانه :

---

(١) الطلاق/ ٤ .

(٢) الليل/ ٥ ــ ٧ .

(٣) الاعراف/ ٩٦ .

(٤) يس/ ٤٥ .

«وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيماً»[1].

٦ ــ واذا نزل العذاب بساحة قوم، انجا الله الذين اتقوا من ذلك العذاب، وهكذا التقوى حصن المؤمن من سوء العذاب في الدنيا كما في الآخرة.

قال الله تعالى: «وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون»[2].

١١/ عاقبة المتقين في الآخرة:

الدار الآخرة هي دار المتقين، فهناك البشرى لهم وغفران الذنب، والسلام، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهناك لهم دار الخلد عند ربهم، ولا يحزنهم الفزع الأكبر في ذلك اليوم الرهيب، تعالوا نتلوا آيات الله التي تخبرنا بصدق عن تلك الدار، لعل الله يرزقنا التقوى.

الف ــ كفارة الذنوب

أكثر الناس ينغمسون في الذنوب قبل ان يهديهم الله الى الحق والصلاح، ويبقى هاجس الذنوب يؤرقهم، وانما بالتقوى في بقية حياتهم يتخلصون من الذنوب، لان التقوى كفارة للذنوب، قال الله تعالى:

«ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم»[3].

باء ــ الآخرة للمتقين

والآخرة هي للمتقين خالصة من دون غيرهم:

«وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين»[4].

---

(١) النساء/ ١٢٩.

(٢) النمل/ ٥٣.

(٣) المائدة/ ٦٥.

(٤) الزخرف/ ٣٥.

جيم ــ جنات ونعيم

١ ــ ما يراه المتقون في الآخرة يجعلهم يستبشرون بماضيهم ، فلا يدعوهم الى الحزن أي داع ، بل يزدادون فرحاً كلما تذكروا أيامهم في الدنيا ، حيث وفقهم الله للتقوى ، والتي اورثتهم هذه الفوائد التي لا تحصى .

قال الله تعالى : «يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»(١) .

٢ ــ في ضمير البشر حب عميق للتفوق ، وفي معركة المتقين والفاسقين يحسم الموقف في النهاية لمصلحة المتقين (بالرغم من ان الكفار كانوا يستهزءون منهم في الدنيا ، ولكن هل الدنيا هي كل شيء ؟ كلا انها مجرد متاع ، ولكنها زينت للكفار) .

قال الله تعالى : «زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب»(٢) .

٣ ــ لقد كف المتقون أنفسهم من بعض الشهوات العاجلة شوقاً الى النعيم الخالد ، حيث الجنات التي تجري من تحتها الانهار وها هي قد اعدت لهم عند ربهم ، وقال ربنا سبحانه :

«للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار»(٣) .

٤ ــ انى كانت التقوى شائكة السبل ، مستصعبة على النفس ، فإن أجرها عند الله عظيم ، ولذلك فهو يستحق تحمل الصعاب .

قال الله تعالى : «الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم»(٤) .

٥ ــ وليست الجنة مجرد رياض ذات روافد ، ولكنها دار ضيافة الرب الكريم ،

---

(١) الاعراف/ ٣٥ .

(٢) البقرة/ ٢١٢ .

(٣) آل عمران/ ١٥ .

(٤) آل عمران/ ١٧٢ .

حيث الاكل الدائم والظل الذي لا يزول .

قال الله تعالى : «مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار»[1] .

٦ ـــ وفي تلك الجنات غرف ذات طبقات (فهي قصور شامخة) وذلك وعد الهي صادق .

قال الله تعالى : «لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد»[2] .

٧ ـــ والجزاء المادي لا يسمو الى الجزاء المعنوي حيث الترحاب من ملائكة الرحمة ، وحيث الفخامة والكرامة بالاجتماع (فانهم يدخلون الجنة في صورة وفد محترم ـ زمراً ـ) .

قال الله تعالى : «وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين»[3] .

٨ ـــ «يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً»[4] .

٩ ـــ والكرامة التي تستقبلهم على ابواب الجنة تستمر معهم فيها حتى الابد ـ فلا يسمعون فيها لغواً ـ وانما يحيون فيها بالسلام .

قال الله تعالى : «جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتياً لا يسمعون فيها لغواً الا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً»[5] .

١٠ ـــ والجنة هي الرحلة الى الخلد ، هي المصير والعاقبة ، فلا موت بعدها ، ولا تحول منها ، ولا نهاية . أوليس ذلك جزاء موفور؟

قال الله تعالى : «قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاءً

---

(١) الرعد/ ٣٥ .

(٢) الزمر/ ٢٠ .

(٣) الزمر/ ٧٣ .

(٤) مريم/ ٨٥ .

(٥) مريم/ ٦١ ـــ ٦٣ .

ومصيراً»[1].

١١ — الى جانب الانهار ذات ألوان الشراب من ماء طهور، الى عسل مصفى، الى خمرة لا غول فيها، والى لبن لا يتغير طعمه ـ الى جانب ذلك ـ تجد انواع الثمار التي لا تحصيها عقولنا اليوم، ولهم مغفرة من ربهم (ان رضا الله عنهم نعمة كبرى ولهم فيها لذة تفوق كل لذة).

قال الله تعالى: «مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم»[2].

١٢ — والجنة دار واسعة، فعرضها السموات والارض لا يمل ساكنها، ولا تضيق بأهلها، فهي دار تتجلى فيها رحمة الله الواسعة.

قال الله تعالى: «وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين»[3].

١٣ — قال الله تعالى: «ان المتقين في جنات وعيون»[4].

١٤ — وتستقبل نعم الجنة المتقين منذ لحظة الوفاة، حيث تحييهم ملائكة الموت ويسلمون عليهم ويدعونهم الى الجنة حيث يجدون فيها ما يشاؤون (فلا شيء ينقصهم ولا شيء يحلمون به الا ويرزقون)، تلك الدار هي دارهم ولنعم دار المتقين.

قال الله تعالى: «ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون»[5].

١٥ — ويوم القيامة حيث ينتظر كل فرد مصيره الابدي، تزدلف الجنة قريباً من

---

(١) الفرقان/ ١٥.

(٢) محمّد/ ١٥.

(٣) آل عمران/ ١٣٣.

(٤) الحجر/ ٤٥.

(٥) النحل/ ٣٠ — ٣٢.

المتقين (أليست أعمالهم الصالحة عمرت دورهم في الجنة).

قال الله تعالى: «وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد»[1].

١٦ ـــ قال الله تعالى: «وأزلفت الجنة للمتقين» [2].

١٧ ـــ من ابعاد التقوى طهارة القلب من الغل، من الحسد والحقد والعصبيات، وتتجلى هذه النقاوة في الآخرة في صورة الخلة والاخوة التي بين المتقين في الآخرة، بينما غيرهم في عداوة. وهذا جزء من حالة السلام التي يعيشون فيها، والتي تشمل حياتهم كلها، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وللصلة الطيبة التي تحيط بهم مع الاصدقاء وذوي القربى، فانك تجد المتقين يدخلون الجنة هم وازواجهم حيث لا تنقص عيشهم أمنية تتحطم او حلم يتلاشى (كما في الدنيا) كلا، بل يرزقهم الله ما تشتهيه أنفسهم وتلذ به اعينهم كرامة من الله لهم، ولعل الكلمة التي تقال لهم: ان هذه الجنة هي ميراثكم الذي قدمتموه لانفسكم من بعد الموت، لعل هذه الكلمة تزيد من احساسهم بالكرامة والعزة.

قال الله تعالى: «الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون»[3].

١٨ ـــ والاحساس بالأمن من اعظم نعم الجنة، الامن من العدو، من الفقر، من النقص، من المرض، والامن الاكبر هو الامن من الموت (الذي ينغص ـالخوف منهـ العيش في الدنيا) وثياب الحرير الفاخرة التي يلبسونها، والازواج الرائعة التي لهم، والفواكه الكثيرة التي يطلبونها، وتجعلهم في نعيم وعيش كريم.

---

(١) ق/ ٣١.

(٢) الشعراء/ ٩٠.

(٣) الزخرف/ ٦٧ ـــ ٧٣.

قال الله تعالى: «ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم»[1].

١٩ ـــ واعظم نعم المتقين التي يكرمون بها ـ نعمة الحضور عند رب العزة، فاذا صفيت الافئدة من الغل، واشبعت الاجسام من الحاجات المادية وارتفعت الحجب هنالك تتكامل العقول ويلتقي قلب المتقي بنور الرب.

قال الله تعالى: «ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر»[2].

انها لكرامة وعزة ومدعاة فخر ان يرتقي الانسان ـ هذا المخلوق المتناهي في الضعف والعجز والمحدودية ـ الى مقام كريم فيكون في مقعد صدق لا غرور ولا دجل ولا باطل، ولا حلم ولا أمنية ولا خيال، بل هو مقعد صدق لأنه عند مليك لا حد لملكه ولا عجز في قدرته.

٢٠ ـــ قال الله تعالى: «ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم»[3].

٢١ ـــ ومن النعم السابغة التي يعمق احساس المتقين بالنعم ولذتها البالغة هو ما يقال لهم بأن هذا جزاء أعمالهم، ان الطعام يكون هنيئاً لهم لا يداعيهم احداً فيه باجر او بثمن، لانهم قد قدموا الثمن وفاقاً في الايام الخالية.

قال الله تعالى: «ان المتقين في ظلال وعيون، وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون»[4].

٢٢ ـــ وهكذا كانت الحدائق والاعناب والكواعب (البنات البالغات اللاتي دارت صدورهن) وهن اتراب (مونسات مناسبات متناغمات مع ابدانهم وانفسهم فلا يحدث أي اشكال في التلذذ بهن) وتدار عليهم الكؤوس التي تفيض بالخمر الحلال ولا تسمع آذانهم ولا تتأذى انفسهم بكلمات جارحة.

---

(١) الدخان/ ٥١ ـــ ٥٧.

(٢) القمر/ ٥٤ ـــ ٥٥.

(٣) القلم/ ٣٤.

(٤) المرسلات/ ٤١ ـــ ٤٣.

٢٣ ــ كل هذه النعم العظيمة تتوفر لهم، ثم يقال لهم انها جزاء لهم من ربهم لاعمالهم.

قال الله تعالى: «ان للمتقين مفازاً حدائق واعناباً وكواعب اتراباً وكأساً دهاقاً لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً جزاءً من ربك عطاءً حساباً»(١).

دال ــ النجاة للمتقين فوز عظيم

١ ــ المتقون وحدهم الذين تحفظهم تقواهم من حر النار، بينما الآخرون يدخلونها جميعاً، بسبب او بآخر، وهذه بصيرة هامة، اذ الانسان ابن النار كما هو ابن النور ـ والنار محيطة به وانما بتقواه ينجيه الرب منها ـ فمن حصل على الفوز بهذه الدرجة والخلاص من النار فقد حقق الهدف الكبير من حياته.

قال الله تعالى: «ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً»(٢).

٢ ــ وقال الله تعالى: «فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز»(٣).

٣ ــ وقال الله تعالى: «وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء»(٤).

٤ ــ وقال الله تعالى: «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون»(٥).

هاء ــ تجارة رابحة

١ ــ وفي المقايسة بين دنيا زائلة نصفها غرور وباطل، وبين آخرة باقية نقية، لا يتردد المتقون في اختيار الحياة بالآخرة لانها خير، وهكذا يذكرنا الرب سبحانه بهذه الحقيقة المرة بعد الاخرى، يقول:

---

(١) النبأ/ ٣١ ــ ٣٦.

(٢) مريم/ ٧٢.

(٣) آل عمران/ ١٨٥.

(٤) الزمر/ ٦١.

(٥) النور/ ٥٢.

«وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون»[1].

٢ ــ ويقول ربنا سبحانه : «ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون»[2].

«ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون»[3].

٣ ــ قال الله تعالى : «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»[4].

٤ ــ قال الله تعالى : «هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب» [5] .

١٢/ حدود التقوى :

١ ــ والتقوى نور كلما زاد كان نافعاً رائعاً ، ولذلك فقد امر الله سبحانه بالتقوى حق تقاته ، وقال الله سبحانه :

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون»[6].

٢ ــ بلى .. الله أهل التقوى وقد بين كيف يتقى في كتابه ، ولكن البشر محدود الطاقة فلا يستطيع ان يستوعب ابعاد التقوى الا بقدر ما أتاه الله من سعة ومقدرة .

ولذلك فقد أمر الله سبحانه في آية اخرى بالتقوى بقدر الاستطاعة ، فقال الله تعالى :

«فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيراً لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»[7].

٣ ــ وينبغي أن يأمر الانسان بالتقوى ليزداد الناس تقوى ، وقال ربنا سبحانه :

«أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى»[8].

---

(١) الانعام/ ٣٢ والاعراف/ ١٦٩ .

(٢) يوسف/ ٥٧ .

(٣) يوسف/ ١٠٩ .

(٤) القصص/ ٨٣ .

(٥) ص/ ٤٩ .

(٦) آل عمران/ ١٠٢ .

(٧) التغابن/ ١٦ .

(٨) العلق/ ١٢ .

في رحاب الأحاديث

حفلت وصايا الانبياء واوصياؤهم الكرام عليهم جميعاً صلوات الله وسلام ، حفلت بالتأكيد على التقوى ، إلا ان وصايا الامام أمير المؤمنين -عليه السلام- في نهج البلاغة ذات وهج خاص ومن هنا فقد اخترناها لتكون ختام مسك لهذا الفصل . والمرجو ان ينفتح عليها قلب القارئ الكريم ليزداد نوراً وبهاءاً .

١/ تقاة من سمع فخشع

(فاتقوا الله تقية من سمع فخشع ، واقترف فاعترف ، ووجل فعمل ، وحاذر فبادر ، وأيقن فأحسن ، وعبر فاعتبر ، وحذر فحذر ، وزجر فازدجر ، وأجاب فأناب ، وراجع فتاب ، اقتدى فاحتذى ، وأري فرأى ، فأسرع طالباً ، ونجا هارباً ، فأفاد ذخيرة ، وأطاب سريرة ، وعمر معاداً ، واستظهر زاداً ، ليوم رحيله ووجه سبيله ، وحال حاجته ، وموطن فاقته ، وقدم امامه لدار مقامه . فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له ، واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه ، واستحقوا منه ما أعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده ، والحذر من هول معاده) (١).

٢/ فروا الى الله من الله

(فاتقوا الله عباد الله ، وفروا الى الله من الله ، وامضوا في الذي نهجه لكم ، وقوموا

(١) نهج البلاغة خطبة/ ٨٣.

عصبه بكم ، فعلي ضامن لفلجكم آجلاً ، إن لم تمنحوه عاجلاً)[1].

٣/ اتقوا مدارج الشيطان

(واتقوا مدارج الشيطان ، ومهابط العدوان ، ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام ، فإنكم بعين من حرم عليكم المعصية ، وسهل لكم سبل الطاعة)[2].

٤/ أطيعوا الله

(اتقوا الله في عباده وبلاده ، فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم ، أطيعوا الله ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الخير فخذوا به ، وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه»[3].

٥ ــ من شمر تجريداً

وقال ـعليه السلام ـ: (اتقوا الله تقية من شمر تجريداً ، وجد تشميراً ، وكمش في مهل ، وبادر عن وجل ، ونظر في كرة الموئل وعاقبة المصدر، ومغبة المرجع)[4].

٦ ــ سمع حكماً فوعى

(رحم الله إمرأ سمع حكماً فوعى ، ودعي الى رشاد فدنا ، وأخذ بحجزة هاد فنجا . راقب ربه ، وخاف ذنبه ، قدم خالصاً ، وعمل صالحاً . اكتسب مذخوراً ، واجتنب محذوراً ، ورمى غرضاً ، وأحرز عوضاً ، كابر هواه ، وكذب مناه . جعل الصبر مطية نجاته ، والتقوى عدة وفاته ، ركب الطريقة الغراء ، ولزم المحجة البيضاء . اغتنم المهل ، وبادر الأجل ، وتزود من العمل)[5].

---

(١) نهج البلاغة خطبة/ ٢٤ .

(٢) المصدر خطبة/ ١٥١ .

(٣) المصدر خطبة/ ١٦٧ .

(٤) المصدر قصار الحكم/ ٢١٠ .

(٥) المصدر خطبة/ ٧٦ .

٧/ الشاهد هو الحاكم

وقال -عليه السلام-: (اتقوا معاصي الله في الخلوات، فان الشاهد هو الحاكم)[١].

٨/ التقوى: مخرج من الفتن

(واعلموا «انه من يتق الله يجعل له مخرجاً» من الفتن، ونوراً من الظلم، ويخلده فيما اشتهت نفسه، وينزله منزل الكرامة عنده، في دار اصطنعها لنفسه، ظلها عرشه، ونورها بهجته، وزوارها ملائكته، ورفقاؤها رسله، فبادروا المعاد، وسابقوا الآجال، فان الناس يوشك ان ينقطع بهم الأمل، ويرهقهم الأجل، ويسد عنهم باب التوبة. فقد اصبحتم في مثل ما سأل إليه الرجعة من كان قبلكم، وأنتم بنوا سبيل، على سفر من دار ليست بداركم، وقد أوذنتم منها بالارتحال، وأمرتم فيها بالزاد. واعلموا انه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار، فارحموا نفوسكم، فانكم قد جربتموها في مصائب الدنيا)[٢].

٩/ زاد مبلغ

(اوصيكم، عباد الله، بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ: زاد مبلغ، ومعاذ منجح. دعا اليها أسمع داع، ووعاها خير واع. فاسمع داعيها، وفاز واعيها.

عباد الله، ان تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، والزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم، واظمأت هواجرهم، فأخذوا الراحة بالنصب، والري بالظمأ، واستقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذبوا الأمل فلاحظوا الأجل)[٣].

١٠/ فكن لنفسك مانعاً رادعاً

(اتق الله في كل صباح ومساء، وخف على نفسك الدنيا الغرور، ولا تأمنها على

---

(١) نهج البلاغة قصار الحكم/ ٣٢٤.

(٢) المصدر خطبة/ ١٨٣.

(٣) المصدر خطبة/ ١١٤.

حال، واعلم انك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب، مخافة مكروه، سمت بك الأهواء الى كثير من الضرر. فكن لنفسك مانعاً رادعاً، ولنزوتك عند الحفيظة واقماً قامعاً)[1].

١١/ ناراً حرها شديد

(واتقوا ناراً حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليتها حديد، وشرابها صديد، ألا وإن اللسان الصالح يجعله الله تعالى للمرء في الناس، خير له من المال يورثه من لا يحمده)[2].

١٢/ التقوى نور من الظلم

(فاتقوا الله الذي انتم بعينه، ونواصيكم بيده، وتقلبكم في قبضته، ان اسررتم علمه، وان اعلنتم كتبه، قد وكّل بذلك حفظة كراماً، لا يسقطون حقاً، ولا يثبتون باطلاً، واعلموا (انه من يتق الله يجعل له مخرجاً) من الفتن، ونوراً من الظلم...)[3].

١٣/ بادروا الموت

وقال -عليه السلام-: (أيها الناس، اتقوا الله الذي إن قلتم سمع، وإن اضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم منه ادرككم، وإن اقمتم أخذكم، وإن نسيتموه ذكركم)[4].

١٤/ كم من مؤمل مالا يبلغه

وقال -عليه السلام-: (معاشر الناس، اتقوا الله، فكم من مؤمل مالا يبلغه، وبان مالا يسكنه، وجامع ما سوف يتركه، ولعله من باطل جمعه، ومن حق منعه، أصابه حراماً، واحتمل به آثاماً، فباء بوزره، وقدم على ربه، آسفاً لاهفاً، قد (خسر الدنيا

---

(١) نهج البلاغة كتاب/ ٥٦.
(٢) المصدر خطبة/ ١٢٠.
(٣) المصدر خطبة/ ١٨٣.
(٤) المصدر قصار الحكم/ ٢٠٣.

والآخرة، ذلك هو الخسران المبين)[1].

١٥/ مطايا ذلل

(ألا وان التقوى مطايا ذلل، حمل عليها أهلها، وأعطوا ازمتها، فاوردتهم الجنة، حق وباطل، ولكل أهل، فلئن أمر الباطل لقديماً فعل، ولئن قل الحق فلربما ولعل، ولقلما أدبر شيء فأقبل)[2].

١٦/ أصلحوا ذات بينكم

(لا يهلك على التقوى سنخ اصل، ولا يظمأ عليها زرع قوم. فاستتروا في بيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم، ولا يحمد حامد إلا ربه، ولا يلم لائم إلا نفسه)[3].

١٧/ دار حصن عزيز

(اعلموا عباد الله، ان التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله، ولا يحرز من لجأ اليه. ألا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا، وباليقين تدرك الغاية القصوى)[4].

١٨/ التقوى معقل منيع

(فاعتصموا بتقوى الله، فان لها حبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته. وبادروا الموت وغمراته، وامهدوا له قبل حلوله، واعدوا له قبل نزوله: فان الغاية القيامة؛ وكفى بذلك واعظاً لمن عقل، ومعتبراً لمن جهل! وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس، وشدة الأبلاس، وهول المطلع، وروعات الفزع، واختلاف الاضلاع،

(١) نهج البلاغة قصار الحكم/ ٣٤٤.
(٢) المصدر خطبة/ ١٦.
(٣) المصدر خطبة/ ١٦.
(٤) المصدر خطبة/ ١٥٧.

واستكاك الأسماع ، وظلمة اللحد ، وخيفة الوعد ، وغم الضريح ، وردم الصفيح)[1].

١٩/ الطريق الى الجنة

(عباد الله ! اوصيكم بتقوى الله فانها حق الله عليكم ، والموجبة على الله حقكم ، وان تستعينوا عليها بالله ، وتستعينوا بها على الله ، فان التقوى في اليوم الحرز والجنة ، وفي غد الطريق الى الجنة . مسلكها واضح ، وسالكها رابح ، ومستودعها حافظ . لم تبرح عارضة نفسها على الأمم الماضين منكم والغابرين ، لحاجتهم اليها غداً ، إذا أعاد الله ما أبدى ، وأخذ ما أعطى ، وسأل عما اسدى . فما أقل من قبلها ، وحملها حق حملها ! أولئك الأقلون عدداً ، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول : (وقليل من عبادي الشكور)[2].

٢٠/ التقوى دواء

(فان تقوى الله دواء داء قلوبكم ، وبصر عمى افئدتكم ، وشفاء مرض اجسادكم ، وصلاح فساد صدوركم ، وطهور دنس انفسكم ، وجلاء عشا ابصاركم ، وأمن فزع جأشكم ، وضياء سواد ظلمتكم . فاجعلوا طاعة الله شعاراً دون دثاركم ، ودخيلاً دون شعاركم ، ولطيفاً بين أضلاعكم ، وأميراً فوق أموركم ، ومنهلاً لحين ورودكم ، وشفيعاً لدرك طلبتكم ، وجنة ليوم فزعكم ، ومصابيح لبطون قبوركم ، وسكناً لطول وحشتكم ، ونفساً لكرب مواطنكم . فان طاعة الله حرز من متالف مكتنفة ، ومخاوف متوقعة ، وأوار نيران موقدة . فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها ، واحلولت له الأمور بعد مرارتها ، وانفرجت عنه الامواج بعد تراكمها ، واسهلت له الصعاب بعد انصبابها ، وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها ، وتحدبت عليه الرحمة بعد نفورها ، وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها ، ووبلت عليه البركة بعد ارذاذها)[3].

---

(١) نهج البلاغة خطبة/ ١٩٠.

(٢) المصدر خطبة/ ١٩١.

(٣) نهج البلاغة خطبة/ ١٩٨.

الباب الثاني

عن الايمان ؛
معارجه وذراه



صفوة القول

هدف المؤمن ابتغاء مرضاة الله ، لان قلبه مشكاة معرفة الله وحبه ، فشوقه دائب الى التقرب الى الله .

إنك ترى المؤمن دائب الركوع والسجود ابتغاء مرضاة ربه . وشديد الحذر من ان يشتري سخطه برضا احد من خلقه .

وابتغاء مرضاة الله ، يجعل المؤمن على خط مستقيم لان الأهواء لا تميل به كل حين الى طرف .

وبعد الحديث عن ابتغاء مرضاة الله عند المؤمن . (في القسم الأول) نستوحي آفاق عبادة الله (في القسم الثاني) لان العبادة هي التسامي الى الله عبر سبيل قويم بالتخلص من الخضوع للجبت والطاغوت ، واجتناب الانداد والأولياء من دون الله . ثم الانسجام مع الكائنات في التسليم لرب العالمين ، والطاعة التامة له ولرسله .

وهكذا تكون الطاعة (القسم الثالث) أجلى مظاهر العبادة ، وبالذات الطاعة لرسول الله ، والانقياد التام لما يأمربه، وعادة تكون الطاعة في الأمن والخوف (في السلم والحرب) وفي القضاء بين الناس ورد الاختلافات اليه .

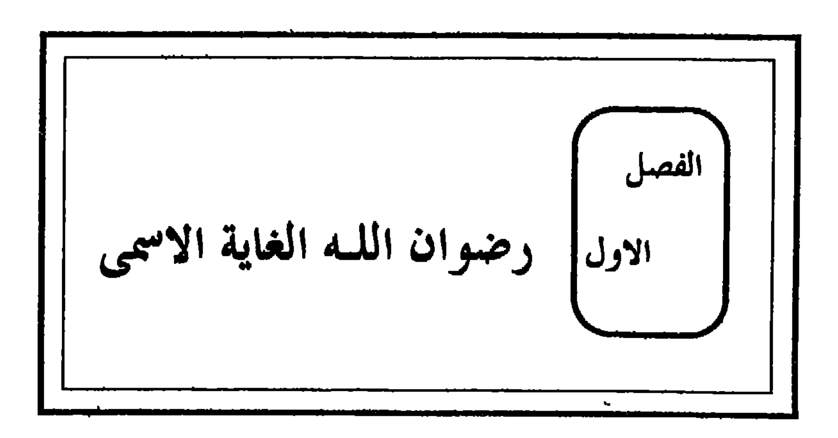
وفي الانقياد للرسول في الحقل السياسي والاقتصادي والثقافي.. وللاولياء الذين اصطفاهم الله من بعد الرسول ..

وإذا اكتملت الطاعة والعبادة وابتغاء مرضاة الله فان الحديث يحلو عن لقاء الله (وذلك في القسم الرابع والأخير) .

ووعي لقاء الله سبحانه يزيد المؤمن تقوى وورعاً ، كما أن الكفر بلقاء الله يزيد المنافق طغياناً وعمقاً .

وهناك علاقة وثيقة بين انتظار لقاء الله والهدى ، وبينه وبين الصفات المثلى ، كما ان عدم رجاء لقاء الله والكفر به أم المفاسد ، لانه يجعل الانسان يستحب الحياة الدنيا .

وهكذا يتسامى المؤمن عبر درجات القرب حتى يبلغ أعلى ذرى الكمال .



١ ــ بعد ان تتجلى اسماء الله الحسنى في افئدة المؤمنين فيزدادون بربهم معرفة وعليه توكلا، تصبغ حياتهم بصبغة الله، فاذا بهم يتبعون رضوانه في قيامهم وقعودهم، في افكارهم واعمالهم، لا يحيدون عن نهج الله شيئاً، ان هذه البصيرة (رضوان الله) هي الحلقة التي توصل سلوكهم الظاهر بما في قلوبهم، قال الله تعالى:

«واتبعوا رضوان الله والله ذوفضل عظيم»[1].

٢ ــ وهكذا تجد المؤمنين يجدون في العبادات، ابتغاء مرضاة ربهم، فكلما اجتهدوا في الركوع والسجود لم يخرجوا عن خوف التقصير في جنب الله.

قال الله تعالى: «تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً»[2].

٣ ــ وعطاء المؤمنين انما هو ابتغاء مرضاة الله، وفي سبيل الله (وليس رياء ولا اشراً او بطر) لذلك فان جزاءهم عليه ضعفان.

قال الله تعالى: «ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فأتت أكلها ضعفين»[3].

٤ ــ والذين يبتغون مرضاة الله (في الامر بالمعروف والاصلاح) فان لهم عند الله

---

(١) آل عمران/ ١٧٤.

(٢) الفتح/ ٢٩.

(٣) البقرة/ ٢٦٥.

أجراً عظيماً، أليسوا يخالفون اهوائهم؟ قال الله تعالى:

«لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجراً عظيماً»(١).

وهكذا أوصى الاسلام بابتغاء مرضاة الله فقد روي:

عن أبي عبدالله الصادق ـ عليه السلام ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: (لا تسخطوا الله برضا احد من خلقه، ولا تتقربوا الى احد من الخلق بتباعد من الله عزوجل، فان الله ليس بينه وبين احد من الخلق شيء يعطيه به خيراً او يصرف به عنه سوءاً، الا بطاعته وابتغاء مرضاته، ان طاعة الله نجاح كل خير يبتغى، ونجاة من كل شر يتقى، وان الله يعصم من اطاعه ولا يعتصم منه من عصاه، ولا يجد الهارب من الله مهرباً، فان أمر الله نازل باذلاله، ولو كره الخلائق، وكل ما هو آت قريب، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن)(٢).

٥ ـ هكذا تكون صبغة حياتهم ابتغاء رضوان الله، والتي من ابعادها هجرتهم او اقامتهم فهم لا يعبدون ارضاً، ولا يقدسون وطناً، وانما خير البلاد عندهم ما توفرت فيها مرضاة الله، ومن هنا فان هجرتهم الى الله.

قال الله تعالى: «الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً»(٣).

٦ ـ وللخروج في سبيل الله شرط هام هو قطع الصلة مع الكفار، والا يتخذ المؤمن منهم اولياء، قال الله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي»(٤).

---

(١) النساء/ ١١٤.

(٢) بحار الانوار ج ٧٠/ ص ٣٩٤ رواية ١٠.

(٣) الحشر/ ٨.

(٤) الممتحنة/ ١.

٧ ــ وقد يبلغ المؤمنون درجة من اليقين يقدمون حياتهم ثمناً لرضوان الله ، وانها بيعة رابحة وتجارة لن تبور.

قال الله تعالى: «من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد»[١].

٨ ــ وحتى العبادات والشعائر الدينية يجب ان تهدف مرضاة الله ، والا فهي تصبح بدعة كالرهبنة التي خرجت عن اطارها الشرعي واصبحت بدعة.

قال الله تعالى: «ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون»[٢].

٩ ــ وهكذا الشعائر الدينية مشروطة حرمتها بصبغتها العبادية الخالصة ، فلو خرجت عن حدود مرضاة الله فانها لا تحترم ، قال الله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً»[٣].

١٠ ــ وجزاء اتباع رضوان الله الهداية في الدنيا والآخرة ، حيث ان الله يعرّفه السبل الآمنة التي تؤدي الى اهدافه وتطلعاته بلا عقبات او اخطار، واما في الآخرة فانه يهديه الى الصراط المستقيم الذي يقوده الى الجنة ، قال الله تعالى:

«يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم»[٤].

وعن الصادق عن ابيه عن جده ـعليهم السلامـ قال: (كتب رجل الى الحسين بن علي ـعليه السلامـ وقال: يا سيدي اخبرني بخير الدنيا والآخرة: فكتب اليه: بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد ، فانه من طلب رضى الله بسخط الناس كفاه الله امور الناس ،

---

(١) البقرة/ ٢٠٧.

(٢) الحديد/ ٢٧.

(٣) المائدة/ ٢.

(٤) المائدة/ ١٦.

ومن طلب رضى الناس بسخط الله وكّله الله الى الناس، والسلام)[1].

١١ ــ وليس امام البشر إلّا نجدان: اما ابتغاء مرضاة الله، واما ان يبوء بسخط الله، حيث يكون مصيره نار جهنم وبئس المصير.

قال الله تعالى: «أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله»[2].

وفيما كتب أمير المؤمنين -عليه السلام- لمحمد بن أبي بكر: (ان استطعت ان لا تسخط ربك برضا احد من خلقه فأفعل، فان في الله عزوجل خلفاً من غيره، وليس في شيء سواه خلف منه)[3].

وما جاء عن أبي جعفر الباقر -عليه السلام- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (من طلب مرضاة الناس بما يسخط الله كان حامده من الناس ذاماً، ومن اثر طاعة الله بغضب الناس كفاه الله عداوة كل عدو، وحسد كل حاسد، وبغي كل باغ، وكان الله عزوجل له ناصراً وظهيراً)[4].

١٢ ــ أما جزاء من يتبع ما يسخط الله، ولا يبتغي رضوانه، فانه العذاب منذ اللحظات الاولى لرحلته الى الآخرة، حيث تستقبله الملائكة بالضرب على وجهه ودبره.

قال الله تعالى: «فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم * ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه»[5].

---

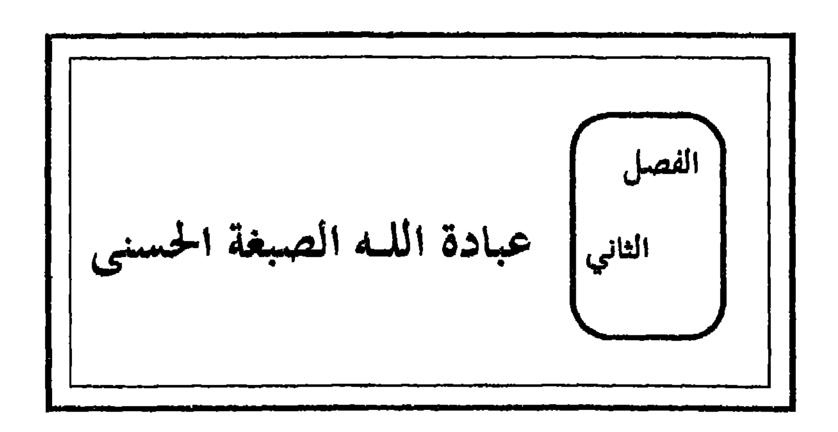
(١) بحار الانوار ج٦٨/ ص٣٧١ رواية ٣.

(٢) آل عمران/ ١٦٢.

(٣) بحار الانوار ج٦٨/ ص٣٧١ رواية ٤.

(٤) بحار الانوار ج٧٠/ ص٣٩٢ رواية ٢.

(٥) محمد/ ٢٧ ــ ٢٨.



الفصل الثاني
عبادة الله الصبغة الحسنى

اذا استنار الفؤاد بضياء الايمان، واوتي نصيباً من العرفان، خشعت النفس ونشطت للعبادة، التي تعني اظهار الخشوع، والحب والوله -قلباً ولساناً وعملاً-. وهكذا جاء في الرواية المأثورة، عن عمرو بن جميع عن أبي عبدالله -عليه السلام- قال: (قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: «افضل الناس من عشق العبادة فعانقها، واحبها بقلبه وباشرها بجسده، وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما اصبح من الدنيا، على عسر ام على يسر»[1].

كما روي عن أبي جميلة قال: قال أبو عبدالله -عليه السلام-: (قال الله تبارك وتعالى: يا عبادي الصديقين، تنعموا بعبادتي في الدنيا، فانكم تتنعمون بها في الآخرة)[2].

كيف تتم العبادة وما هي اهدافها؟

هذه بصيرتان:

اولاً: تتجلى حقيقة العبادة بالتوحيد ورفض الانداد، فالخشوع لله لا يعني شيئاً، لو خشع الانسان لصنم، او عبد هوى.

ولذلك فان نفي الاصنام (الآلهة المزيفة)، ورفض الطاغوت، ونفي سلطة الاحبار والرهبان، وعدم اتخاذ عيسى الهاً.. كل ذلك من حقائق العبادة.

---

(١) الكافي ج٢/ ص ٨٣.

(٢) الكافي ج٢/ ص ٨٣.

وهكذا جاء في الحديث المأثور عن عبدالله بن مسكان عن أبي عبدالله -عليه السلام- في قول الله عزوجل : «حنيفاً مسلماً» قال : (خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الاوثان)[1].

ثانياً : تهدف العبادة تسامياً روحياً الى ذروة الكمال العقلي والنفسي (التي تسمى باليقين) وتعالياً حياتياً الى قمة التسليم العملي (التي تسمى بالتقوى).

ومن هنا روي عن علي بن اسباط عن أبي الحسن الرضا -عليه السلام-، ان أمير المؤمنين -عليه السلام- كان يقول : (طوبى لمن اخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما اعطى غيره)[2]

وهكذا يبدو ان اليقين والتقوى هما معاً ذروة الذرى، ومنتهى التعالي. وهكذا سوف نفصل القول بإذن الله في هذه البصائر:

١ ــ توحيد الله في العبادة:

١ ــ معنى الايمان الحق هو توحيد الله في العبادة، وهذه هي رسالة كل الأنبياء، والتي تختصر كل دعوتهم، وكل القيم المثلى التي جاءوا بها.

قال الله تعالى : «الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير»[3].

٢ ــ وهكذا جاء على لسان خاتم الانبياء محمد -صلى الله عليه وآله- وفي دعوة شيخ المرسلين نوح، وهي رسالة هود الى عاد، وصالح الى ثمود، وشعيب الى اصحاب الأيكة، وهي دعوة ابراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء -عليهم السلام-.

قال الله تعالى : «ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم»[4].

٣ ــ وهي وصية الأنبياء الى ذريتهم، قال الله تعالى :

«أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد

---

(١) الكافي ج٢/ ص ١٥.

(٢) الكافي ج٢/ ص ١٦.

(٣) هود/ ٢.

(٤) هود/ ٢٦.

الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الهاً واحداً ونحن له مسلمون»[1].

وكذلك قال أبو بصير: سألت أبا عبدالله ـعليه السلام ـ عن حد العبادة التي اذا فعلها فاعلها كان مؤدياً ؟ فقال : (حسن النية بالطاعة)[2].

٤ ـ وهي الكلمة التي تجمع كل الدعوات الالهية على صعيد الايمان بالله الواحد ، فالله هو الرب وهو السلطان وهو الولي ، ولا شيء يشركه في الربوبية او السلطة او الولاية .

قال الله تعالى : «قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله»[3].

٥ ـ ولكي يبلغ المؤمن درجة عبادة الله سبحانه ، فلابد ان يخلص في التسليم لما يأمره به من شرائع واحكام .

قال الله تعالى : «وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة»[4].

وهكذا روي عن كامل التمّار قال : قال ابو جعفر ـعليه السلام ـ : (يا كامل تدري ما قول الله : «قد افلح المؤمنون») قلت : جعلت فداك : افلحوا وفازوا وادخلوا الجنة ، قال : (قد أفلح المسلمون ان المسلمين هم النجباء)[5].

والتسليم لله لا يعني شيئاً لولا يسلم الانسان لرسوله ، فقد روى الكامل عن أبي عبدالله ـعليه السلام ـ انه تلا هذه الآية : «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً» .

فقال : (لو ان قوماً عبدوا الله ووحدوه ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ : لو صنع كذا وكذا ، او وجدوا ذلك في انفسهم كانوا بذلك مشركين ، ثم

---

(١) البقرة/ ١٣٣ .

(٢) الكافي ج٢/ ص ٨٥ .

(٣) آل عمران/ ٦٤ .

(٤) البيّنة/ ٥ .

(٥) بحار الانوار ج٢/ ص١٩٩ .

قال : «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً» ، قال : هو التسليم في الامور)[1].

٦ ــ والمسيح عيسى بن مريم (الذي زعم البعض من اتباعه انه ابن الله) انما دعا بني اسرائيل الى عبادة الله ، واعترف ان الله هو ربه ، وان المشرك به يحرم من الجنة .

قال الله تعالى : «وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار»[2].

٧ ــ وعبادة الله وحده هي الخط الفاصل بين المؤمنين والكافرين ، حيث يعلن المؤمنون البراءة ـ بكل صراحة ـ من الكفار الذين يعبدون غير الله .

قال الله تعالى : «قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم»[3].

٨ ــ والدين الخالص الذي لا يشركه فيه أحد انما هو لله سبحانه .

قال الله تعالى : «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين الا لله الدين الخالص»[4].

٩ ــ وهكذا تتجلى العبادة حقاً في التسليم المطلق لدين الله ، وتشريعه واحكامه ، وهكذا فرض الله على رسوله الاعلان عن ذلك للناس بكل وضوح فلا يزعم احد ان الرسول يدعو الناس الى نفسه ، وما يشرعه لهم .

قال الله تعالى : «قل اني امرت ان اعبد الله مخلصاً له الدين»[5].

ومن هنا جعل أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ كمال توحيد الله الاخلاص له فقال :

(أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ،

---

(١) بحار الانوار ج٢/ ص١٩٩ .

(٢) المائدة/ ٧٢ .

(٣) الكافرون/ ٢ ـ ٥ .

(٤) الزمر/ ٢ ـ ٣ .

(٥) الزمر/ ١١ .

وكمال توحيده الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة انها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف انه غير الصفة)[1].

١٠ ــ مرة اخرى يأمر الله سبحانه عبده ورسوله بتحدي الكفار، بأنه لا يشرك احداً غير الله في السلطة والتشريع ، فليعبدوا ما شاءوا من دونه اما هو فلا يختار على الله شيئاً .

قال الله تعالى : «قل الله اعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه»[2].

١١ ــ ولن يتقبل الله عملاً لا خلوص له ، وهكذا يأمر الله رسوله والمؤمنين برفض ما يأمر به الجاهلون ، لانه قد اوحي اليه ـ كما اوحي الى الرسل من قبله ـ بأنه لو أشرك في عبادته فسوف يحبط عمله ويصبح من الخاسرين ، بل يعبد الله ويشكره على نعمائه جميعاً ؛ ونعمة الهداية بالذات .

قال الله تعالى : «قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين»[3].

١٢ ــ فهذه هي قيمة الايمان ، قيمة خلوص الايمان ، وصفاءه ، ونقاءه ، وابعاده عن كل زيغ وانحراف .

قال الله تعالى : «قل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احداً»[4].

هكذا كانت حقيقة العبادة ؛ خلوص الدين لله ، وترك الانداد وان يدعى الله وحده ولا يدعى معه شريك

٢ ــ رفض تعددية الآلهة :

١ ــ قال الله تعالىٰ : «لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فأرهبون»[5].

---

(١) نهج البلاغة/ الخطبة الأولى .

(٢) الزمر/ ١٤ - ١٥ .

(٣) الزمر/ ٦٤ - ٦٦ .

(٤) الجن/ ٢٠ .

(٥) النحل/ ٥١ .

فرب العالمين ومليك السموات والارض نهى عن اتخاذ إله آخر، فلو كان له شريك في الملك او ولد او كفؤ لكان ينبغي ان يأمر بعبادته أيضاً، وقد تفرد ربنا بالجبروت وتسربل بالكبرياء والعظمة، وذلك اعظم برهان على انه لا شريك يغالبه ولا ولي له من الذل سبحانه.

وفي خاتمة الآية تعريض بأولئك الذين يرهبون الآلهة فيعبدونها من دون الله سبحانه، والله أحق بالرهبة منها، لانه القاهر المقتدر.

٢ ــ وحيث لا شريك له فلا ولد له لأنه تعالى ان يحتاج الى كفؤ او ذرية.

قال الله تعالى: «انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد»[1].

٣ ــ والذين زعموا ان لله شريكاً او ولداً او كفؤاً، فانهم لم يؤمنوا بالله جبار السموات العزيز المتكبر، وانما تخيلوا شيئاً موهوماً ضعيفاً مقهوراً، وزعموا انه الله سبحانه، لذلك فانهم قد كفروا بكل شيء، ولم يؤمنوا بشيء.

قال الله تعالى: «لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة، وما من اله الا اله واحد»[2].

٤ ــ والخضوع لله، وعبادته والتسليم له لا يجتمع مع الخضوع لغيره وعبادة ما سواه، لان التسليم له يعني تنفيذ ما يقوله، والانسان لا تتسع حياته لقيادتين، وتوجهين، من هنا فان اول أبعاد الايمان بالله هو البراءة مما يشركون.

قال الله تعالى: «قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون»[3].

٥ ــ وإذا قال ربنا اعبدوا الله؛ فانه ينطوي على بصيرة «التوحيد» وانه لا اله الا الله، لان هذا بالضبط هو معنى العبادة، وهكذا قال الله على لسان شيخ المرسلين نوح:

«فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم»[4].

٦ ــ كذلك جاء على لسان النبي هود.

---

(١) النساء/ ١٧١.

(٢) المائدة/ ٧٣.

(٣) الانعام/ ١٩.

(٤) الاعراف/ ٥٩.

قال الله تعالى: «والى عاد اخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره»[1].

٧ ــ وهكذا على لسان النبي صالح.

قال الله تعالى; «والى ثمود اخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره»[2].

٨ ــ وكذلك على لسان النبي شعيب.

قال الله تعالى: «والى مدين اخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره»[3].

٩ ــ ودعوة التوحيد انطلقت من الشجرة ناطقة بإسم الله ـ سبحانه ـ وآمرة باخلاص العبودية واقامة الصلاة لذكر الله.

فقال الله تعالى: «انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري»[4].

١٠ ــ ـ وبكلمة ـ كانت تلك صفوة رسالات الله الى الناس: ان عليهم ان يعبدوا الله وحده، لانه لا إله إلّا هو، قال الله تعالى:

«وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا إله الا انا فاعبدون»[5].

١١ ــ وقد زعمت الفلسفات البشرية السحيقة: ان الله قد اتخذ الهاً آخر صدر عنه وفاضت نفسه به، فهو وليه من الذل لا يستطيع التفصي عنه، وهو ولده الذي لا يستطيع التخلص منه او مقاومته، والله اعلن عبر رسالاته بطلان هذه الفكرة.

قال الله تعالى: «ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله»[6].

ولعل نظرية الفيض التي ترى صدور العالم عن الله بصورة قسرية وبلا ارادة منه،

---

(١) الاعراف/ ٦٥ وهود/ ٥٠.

(٢) الاعراف/ ٧٣ وهود/ ٦١.

(٣) الاعراف/ ٨٥ وهود/ ٨٤.

(٤) طه/ ١٤.

(٥) الأنبياء/ ٢٥.

(٦) المؤمنون/ ٩١.

ولا حق وعي ؛ كانت وراء هذه الافكار الباطلة ، والتي انذر الله تابعيها .

١٢ ـــ وقال الله تعالى : «فلا تدع مع الله الهاً آخر فتكون من المعذبين» [١] .

١٣ ـــ وقال الله تعالى : «ولا تدع مع الله الهاً آخر لا اله الا هو»[٢] .

١٤ ـــ ورفض الآلهة ، يعني رفض دعوتهم ، والتوسل بهم ، والاعتقاد بأنهم شفعاء من دون اذنه ، وان نصيباً من السلطة لهم .

فقال الله تعالى : «لن ندعوا من دونه الهاً لقد قلنا اذاً شططاً»[٣] .

١٥ ـــ وبالذات في المساجد حيث يعلو ذكر الله تعالى ، حرام ان يدعى احد غير الله ، وهذا نوع من عبادة غير الله فيها ، لان العبادة خالصة لله ، فلابد ان يتجلى هذا الخلوص في بيوت العبادة .

قال الله تعالى : «وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً»[٤] .

٣ ـــ رفض الشركاء :

١ ـــ والعبادة لا تسمو الى درجة الخلوص ، من دون تحدي الشركاء ، ورفض الشرك بكل الوانه .

فقال الله تعالى : «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً»[٥] .

٢ ـــ وهذه اعظم قيمة ومنها تفيض سائر قيم الحق . (ومن هنا فقد كانت الدعوة الى هذه القيمة كأنها دعوة الى سائر القيم) .

وقال الله تعالى : «قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه مئاب»[٦] .

---

(١) الشعراء/ ٢١٣ .

(٢) القصص/ ٨٨ .

(٣) الكهف/ ١٤ .

(٤) الجن/ ١٨ .

(٥) النساء/ ٣٦ .

(٦) الرعد/ ٣٦ .

٣ ــ ورفض الشركاء بعد من ابعاد العبادة ، وبالتالي الكلمة الثانية (لا اشرك به) تفصيل للكلمة الاولى (اعبد الله) لان حقيقة العبادة هي التسليم المطلق لله ، وكيف يتم التسليم مع الشرك ؟!

قال الله تعالى : «يعبدونني لا يشركون بي شيئاً»[١].

٤ ــ رفض التثليث :

١ ــ ويفصل القرآن ، بصيرة العبادة اكثر ، حين نهى عن نوع من الشرك كان شائعاً ولا يزال ، وهو القول بالتثليث ، ويعتبر رفضه شرطاً من شروط الايمان فيقول : «فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم»[٢].

٢ ــ ويضرب مثلاً اوضح وأكثر تفصيلاً حين يقول سبحانه :

«لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون»[٣].

حيث يعرض بالذين اتخذوا عيسى المسيح او الملائكة الهة .

٣ ــ قال الله تعالى : «ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون»[٤].

٥ ــ رفض الأنداد :

ومن ابعاد الايمان بالله وعبادته مخلصاً له الدين اجتناب الانداد ، فلا يجعل لله سبحانه نداً (كفؤاً) في الخلق (الصنم) او في الولاية (الطاغوت) او في التشريع (اتباع المستكبرين) او ما أشبه .

١ ــ وهكذا نهى ربنا من اتخاذ الانداد لله سبحانه بعد ان ذكرنا بانه هو الخالق المدبر الرازق ، فلا يجوز ان ينسب شيء من خلق الله الى غيره .

---

(١) النور/ ٥٥ .

(٢) النساء/ ١٧١ .

(٣) النساء/ ١٧٢ .

(٤) سبأ/ ٤٠ ــ ٤١ .

قال الله تعالى : «الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناءاً وانزل من السماء ماءاً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون»[1] .

٢ ــ وعلينا ان نتبع هدى ربنا ولا نسويه بضلال الآباء او الكبراء، فنكون قد اتخذنا لله انداداً سبحانه .

قال الله تعالى : «وجعلوا لله انداداً ليضلوا عن سبيله»[2] .

٣ ــ وهكذا نستوحي من هذه الآية ان عاقبة اتخاذ الند لله هي الضلالة عن سبيل الله ، وانما يندم الذي اتخذ لله نداً حين يبرز الى الله هو ومن اتخذه نداً حيث يقول الله تعالى : «وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص»[3] .

٤ ــ وقال الله تعالى : «ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حباً لله ، ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعاً وان الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب»[4] .

وهكذا تكون عاقبة الظالمين الذين يجعلون المستكبرين او الآباء انداداً لله يتبعونهم في شؤون دينهم او حياتهم .

٥ ــ ومن هنا أمر الله عباده باجتناب الطاغوت ، وعدم طاعته او اتباعه . وأمرهم باتباع احسن القول وفق هدى عقولهم او وحي دينهم .

قال الله تعالى : «والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه»[5] .

---

(١) البقرة/ ٢٢ .

(٢) ابراهيم/ ٣٠ .

(٣) ابراهيم/ ٢١ .

(٤) البقرة/ ١٦٥ - ١٦٦ .

(٥) الزمر/ ١٧ - ١٨ .

٦ ـــ وذكرهم بأنهم عند الشدائد يجأرون الى الله سبحانه.فكيف يتخذون لله انداداً (يتبعونهم و يستمعون اليهم بلا اختيار).

قال الله تعالى: «واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله انداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً انك من اصحاب النار»[1].

وغداً حين يقوم الناس لرب العالمين يقول الذين كفروا (وجعلوا لله انداداً واتبعوهم اتباعاً اعمى سواء من الجن كالجبت او من الانس كالطاغوت يقولون) قال الله تعالى: «ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلها تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين»[2].

ولكن هيهات لا ينفعهم هذا القول، لانهم جعلوا في الدنيا لله انداداً فاتبعوهم فضلوا عن السبيل، من هنا نهى الله عن ذلك وقال:

«قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين»[3].

فالذي خلقنا ورزقنا وحفظنا واليه المصير، انه احق بالاتباع، ولا يجوز ان نجعل غيره نداً له، وكفؤاً نحبه كحب الله، ونتبعه كاتباع الله، ونستمع اليه كما نستمع الى رسل الله.

٦ ـــ رفض الاولياء من دون الله:

١ ـــ ومن حقائق عبادة الله رفض الاولياء من دون الله، ذلك ان الولاية الحق لله، ولا يجوز اتباع ولي وقائد من دون الله سبحانه.

«اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم، ولا تتبعوا من دونه اولياء، قليلاً ما تذكرون»[4].

فالايمان بالحق يقتضي تسليماً قلبياً للحق، ورفضاً عملياً لكل إتباع من دون الله.

---

(١) الزمر/ ٨.

(٢) فصلت/ ٢٩.

(٣) فصلت/ ٩.

(٤) الاعراف/ ٣.

٢ ـــ وهكذا لا يجوز إتباع من لم يأمر الله باتباعه ، ولن يكون السبيل الى الله الا ذلك الذي جعله الله سبيلاً اليه ، من نبي او وصي نبي ، اما اتباع كل مدع باسم الله وباسم الدين فهو ضلال بعيد .

يقول الله تعالى : «الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ، ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار»[١] .

فبالرغم من انهم يدعون التقرب الى الله ، فان الله سبحانه ينعتهم بالكذب والكفر ، لانهم اختاروا سبيل الهوى في معرفة الدين ، واتخذوا ائمة من دون اذن الله ، ولا برهان من عند الله .

٣ ـــ وليس النبي وكيلاً عليهم ، بل الله حفيظ عليهم (يحاسبهم و يجازيهم) .

قال الله تعالى : «والذين اتخذوا من دونه اولياء ، الله حفيظ عليهم ، وما أنت عليهم بوكيل»[٢] .

٤ ـــ وعلينا ان نعود الى الدين في فض الخلاف ، لان الله أمرنا بذلك .

وقال الله تعالى : «وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله»[٣] .

٥ ـــ اما اتخاذ الاولياء من دون أمر الله ، والتحاكم اليهم ، فهو ضلال ، قال الله تعالى : «ام اتخذوا من دونه أولياء ، فالله هو الولي ، وهو يحيي الموتى ، وهو على كل شيء قدير ، وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب»[٤] .

وهكذا كان علينا استنطاق كتاب الله ، والميزان الذي انزله ، ثم التحاكم اليه عند الاختلاف ، وذلك بالتحاكم الى الفقهاء لا الطغاة .

كما روي عن عمر بن حنظلة قال : سألت أبا عبدالله ـعليه السلام ـ عن رجلين من اصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث ، فتحاكما الى السلطان والى القضاة أيحل ذلك ؟

---

(١) الزمر/ ٣.

(٢) الشورى/ ٦ .

(٣) الشورى/ ١٠ .

(٤) الشورى/ ٩ ـ ١٠ .

قال: (من تحاكم اليهم في حق او باطل فانما تحاكم الى الطاغوت، وما يحكم له فانما يأخذ سحتاً وان كان حقاً ثابتاً له، لانه اخذه بحكم الطاغوت، وما أمر الله ان يكفر به، قال الله تعالى: «يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به») قلت: فكيف يصنعان؟ قال: (ينظران من كان منكم ممن روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف احكامنا فليرضوا به حكماً فاني قد جعلته عليكم حاكماً، فاذا حكم بحكمنا، فلم يقبل منه فانما استخف بحكم الله، وعلينا رد، والراد علينا كالراد على الله، وهو على حد الشرك بالله)[1].

٦ ـ كما علينا الا نتخذ من دون الله ولياً يشرع في الدين فانه شرك .

قال الله تعالى: «ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله»[2].

٧ ـ رفض الارباب:

١ ـ كيف يتخذ البعض من دون الله انداداً أو أولياء؟ انما باتباع غيرالله اتباعاً بعيداً عن قيم الحق، حيث يحللون لهم الحرام، ويحرمون عليهم الحلال فيتبعونهم فيكونون بذلك مشركين.

قال الله تعالى: «اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً، لا إله إلّا هو سبحانه عمّا يشركون»[3].

٢ ـ وقال الله تعالى: «ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله»[4].

واتخاذ الارباب، يعني اتباع احد في التشريع (أو في السياسة) بغير اذن الله، قال ابو بصير: سألت أبا عبدالله الصادق ـ عليه السلام ـ عن قول الله عزوجل «اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله»[5] فقال:

---

(١) الوسائل ج١٨/ ص ٩٩.

(٢) الشورى/ ٢١.

(٣) التوبة/ ٣١.

(٤) آل عمران/ ٦٤.

(٥) التوبة/ ٣٢.

(اما والله ما دعوهم الى عبادة انفسهم ، ولو دعوهم الى عبادة انفسهم لما أجابوهم، ولكن احلوا لهم حراماً ، وحرموا عليهم حلالاً ، فعبدوهم من حيث لا يشعرون) [1] .

٨ ـ رفض الطاغوت :

١ ـ من هم الارباب الذين عبدوا من دون الله ؟ ليس وحدهم الاحبار والرهبان الذين دعوا الى انفسهم بدل ان يدعوهم الى الله . بل الطاغوت السياسي ، الذي بسط سلطانه بغير حق ، فهو الآخر مثل للرب المطاع من دون الله . ومن دون الكفر به واجتنابه والبراءة منه ، لا يخلص دين المرء ولا تصفو عبادته .

يقول الله تعالى :

«فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها والله سميع عليم» [2] .

٢ ـ وقال الله تعالى : **«يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به»** [3] .

ذلك ان الله ورسوله ، هو المصدر الوحيد ، لفصل الخصومات وليس الطاغوت ، والذي ضرب الله امثلة تاريخية له ، في عاقر ناقة صالح وفي فرعون ، ومن اشبه .

٣ ـ وكل رسالات الله جاءت بعبادة الله وحده ، والتي تعني رفض السلطة المتجبرة (الطاغوت) .

قال الله تعالى :

«ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ، ان اعبدوا الله ، واجتنبوا الطاغوت» [4] .

٤ ـ فخلاصة الرسالات الالهية عبادة الله واجتناب الطاغوت ؛ وسائر القيم الحق تفيض من عبادة الله ، كما ان قيم الباطل تنبعث من الطاغوت ـ وبالتالي ـ اذا رفض

---

(١) الكافي ج٢/ ص ٣٩٨ .

(٢) البقرة/ ٢٥٦ .

(٣) النساء/ ٦٠ .

(٤) النحل/ ٣٦ .

الانسان الطاغوت ورفض الشرك بالله ، فانه يرفض بالطبع كل الوان التبعية ، وكل الوان القيم الفاسدة .

وقال الله تعالى في صفة المؤمنين : «والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد»[1].

وهكذا يتحدى المؤمن سلطة الطاغوت في السياسة والقضاء والتشريع (اي في السلطات الثلاث المعروفة) .

٩ ــ لماذا اتخذوا آلهة ؟

١ ــ لقد زين الشيطان للكافر، عبادة الآلهة من دون الله ، واختلق لهم افكاً ، ليسرق منهم شرف التوحيد وكرامة الولاية الالهية . فقال : ان الآلهة عز لكم ، وانها تنصركم على اعداءكم ، وانها تشفع لكم عند ربكم والحقيقة انها هي التي اعتزلت بهم ، وكانوا هم جنودها ، ولم تنفعهم شفاعتهم شيئاً .

قال الله تعالى : «واتخذوا من دون الله الهة ليكون لهم عزا»[2] .

٢ ــ وقال ربنا سبحانه : «واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون ، لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون»[3].

٣ ــ وقال الله تعالى : «أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ، قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون»[4].

٤ ــ وقد فاضت آيات الذكر الحكيم بهذه التبصرة ، ان الآلهة هذه التي زينت لهم عبادتها ، لا تملك ضراً ولا نفعاً ولا تملك رزقاً ، وانما هي مجرد افك مبين .

قال الله تعالى : «قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً»[5].

---

(١) الزمر/ ١٧ .

(٢) مريم/ ٨١ .

(٣) يس/ ٧٤ - ٧٥ .

(٤) الزمر/ ٤٣ - ٤٤ .

(٥) المائدة/ ٧٦ .

٥ ــ وقال الله تعالى: «قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم»[١].

٦ ــ وقال الله تعالى: «ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم»[٢].

٧ ــ وقال الله تعالى: «ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً»[٣].

٨ ــ وقال عز من قائل: «انما تعبدون من دون الله اوثاناً وتخلقون افكاً ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً»[٤].

٩ ــ وقال الله تعالى: «ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً»[٥].

١٠ ــ وقد ذكرت آيات القرآن، بان الله ـ تعالى ـ ما انزل بعبادة الآلهة سلطاناً، وبمجرد عدم وجود برهان مبين (سلطان) على صحة عبادتها، فانه يجب رفضها، والا فهو افتراء على الله.

قال الله تعالى: «ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً»[٦].

١٠ ــ الملائكة عباد مكرمون:

١ ــ ومن اعظم ابعاد الضلالة عند البشر، زعمهم: ان الملائكة الموكلة بقوى الطبيعة، هم انصاف آلهة، ولا يعلمون ان الملائكة، ليست سوى عباد مكرمين، وانهم لا يستنكفون عن عبادة الله ولا يستكبرون.

قال الله تعالى: «ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون»[٧].

٢ ــ وقال الله تعالى: «ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته»[٨].

١١ ــ الطبيعة مسخرة بأمره:

(١) الأنبياء/ ٦٦.
(٢) يونس/ ١٨.
(٣) الفرقان/ ٥٥.
(٤) العنكبوت/ ١٧.
(٥) النحل/ ٧٣.
(٦) الحج/ ٧١.
(٧) الأنبياء/ ١٩.
(٨) الاعراف/ ٢٠٦.

وقد تعظم الطبيعة في عين البعض فيعبدها ويسجد لها ، ولا يعلم انها مجرد تجليات لقدرة الله ، وحسن اسماءه سبحانه .

قال الله تعالى : «ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون»[١] .

١٢ ــ عبادة الشيطان الخطيئة الكبرى :

حين يستسلم الانسان لهوى نفسه ، وغي شيطانه ، فلا يلوي على شيء في اتباع الضلال ، هنالك يصبح عبداً للشيطان .. يقول الله سبحانه عنه :

«يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصياً»[٢] .

١٣ ــ هدف عبادة الله : التقوى واليقين

ما هي غاية المؤمن من عبادة ربه ؟ التقوى واليقين ، اما التقوى فهي تصون النفس من الغل والاصر، وتصون السلوك من الانحراف والخطيئة .

ألف ــ أما اليقين فهو غاية درجات التقوى حيث تسمو درجات التقوى الى ان تبلغ مرحلة اليقين متى ؟ عندما ينقشع عن بصيرة الانسان حجب الذنوب والغفلة والجهل ، فتصل الى معدن العظمة .

١ ــ يقول الله تعالى : «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين»[٣] .

باء ــ واما التقوى فهي غاية العبادة حيث :

٢ ــ قال الله تعالى : «ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون»[٤] .

٣ ــ وقال الله تعالى : «وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه»[٥] .

٤ ــ وقال الله تعالى : «يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم

---

(١) فصلت/ ٣٧ .
(٢) مريم/ ٤٤ .
(٣) الحجر/ ٩٩ .
(٤) نوح/ ٣ .
(٥) العنكبوت/ ١٦ .

لعلكم تتقون»[1].

١٤ ــ التوكل ميراث العبادة:

١ ــ وعلامة العبادة الخالصة التوكل على الله، والاستعانة به في الشدائد.

قال الله تعالى: «ولله غيب السموات والارض، واليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون»[2].

٢ ــ وبالعبادة الخالصة يتحدى المؤمن العقبات.

قال الله تعالى: «رب السموات والارض وما بينها فاعبده واصطبر لعبادته»[3].

١٥ ــ شكر الله اية عبادته:

١ ــ حين يعبد الله ربه عبادة خالصة، فانه يرى كل نعمة تسبغ عليه، وكل نقمة تدفع عنه، يراهما رحمة من الله عليه فيزداد رضا، ويعمل شكراً.

قال الله تعالى: «واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون»[4].

٢ ــ قال الله تعالى: «واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون»[5].

١٦ ــ عاقبة المستكبرين عن عبادة الله:

١ ــ اما عاقبة المستكبرين عن عبادة ربهم، فهي الذلة في النار.

قال الله تعالى: «ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين»[6].

٢ ــ وقال الله تعالى: «ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً»[7].

٣ ــ كذلك عاقبة الذين يعبدون غير الله، فانهم يصبحون وقود جهنم، هم والذين عبدوهم ولم ينكروا عليهم تلك العبادة (مثل الطغاة).

قال الله تعالى: «انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم، أنتم لها واردون»[8].

---

(١) البقرة/ ٢١.

(٢) هود/ ١٢٣.

(٣) مريم/ ٦٥.

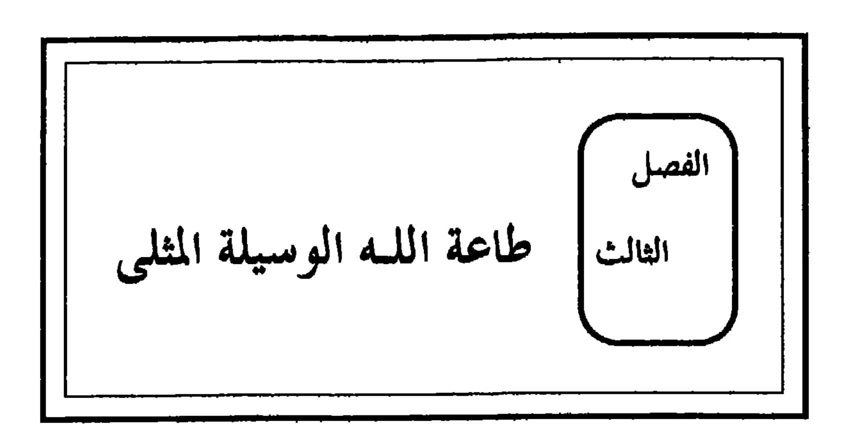
(٤) البقرة/ ١٧٢.

(٥) النحل/ ١١٤.

(٦) غافر/ ٦٠.

(٧) النساء/ ١٧٢.

(٨) الأنبياء/ ٩٨.



الفصل الثالث طاعة الله الوسيلة المثلى

طاعة الله ورسوله حقيقة من حقائق التسليم، وهي ميراث الايمان وسبب الى رحمة الله ومن مظاهر طاعة الرسول الاستجابة له، واجتناب التولي عنه، ومعرفة ان عليه ما حمل (من واجب الدعوة) وعلى الناس ما حملوا (من واجب طاعته فيها) وانما عليه البلاغ المبين. والطاعة شرط قبول اعمال المؤمن (وهي هامة في شؤون الحياة من الحرب والسلم) وهي مفروضة على النساء كما على الرجال.

واتباع الرسول دليل حب الله ورسوله. والله لا يحب الكافرين (الذين يشاقون رسوله).

ولا يجوز التفريق بين الله ورسله، وطاعة الرسول هي التقوى (واذا كانت التقوى في ثوابت الشرع فان الطاعة ضمان للعمل بالقيم الالهية في متغيرات الحياة من الأمن او الخوف) ولذلك جاء الأمر بالطاعة للرسل بعد الأمر بالتقوى في آيات كثيرة.

وانما تتجلى الطاعة فيما تكرهها النفس مثل القتال (وبالذات القتال الاهلي) وخروج الفرد من وطنه والاستقامة في القتال، وان التولي عن القتال خسران مبين. وعدم التنازع والفشل ثم الصبر عند المواجهة هي من حقائق الطاعة. ولذلك ترى الأغنياء يحاولون الفرار من المعركة وسألوا القعود مع القاعدين، وترى البعض يقسمون كذباً على الطاعة.

والطاعة تتجلى ايضاً في انتخاب وقت القتال. فترى البعض يريد المبادرة الى القتال قبل ميعاده.

وهكذا يجب انتظار أوامر القيادة في كل الشؤون ، فلو بلغنا نبأ من فاسق لم يجز لنا اصابة قوم بجهالة بل علينا انتظار أمر الرسول الذي لو اطاعنا اصابنا العنت (بل علينا نحن طاعته) .

وكذلك لا يجوز اذاعة أمر (في شؤون الحرب والسلم) قبل رده الى الرسول (لمعرفة قراره) .

وكما تجب الطاعة في السياسة والحرب كذلك في الشؤون الاقتصادية (كتوزيع الصدقات بعد جمعها بيده) واتباع الرسول في الفيء .

وهكذا تجب الطاعة في القضاء حيث يجب التسليم من دون حرج لما يقضيه كما يجب التحاكم اليه في الشجار.

وعقبى الطاعة فوز عظيم ، وتلحق المؤمن بالأنبياء والصديقين والشهداء ، وتحقق اهدافه والله يؤتيه أجراً حسناً ، بينما عاقبة الشقاق والمحاددة للرسول العقاب الشديد والعذاب الأليم والهزيمة والذلة ـ وبالتالي ـ بطلان الأعمال .

تلك كانت جملة البصائر التي استفدناها من آيات الطاعة أما تفصيل القول . فنعرفه فيمايلي :

١ ــ طاعة الله والرسول :

١ ــ اذا كان الايمان تسليماً تاماً للحق ، فان الطاعة لله وللرسول ، من أبرز حقائق هذا التسليم ، فمن اطاع الله فقد صدق ايمانه ، واما الذي يتولى ، فانه يتخذ سبيل الكافرين .

قال الله تعالى : «آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير» [1] .

هكذا نجد الطاعة اصبحت ميراث الايمان الحق بالله وبالرسول ، وبكل الكتب والرسل والملائكة (وهو الايمان الصادق) .

---

(١) البقرة/ ٢٨٥ .

٢ ــ قال الله تعالى: «قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين»(١).

٣ ــ وقال الله تعالى: (وهو يصف التجمع الايماني الذي يتمحور حول طاعة الله سبحانه): «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله»(٢).

٤ ــ والطاعة تستدر رحمة الله.

وقال الله تعالى: «وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون»(٣).

٥ ــ اما عصيان الله فان عاقبته السوئى التي ينبغي الحذر منها، حيث قال ربنا عزوجل:

«واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا»(٤).

٦ ــ ومن حقائق الطاعة الاستجابة للرسول، واجتناب التولي عنه بعد سماع دعوته، فان ذلك بمثابة عصيان الله والتولي عنه، فقد قال ربنا تعالى:

«اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون»(٥).

٧ ــ وقد يعتذر البعض لعصيانه ببعض الاعاذير التافهة، مثلاً يقول ان الرسول لم يولني الاهتمام الكافي، كلا الرسول لا يتحمل مسئولية توليهم عنه، بل هم المسؤولون يوم القيامة عن واجب الطاعة الذي حملوه.

٨ ــ وقال الله تعالى: «قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم»(٦).

٩ ــ وليس على الرسول مسؤولية حمل الناس على طاعته، بل ابلاغ رسالة الله

---

(١) آل عمران/ ٣٢.

(٢) التوبة/ ٧١.

(٣) آل عمران/ ١٣٢.

(٤) المائدة/ ٩٢.

(٥) الانفال/ ٢٠.

(٦) النور/ ٥٤.

اليهم ، قال الله تعالى :

«واطيعوا الله واطيعوا الرسول ، فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين»[1].

١٠ ــ ولعل البعض يعمل الصالحات ، ولكنه يتمرد على اوامر الرسول القيادية ، وبالذات في الشؤون الحياتية . فعليه ان يعرف ان عصيان الرسول قد ينتهي الى بطلان اعماله الصالحة ايضاً ، قال الله تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، ولا تبطلوا اعمالكم»[2].

١١ ــ وعند طاعة الرسول يعطي الله المؤمن كل جزاءه وافياً غير منقوص (وهكذا تكون الطاعة شرطاً لقبول العمل) قال ربنا سبحانه :

«وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ان الله غفور رحيم»[3].

١٢/ والطاعة للرسول قد تكون في متغيرات الحياة وهي طاعة ولائية . قال الله تعالى :

«فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون»[4].

١٣/ وقال الله تعالى : «واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله»[5].

وهكذا كانت الصلاة والزكاة محوري ثوابت الشريعة الغراء ، بينما طاعة الرسول هي محور الولاية الالهية ، التي تتصل بالشؤون المتغيرة .

ونستفيد من هذه الآية ان الطاعة مفروضة على النساء كما الرجال .

هذا عن الآيات ، اما الاحاديث الشريفة فهي مستفيضة والتي جعلت الطاعة محور الايمان ودليل صدقه ، منها الاحاديث التالية :

ألف ــ في خبر الزنديق الذي سأل أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ عما زعم من التناقض في القرآن حيث قال : اجد الله يقول : «فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا

(١) التغابن/ ١٢.

(٢) محمد/ ٣٣.

(٣) الحجرات/ ١٤.

(٤) المجادلة/ ١٣.

(٥) الاحزاب/ ٣٣.

كفران لسعيه»[1] ويقول : «واني لغفار لمن تاب»[2] فقال ـعليه السلام ـ: واما قوله : «ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه» وقوله : «واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى» فان ذلك كله لا يغني الا مع الاهتداء وليس كل من وقع عليه اسم الايمان كان حقيقاً بالنجاة مما هلك به الغواة ، ولو كان كذلك لنجت اليهود مع اعترافها بالتوحيد واقرارها بالله ، ونجا سائر المقرين بالوحدانية من ابليس فمن دونه في الكفر، وقد بين الله ذلك بقوله : «الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون»[3] وبقوله : «الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم»[4] .

وللايمان حالات ومنازل يطول شرحها ، ومن ذلك ان الايمان قد يكون على وجهين : ايمان بالقلب وايمان باللسان كما كان ايمان المنافقين على عهد رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ لما قهرهم السيف ، وشملهم الخوف ، فانهم آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، فالايمان بالقلب هو التسليم للرب ، ومن سلم الامور لمالكها لم يستكبر عن امره كما استكبر ابليس عن السجود لآدم واستكبر اكثر الامم عن طاعة انبيائهم فلم ينفعهم التوحيد ، كما لم ينفع ابليس ذلك السجود الطويل ، فانه سجد سجدة واحدة اربعة الآف عام ، لم يرد بها غير زخرف الدنيا والتمكين من النظرة ، فلذلك لا تنفع الصلاة الصادقة الا مع الاهتداء الى سبيل النجاة وطريق الحق ، وقد قطع الله عذر عباده بتبيين آياته ، وارسال رسله ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولم يخل ارضه من عالم بما يحتاج الخليقة اليه ، ومتعلم على سبيل نجاة ، اولئك هم الاقلون عدداً .

وقد بين الله ذلك في أمم الأنبياء ، وجعلهم مثلاً لمن تأخر مثل قوله في قوم نوح : «وما آمن معه الا قليل»[5] وقوله فيمن آمن من قوم موسى : «ومن قوم موسى امة يهدون

---

(١) الأنبياء/ ٩٤ .

(٢) طه/ ٨٢ .

(٣) الانعام/ ٨٢ .

(٤) المائدة/ ٤١ .

(٥) هود/ ٤٠ .

بالحق وبه يعدلون»[١] وقوله في حواري عيسى حيث قال لسائر بني إسرائيل: «من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون»[٢] يعني أنهم يسلمون لاهل الفضل فضلهم ولا يستكبرون عن أمر ربهم، فما أجابه منهم إلا الحواريون، وقد جعل الله للعلم أهلاً، وفرض على العباد طاعتهم بقوله: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم»[٣] وبقوله: «ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم»[٤] وبقوله: «اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»[٥] وبقوله: «وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم»[٦] وبقوله: «وأتوا البيوت من أبوابها»[٧] والبيوت هي بيوت العلم الذي استودعه الأنبياء وابوابها اوصياؤهم.

فكل عمل من اعمال الخير يجري على غير ايدي اهل الاصطفاء وعهودهم وحدودهم وشرائعهم وسننهم ومعالم دينهم، مردود غير مقبول، وأهله بمحل كفر وان شملتهم صفة الايمان، ألم تسمع الى قول الله تعالى: «وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله»[٨]. فمن لم يهتد من أهل الايمان الى سبيل النجاة لم يغن عنه ايمانه بالله مع دفعه حق اوليائه، وحبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين، وكذلك قال الله سبحانه: «فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا»[٩] وهذا كثير في كتاب الله عزوجل، والهداية في الولاية كما قال الله عزوجل: «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون»[١٠]. والذين آمنوا في هذا الموضع هم المؤمنون على الخلائق من الحجج والاوصياء

---

(١) الاعراف / ١٥٩.

(٢) آل عمران / ٥٢.

(٣) النساء / ٥٩.

(٤) النساء / ٨٣.

(٥) التوبة/١١٩.

(٦) آل عمران / ٧.

(٧) البقرة / ١٨٩.

(٨) التوبة/٥٤.

(٩) غافر / ٨٥.

(١٠) المائدة / ٥٦.

في عصر بعد عصر، وليس كل من اقر - ايضاً - من اهل القبلة بالشهادتين كان مؤمناً، ان المنافقين كانوا يشهدون ان لا اله الا الله، وان محمداً رسول الله - صلى الله عليه وآله - ويدفعون عهد رسول الله - صلى الله عليه وآله - بما عهد به من دين الله وعزائمه وبراهين نبوته الى وصيه، ويضمرون من الكراهة لذلك، والنقض لما أبرمه منه عند امكان الأمر لهم فيما قد بينه الله لنبيه بقوله: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً» (١) وبقوله: «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم» (٢) ومثل قوله: «لتركبن طبقاً عن طبق» (٣) - أي لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالاوصياء بعد الأنبياء -، وهذا كثير في كتاب الله عزوجل وقد شق على النبي - صلى الله عليه وآله - ما يؤول اليه عاقبة أمرهم، واطلاع الله اياه على بوارهم، فأوحى الله عزوجل اليه: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» (٤) «فلا تأس على القوم الكافرين» (٥).

باء - وقد روي عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن حمران، عن أبي جعفر - عليه السلام -: قال سمعته يقول: (الايمان ما استقر في القلب وأفضى به الى الله عزوجل وصدقه العمل بالطاعة لله، والتسليم لأمره، والاسلام ما ظهر من قول او فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النكاح، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج فخرجوا بذلك من الكفر، واضيفوا الى الايمان. والاسلام لا يشرك الايمان، والايمان يشرك الاسلام، وهما في القول والفعل يجتمعان، كما صارت الكعبة في المسجد، والمسجد ليس في الكعبة، وكذلك الايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان، وقد قال الله عزوجل: «قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم» فقول الله عزوجل اصدق

---

(١) النساء / ٦٥.

(٢) آل عمران / ١٤٤.

(٣) الانشقاق / ١٩.

(٤) فاطر / ٨.

(٥) المائدة/ ٦٨ والحديث في الاحتجاج/ ص١٣٠ وعنه بحار الانوار ج٦٥/ ص٢٦٥/٢٦٧.

القول)[1].

جيم — روي عن الامام الصادق عن أبيه -عليهما السلام- قال: قال أمير المؤمنين -عليه السلام-: (الايمان اركان أربعة: التوكل على الله، وتفويض الامر الى الله، والرضا بقضاء الله والتسليم لامر الله)[2].

دال — والطاعة شرط الانتماء الى أهل البيت (التشيع) لان حقيقة التشيع هي الايمان. فقد روي عن جابر، عن أبي جعفر (الامام الباقر) -عليه السلام- قال: قال لي: (ياجابر ايكتفي من ينتحل التشيع ان يقول بحبنا أهل البيت؟ فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر الا بالتواضع والتخشع والامانة، وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة، والبر بالوالدين، والتعهد للجيران من الفقراء واهل المسكنة والغارمين والايتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الالسن عن الناس الا من خير، وكانوا امناء عشائرهم في الاشياء).

قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم احداً بهذه الصفة، فقال -عليه السلام-: (يا جابر لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل ان يقول: احب علياً وأتولاه، ثم لا يكون مع ذلك فعالاً؟ فلو قال: اني احب رسول الله -صلى الله عليه وآله- فرسول الله -صلى الله عليه وآله- خير من علي -عليه السلام- ثم لا يتبع سيرته، ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين احد قرابة، احب العباد الى الله عزوجل (واكرمهم عليه) اتقاهم واعملهم بطاعته.

يا جابر: فوالله ما يتقرب الى الله تبارك وتعالى الا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، ولا تنال ولايتنا الا بالعمل والورع)[3].

---

(١) بحار الانوار ج٦٥/ ص٢٥١.

(٢) بحار الانوار ج٦٥/ ص٣٤١ رقم الرواية ١٢.

(٣) بحار الانوار ج٦٧/ ص ٩٧ الرواية ٤.

٢ ـــ بين الطاعة والحب :

الطاعة لله ولرسوله ولأولياءه انما هي طاعة القلب النابعة من التقوى ، ومن الحذر من الآخرة ، وبالتالي من وعي شهادة الله على كل شيء ، وهكذا يمهد الرب لبيان ضرورة الطاعة بتذكيره المؤمنين بعلم الله ، وبأن الانسان يقف يوماً امام الرب للحساب .

قال الله تعالى :

«قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم»[١] .

وبعدئذ يؤكد على الطاعة ويقول سبحانه : «قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين»[٢] .

وهكذا يبين السياق الصلة بين حب الله ورسوله وبين طاعة الرسول (كأن الطاعة المثلى هي النابعة من الحب) . وجاء في الحديث المأثور:

ألف ـــ عن يونس بن ظبيان قال : قال الصادق ـعليه السلامـ : (ان الناس يعبدون الله عزوجل على ثلاثة اوجه : فطبقة يعبدونه رغبة الى ثوابه فتلك عبادة الحرصاء ، وهو الطمع ، وآخرون يعبدونه خوفاً من النار فتلك عبادة العبيد ، وهي الرهبة ، ولكني أعبده حباً له فتلك عبادة الكرام .

وهو الأمن لقوله تعالى : «وهم من فزع يومئذ آمنون» ، «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم» ، «فمن احب الله عزوجل احبه الله ومن أحبه الله عزوجل كان من الآمنين») [٣] .

باء ـــ وحين يعمر القلب بحب الله ، فان معيار الانسان يتبدل كلياً ، حيث يصبح احب شيء عنده هو ما فيه طاعة ربه ، وقد جاء في حديث مأثور عن شعيب العقرقوفي قال : قلت لابي عبدالله ـعليه السلامـ : شيء يروى عن أبي ذر ـرحمه اللهـ انه كان

---

(١) آل عمران/ ٣١ .

(٢) آل عمران/ ٣٢ .

(٣) بحار الانوار ج٦٧/ ص ١٧ الرواية ٩ .

يقول : ثلاثة يبغضها الناس وانا احبها ، احب الموت ، وأحب الفقر، واحب البلاء ، فقال : (ان هذا ليس على ما ترون ، انما عنى : الموت في طاعة الله احب الي من الحياة في معصية الله ، والفقر في طاعة الله احب الي من الغنى في معصية الله ، والبلاء في طاعة الله أحب الي من الصحة في معصية الله» (١) .

٣ ــ طاعة الرسول هي طاعة الله :

١ ــ والحقيقة الاهم التي يبينها الكتاب -المرة بعد الاخرى- انه لا يجوز ان نفرق بين الله ورسوله ، ولذلك تجد ان الامر بطاعة الرسول يسبقه الامر بطاعة الله ، وفي بعض الآيات المزيد من تبيان هذه الحقيقة ، قال الله تعالى :

«ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظاً ، ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول ، والله يكتب ما يبيتون ، فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً» (٢).

وهذه الآية توضح معنى الطاعة للرسول وهي الطاعة قلباً وعملاً .

٢ ــ وقال الله تعالى : «وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري» (٣).

هنا ايضاً وضحت الآية الصلة بين ربوبية الله واتباع الرسول وطاعته ، كما اوضحت الصلة بين الاتباع والطاعة .

ولولا ان الانبياء والائمة مؤيدون بروح القدس الذي يعصمهم الله به ، لكانت طاعتهم المطلقة معارضة لطاعة الله ، لانهم كانوا -اذاً- يأمرون بما يخالف امر الله وحاشا الله ان يأمر بطاعة من يخالف أمره .

وهكذا نقرأ في الحديث التالي ما يوضح هذه الحقيقة :

عن الامام الصادق جعفر بن محمد -عليهما السلام- : «وهو يبين شرائع الاسلام» و بر

---

(١) بحار الانوار ج٦/ ص ١٢٩ رواية ١٩.

(٢) النساء/ ٨٠-٨١.

(٣) طه/ ٩٠.

الوالدين واجب ، فان كانا مشركين فلا تطعهما ولا غيرهما في المعصية فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . والانبياء واوصياؤهم لا ذنوب لهم لانهم معصومون مطهرون» [١] .

٤ ــ بين الطاعة والتقوى :

١ ــ قال الله تعالى : «فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله» [٢] .

التقوى تدعو المؤمن الى رعاية حدود الله سبحانه بالذات في الاحكام الثابتة . والطاعة تدعوه الى التقيد بالاوامر الصادرة من القيادة بالذات في القضايا السياسية المتغيرة . وفي هذه الآية التي افتتحت بها سورة الانفال ـنجدـ اصلاح ذات البين وبناء المجتمع الرصين بحاجة الى امرين : الاول : التزام كل شخص بالاحكام الشرعية الثابتة (حقوق الاخرين مثلاً) الثاني : اتباع كل فرد لاوامر القيادة الشرعية (في الحوادث الواقعة مثل طريقة الدفاع عن البلاد) ومن هنا فقد امر الله بالتقوى اولاً ، ثم بالطاعة ، كما أمر (بين هذا وذاك) بما هو محور بناء المجتمع وهو اصلاح ذات البين .

٢ ــ وهذا التكامل بين حدود الله وشرائعه الثابتة ، وبين اوامر الرسول وطاعته (بالذات في المتغيرات من الامن والخوف) هذا التكامل نجده على لسان اكثر الانبياء ـعليهم السلامـ .

فهذا نبي الله عيسى بن مريم ـعليه السلامـ يقول :

«وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون» [٣] .

٣ ــ وكذلك قال النبي نوح (الشعراء/١٠٨) والنبي هود ـعليه السلامـ (الشعراء/١٢٦) والنبي صالح ـعليه السلامـ (الشعراء/١٤٤) والنبي لوط ـعليه السلامـ (الشعراء/١٦٣) والنبي شعيب ـعليه السلامـ (الشعراء/١٧٩) كلهم قالوا بكلمة واحدة :

«اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون» [٤] .

---

(١) بحار الانوارج ١٠/ ص ٢٢٧ الرواية ١ .

(٢) الانفال/ ١ .

(٣) آل عمران/ ٥٠ .

(٤) الشعراء/ ١٠٨ ، الشعراء/ ١٢٦ والشعراء/ ١٧٩/١٦٣/١٤٤ .

٤ ــ وقد نهاهم النبي صالح ـعليه السلام- عن طاعة المسرفين المفسدين في الارض، حيث جاءهم بسلطة الهية بديلة عن سلطة الجبارين.

قال الله تعالى:

«فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين»(١).

٥ ــ ولم يبعث الله كتاباً في قراطيس تتنزل من السماء، بل بعث الى الناس انبياء من انفسهم، يزكونهم ويعلمونهم، فطاعتهم شرط انتفاعهم بالكتاب.

قال الله تعالى: «ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون»(٢).

وهكذا بلغ رسولنا الأكرم(ص) رسالات الله إلينا وجاء في حديث مأثور:

عن أبي جعفر ـعليه السلام- قال: (خطب رسول الله ـصلى الله عليه وآله- في حجة الوداع فقال: «يا أيها الناس والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار الا وقد امرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه»)(٣).

٦ ــ ولا يبلغ الانسان ذرى الكمال الروحي الا بالطاعة، لان الرسول يحمل المؤمنين به في معارج الكمال درجة درجة حتى تكون بين بعضهم وبين النبوة درجة واحدة.

ثم ان الطاعة للرسول بذاتها افضل وسيلة لتزكية النفس واخراجها من شح الغرور والكبر الى فضاء الواقعية والتواضع، من هنا نجد الطاعة للرسول ضمن برنامج القرآن التربوي في سورة التغابن. تدبروا في الآيات التالية:

«انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم، فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيراً لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون»(٤).

ومن هنا كانت الطاعة زيادة في العقل، بل كانت الطاعة ـفي منطق الاحاديث

---

(١) الشعراء/ ١٥٠.

(٢) الزخرف/ ٦٣.

(٣) بحار الانوار ج٦٧/ ص ٩٦ الرواية ٣.

(٤) التغابن/ ١٥ - ١٦.

الشريفة- هي العقل.

ألف ــ فقد جاء في حديث مأثور عن النبي -صلى الله عليه وآله-: (أن العاقل من اطاع الله وان كان ذميم المنظر حقير الخطر، وان الجاهل من عصى الله، وان كان جميل المنظر عظيم الخطر)[1].

والطاعة هدف الحياة، ألم يقل ربنا سبحانه: «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون».

باء ــ وجاء في حديث شريف: عن الامام موسى بن جعفر -عليهما السلام- انه قال في وصية لهشام: (يا هشام نصب الخلق لطاعة الله، ولا نجاة الا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلم والتعلم بالعقل يعتقد، ولا علم الا من عالم رباني ومعرفة العالم بالعقل)[2].

جيم ــ والشيء الباقي من الحياة الطاعة الخالصة، بينما تتلاشى كل الاعمال والاقوال (اوليست الطاعة هدف الحياة وجوهرها)، وهكذا روي عن صفوان الجمال عن الامام الصادق -عليه السلام- انه قال في (تفسير) قول الله سبحانه: «كل شيء هالك إلا وجهه» قال: (ومن اتى الله بما امر به من طاعة محمد والائمة من بعده -صلوات الله عليهم- فهو الوجه لا يهلك) ثم قرأ (الامام الصادق عليه السلام قول الله تعالى) «من يطع الرسول فقد اطاع الله»[3].

دال ــ وهذه الطاعة صعبة وعلى الانسان ان يصطبر عليها، ومن هنا تواترت وصية الانبياء والائمة -عليهم السلام- بها، ومن ذلك وصية الامام موسى بن جعفر -عليه السلام- لهشام حيث يقول فيها: (يا هشام اصبر على طاعة الله، واصبر عن معاصي الله، فانما الدنيا ساعة، فما مضى منها فليس تجد له سروراً ولا حزناً، وما لم يأت منها فليس تعرفه، فأصبر على تلك الساعة التي انت فيها، فكأنك قد اغتبطت)[4].

---

(١) بحار الانوار ج١/ ص ١٦٠ الرواية ٣٩.

(٢) بحار الانوار ج١/ ص١٣٨.

(٣) بحار الانوار ج٤/ ص ٥ الرواية ١١.

(٤) بحار الانوار ج١/ ص ١٥٢.

هاء ــ والمثل البارز للطاعة الخالصة التي تحدى صاحبها اغراء الملك والقوة ، نقرأ في قصة وائل بن حجر حيث استجاب لدعوة الرسول ـصلى الله عليه وآله ـ وجاء في حديث مأثور عنه قوله : جاءنا ظهور النبي ـصلى الله عليه وآله ـ وانا في ملك عظيم وطاعة من قومي ، فرفضت ذلك وآثرت الله ورسوله وقدمت على رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ فأخبرني اصحابه انه بشرهم قبل قدومي بثلاث ، فقال : هذا وائل بن حجر قد أتاكم من ارض بعيدة ، من حضرموت ، راغباً في الاسلام طائعاً بقية ابناء الملوك ، فقلت : يا رسول الله أتانا ظهورك وانا في ملك ، فمنّ الله علي ان رفضت ذلك وآثرت الله ورسوله ودينه راغباً فيه ، فقال ـصلى الله عليه وآله ـ : صدقت ، اللهم بارك في وائل وفي ولده وولد ولده [1] .

٥ ــ بين الطاعة والتسليم :

والطاعة هي المظهر الخارجي للتسليم ، والتسليم هو الخطوة الاولى في المسيرة الايمانية ، وعند بزوغ فجر الرسالة ، دخلت الاعراب في طاعة الرسول ، وسلموا أمرهم له ، فكانوا مسلمين ، ولكنهم لم يكونوا يبلغون درجة الايمان الا بالانقياد القلبي ، والطاعة الخالصة من هنا قال الله سبحانه :

«قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ، ولما يدخل الايمان في قلوبكم ، وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئاً ان الله غفور رحيم»[2] .

ونستوحي من الآية ان الطاعة لله وللرسول هي طريق الايمان ، وقد جاء في الاحاديث المأثورة ان التسليم هو احد اركان الايمان ، كما هو حقيقة الاسلام .

ألف ــ فقد روي عن البزنطي قال سمعت (الامام) الرضا ـعليه السلام ـ يقول : (الايمان أربعة أركان : التوكل على الله عزوجل ، والرضا بقضائه ، والتسليم لأمر الله ، والتفويض الى الله)[3] .

---

(١) بحار الانوار ج١٨/ ص ١٠٨ الرواية ٧ .

(٢) الحجرات/ ١٤ .

(٣) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٣٥ الرواية ١٣ .

باء ــ وجاء في حديث مأثور عن الامام علي -عليه السلام- أن حقيقة الاسلام هو التسليم، فقد روي في المحاسن عن بعض العلماء، مرفوعاً قال:

قال أمير المؤمنين -عليه السلام-: (لأنسبن اليوم الاسلام نسبة لم ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي الا بمثل ذلك: الاسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الاقرار، والاقرار هو العمل، والعمل هو الاداء، ان المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكن أتاه عن ربه واخذ به، ان المؤمن يرى يقينه في عمله، والكافر يرى انكاره في عمله، فوالذي نفسي بيده ما عرفوا امر ربهم فاعتبروا انكار الكافرين والمنافقين باعمالهم الخبيثة) (١).

٦ ــ الطاعة في القتال:

١ ــ القرآن كتاب مبين لم يدع زاوية مظلمة في رحاب الحقيقة، إلا وأضاءها وبالذات فيما يتصل بالحقائق الكبرى التي تحتجب عن وعي الانسان بالاهواء والغفلة والشهوات مثل الطاعة فياترى ما هي هذه الطاعة التي جعلت ركناً اساسياً للايمان؟ فلكي لا يعتذر -غداً- البعض بأني لم افقه حقيقة الطاعة فلم أوفق لها، يضرب القرآن امثلة منتزعة من واقع البشر في الطاعة، امثلة هي الذروة في الواقعية والوضوح، فالطاعة في الحرب الاهلية هي أشد وطأً واصعب تنفيذاً، لان القتال بذاته صعب خصوصاً قتال الأقربين حيث العواطف الانسانية تمنعه، هنا يقول الله سبحانه عن هذا المثل الواضح للطاعة:

«فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً، ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم، ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم واشد تثبيتاً» (٢).

٢ ــ وهذه هي الطاعة التامة وهي تبلغ بالانسان الى اعلى درجات السمو في الدنيا

---

(١) المحاسن ص٢٢٢ عنه بحار الانوار ج٦٥/ ص٣١١.

(٢) النساء/ ٦٥ - ٦٦.

وفي الآخرة حيث الخير (السعادة) والثبات (حسن العاقبة).

بل هذه الطاعة هي ذروة الطاعة حيث التسليم عند القضاء تسليماً قلبياً وبلا شعور بالحرج والضيق، ثم الاندفاع بالقتال حتى ضد اقرب الناس اليه، ومن هنا جاء في الحديث المروي عن أبي بصير عن أبي عبدالله ـعليه السلام ـ «ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم» وسلموا للامام تسليماً «واخرجوا من دياركم» رضاً له «ما فعلوه إلا قليل منهم ولو» ان اهل الخلاف «فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم واشد تثبيتاً» وفي هذه الآية «ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت» في امر الولاية «ويسلموا» لله الطاعة «تسليماً» [1].

٣ ـــ ويضرب القرآن مثلاً من قصة بني اسرائيل حيث سألوا رسولهم ان يبعث الله لهم ملكاً، فحذرهم من مغبة عصيانه.

قال الله تعالى: «قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا، قالوا ومالنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وأبنائنا، فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين» [2].

٤ ـــ وبقدر ما هو عظيم طاعة القيادة الالهية عند القتال، فانه قبيح توليه عنه حيث يجعلهم على حافة هاوية الكفر، قال الله سبحانه:

«وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان» [3].

٥ ـــ ان التولي على طاعة القيادة في القتال خسران مبين.

قال الله تعالى: «يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين» [4].

٦ ـــ وكما الامة بحاجة الى طاعة القيادة في البدء بالقتال، فانهم بحاجة اليها فيما

---

(١) بحار الانوار ج٢٣/ ص ٣٠٢ الرواية ٥٩.

(٢) البقرة/ ٢٤٦.

(٣) آل عمران/ ١٦٧.

(٤) المائدة/ ٢١.

يتصل بالقتال من قضايا (الانضباط العسكري)، حيث ان التمرد على القيادة العسكرية يستوجب التنازع والفشل، يقول الله سبحانه:

«يا أيها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا»[1].

٧ ـ والتخلف عن القتال بالاعذار التافهة، يؤدي الى الهلاك. أوليس القتال لمصلحة الامة، والدفاع عن حرماتها؟! فالتهاون فيه يؤدي الى ضرر كبير.

قال الله تعالى: «انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون، لو كان عرضاً قريباً او سفراً قاصداً لاتبعوك، ولكن بعدت عليهم الشقة، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، يهلكون انفسهم، والله يعلم انهم لكاذبون»[2].

ترى انه بمجرد بعد الشقة، كذبوا وحلفوا، بأنهم لا يستطيعون الخروج، ولم يتبعوا القيادة.

٨ ـ وانما يعرف صدق الطاعة عند مخالفة الاوامر مع المصالح والاهواء. فالاغنياء طفقوا يستأذنون الرسول الا يشتركوا في القتال، وانما يقعدوا مع المتخلفين، وهذا يخالف حقيقة الطاعة، بل وحقيقة الايمان ايضاً.

قال الله تعالى: «واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استئذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين»[3].

٩ ـ الطاعة مفازة وسبيل البشر الى الرحمة الالهية، ولكن البعض قد خارت عزائمهم فتراهم يقولون انهم يطيعون الرسول ولكنهم يكذبون.

قال الله تعالى: «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون، واقسموا بالله جهد ايمانهم، لئن أمرتهم ليخرجن، قل لا تقسموا طاعة معروفة»[4].

---

(١) الانفال/ ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) التوبة/ ٤١ ـ ٤٢.

(٣) التوبة/ ٨٦.

(٤) النور/ ٥٢ ـ ٥٣.

١٠ ــ وقال الله تعالى: «ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة»[١].

في هذه الآية يحدد السياق ميعاد القتال، فلا يجوز القتال كلما اقتضاه الهوى، او سارع اليه المتشددون، انما عند الضرورة والمصلحة العامة، وفي غير هذا الوقت، يجب ان يستعد الانسان روحياً باقامة الصلاة وايتاء الزكاة.

٧ ــ الطاعة في القضايا السياسية:

١ ــ في السلم كما في الحرب، في الامن كما في الخوف، يجب ان ترجع الامة الى قيادتها الشرعية وتستجيب لتوجيهاتها، ولا تجوز المبادرة الى ابداء رأي ساذج او القيام بعمل طائش..

قال الله تعالى: «يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم»[٢].

٢ ــ ولعل معنى الآية ـحسب سياقهاـ النهي عن المبادرة بفعل أو قول قبل صدور امر الرسول، حيث جاء في الآية ٦ و٧ من هذه السورة بالذات.

«يا أيها الذين آمنوا ان جآءكم فاسق بنبأ فتبينوا، ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم»[٣].

٣ ــ وهكذا كان واجباً على الامة انتظار القيادة قبل المبادرة برأي أو بفعل، قال الله سبحانه:

«واذا جاءهم امر من الأمن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلاً»[٤].

---

(١) النساء/ ٧٧.

(٢) الحجرات/ ١.

(٣) الحجرات/ ٦ - ٧.

(٤) النساء/ ٨٣.

٨ ــ الطاعة في المسائل الاقتصادية :

١ ــ كذلك يجب طاعة الرسول في توزيع الثروة ، حيث أمر الله رسوله بأن يأخذ من أموال الامة صدقات قال الله سبحانه :

«خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم»(١).

وهكذا يجب على الامة الاستجابة لأمر الرسول باعطاء الصدقة .

٢ ــ وفي تقسيم ثروات الفيء أوجب الله على المسلمين الرضا بما يفعله الرسول وان يأخذوا ما يأمر وما يؤتيهم به ، يقول الله تعالى :

«ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب»(٢).

٩ ــ الطاعة في القضاء :

١ ــ ومن أسمى حقائق الايمان طاعة الرسول في القضاء حيث تقتلهم العصبية ، ويعصف الغضب ، وتعلو امواج الصراع . ومن هنا كان الرجوع الى الله والرسول في التنازع شرط الايمان ودليلاً على صدق الطاعة .

قال الله تعالى : **«يآ أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر»(٣).**

٢ ــ ويعتبر القرآن اعراضهم عن التحاكم الى أمر الله ، وقضاء الرسول ، يعتبره تولياً عن الايمان والطاعة . يقول ربنا سبحانه :

---

(١) التوبة/ ١٠٣ .

(٢) الحشر/ ٧ .

(٣) النساء/ ٥٩ .

«ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين ، واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون»(١).

٣ ـ بينما يعتبر السمع والطاعة في أمر التحاكم الى الله والرسول دليلاً على صدق الايمان ويقول سبحانه :

«انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون»(٢).

١٠ ـ الطاعة في المسائل الاجتماعية :

١ ـ والطاعة للرسول تجعل الانسان في حالة الاستجابة للتعاليم الاجتماعية والآداب الرفيعة ، (مثل الاستيذان قبل دخول البيوت) .

قال الله تعالى : «فان لم تجدوا فيها احداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم»(٣).

٢ ـ وفي الآداب الرفيعة التي تنبغي رعايتها في التلاقي والمجالسة تعتبر الطاعة انعكاساً عن الروح الايمانية .

قال الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات»(٤).

١١ ـ عقبى الطاعة وعاقبة العصيان :

١ ـ ما هو جزاء الذين يطيعون الله ورسوله ؟ بين القرآن جزاء كلا الفريقين ، اما جزاء المطيعين الفائزين ، فانهم يفوزون بفوز عظيم واجر حسن ، يتجلى في الآخرة بجنات

(١) النور/ ٤٧ - ٤٨ .

(٢) النور/ ٥١ .

(٣) النور/ ٢٨ .

(٤) المجادلة/ ١١ .

مع مرافقة الذين انعم الله عليهم من الصالحين.

قال الله تعالى:

«ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم»[1].

٢ ــ ولا نعمة في عظمة (نعمة الجنة) الا نعمة مرافقة الذين انعم الله عليهم من الرسل واولياءهم والصالحين من عباد الله.

قال الله تعالى: «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً»[2].

٣ ــ وقال الله تعالى: «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون»[3].

والفوز هو النجاح في بلوغ الاهداف السامية التي يتطلع نحوها البشر من حسن الدنيا وحسن جزاء الآخرة.

٤ ــ وهذا هو الفوز العظيم لانه لا يحقق المرء -عادة- الا جزءاً يسيراً من اهدافه بينما المطيع لله وللرسول يحقق اكثر من غاياته.. لان الله سبحانه قد وفر في كتابه غايات جداً سامية للانسان لا يبلغها عقل البشر انفسهم حتى يتطلعوا اليها.

قال الله تعالى: «ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً»[4].

٥ ــ والجنات التي جعلها الله دار ضيافته، والتي فيها ما تقر الأعين وتحقق الادعاء، حتى لا يبقى طمع ولا تطلع الا ويتحقق، انها فعلاً جزاء حسن وفوز عظيم.

قال الله تعالى: «ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار»[5].

٦ ــ وهذا هو الاجر الحسن الذي يفوق العمل، فان جزاء الطاعة اعظم بكثير من

(١) النساء/ ١٣.

(٢) النساء/ ٦٩.

(٣) النور/ ٥٢.

(٤) الاحزاب/ ٧١.

(٥) الفتح/ ١٧.

صعوبتها .

قال الله تعالى : «فان تطيعوا يؤتكم الله اجراً حسناً»[1] .

تلك كانت عاقبة المطيعين فما هي عاقبة العصاة ؟

٧ ــ عقاب الذين يشاقون الله ورسوله شديد (وهم الذين يرسمون لانفسهم خطاً مختلفاً عن خط الرسول ، وينتمون الى تيار المعارضة الذي يشق عصى الطاعة) .

قال الله تعالى : «ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب»[2] .

فهؤلاء هم اليهود اقتلعهم الله من الجزيرة العربية لانهم عارضوا الله ورسوله ، وكان جلاءهم امثولة لعقاب الله للذين يعارضون الرسالات الالهية .

٨ ــ قال الله تعالى : «ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذاباً اليماً»[3] .

٩ ــ ومن يحادد الله ورسوله يجعله الله في الاذلين ، الذين يهزمهم الرسول باذن الله ، ويلحق بهم الذل والهوان ، (وهؤلاء هم المنافقون الذين ينسقون مع اعداء الرسالة والذين يسميهم القرآن حزب الشيطان) يقول ربنا سبحانه :

«ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين ، كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز»[4] .

١٠ ــ والذين يحادون الله ورسوله (ويعارضون الرسول ويتناجون بمعصية الرسول ، وبالتالي ، يشكلون خطاً معارضاً داخل المجتمع الرسالي ، بالتنسيق مع اعداء الرسالة الخارجيين) هؤلاء هم الذين ينهزمون باذن الله ، قال الله سبحانه :

«ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم ، وقد أنزلنا آيات

---

(١) الفتح/ ١٦ .

(٢) الحشر/ ٤ .

(٣) الفتح/ ١٧ .

(٤) المجادلة/ ٢٠ - ٢١ .

بينات وللكافرين عذاب مهين»[1].

١١ ــ وقال الله تعالى: «ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم»[2].

١٢ ــ وبالتالي: المنافقون، الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، واتفقوا مع الكفار في طاعتهم في بعض الأمر، فأخرج الله مرض قلوبهم حين فتنهم وأبلى سرائرهم، انهم سينالون جزاءهم بحبط اعمالهم وابطالها، فكأنهم لم يجاهدوا يوماً ولم يعملوا صالحاً قال الله تعالى:

«ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى، لن يضروا الله شيئاً وسيحبط اعمالهم، يآ أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول، ولا تبطلوا اعمالكم»[3].

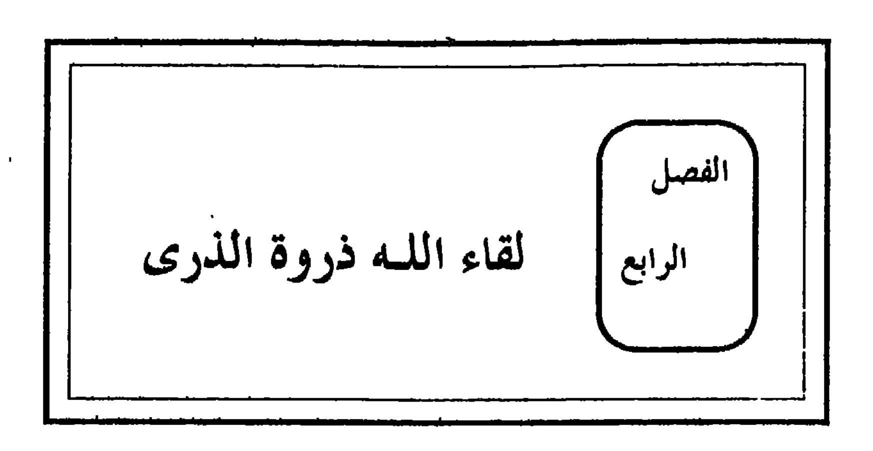
---

(١) المجادلة/ ٥.

(٢) التوبة/ ٦٣.

(٣) محمّد/ ٣٢ ـ ٣٣.





الفصل الرابع
لقاء الله ذروة الذرى

الايمان بلقاء الله (في الآخرة) محور الايمان بالحقائق، لان في لقاء الله تنكشف حقيقة البشر وتبلو سرائره، وتسقط عنه حجب الزيف والخداع.

والايمان بالآخرة وبلقاء الله -سبحانه- فيها، وبالحساب والثواب والعقاب، يعطي البشر وعي المسؤولية، وينمي التقوى في نفسه.

ولذلك اتصلت قيمة العمل الصالح بالايمان بلقاء الله، قال الله تعالى:

«فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً»(١).

وارتبط الطغيان والضلالة باليأس من لقاء الله.

قال الله تعالى: «فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون»(٢).

وارتبط الكفر بالتكذيب بلقاء الآخرة في قوله سبحانه:

«وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة»(٣).

وكما أن أكثر الناس في ضلال، كذلك تجد الكثير منهم يكفرون بلقاء ربهم، قال الله تعالى:

«وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون»(٤).

---

(١) الكهف/ ١١٠.

(٢) يونس/ ١١.

(٣) المؤمنون/ ٣٣.

(٤) الروم/ ٨.

ويبدو ان موقع الايمان بلقاء الله (الآخرة) من سائر حقائق الايمان هام جداً، اذ الايمان بالله دون الايمان بالآخرة ـ لو افترضنا جدلاً امكانه ـ يكون ايماناً بلا روح، بلا مسؤولية، ـ وبالتالي ـ فارغاً من كل محتوى.

على ان الايمان بلقاء الله جزء من الايمان بالله، فليس الله عرف، من عرفه بالعجز عن خلق الناس خلقاً آخر، او لم يعرفه بالعدل، والحكمة الموجبة للحساب؟

ويبدو من التدبر في مختلف الآيات: ان الايمان بلقاء الله وجه من وجوه الايمان بالآخرة، حيث ان الآخرة عالم يشمل الموت وما بعده (البرزخ)، والنشور، ونفخة الصور، والجنة والنار، ويشمل لقاء الله والوقوف أمامه للحساب. والله العالم.

وهكذا أكد الذكر الحكيم ان أجل الله لآت، بذات النبرة التي أكد بها ان الآخرة حق، قال الله تعالى:

«من كان يرجوا لقاء الله فان اجل الله لآت»(١).

فلا يتردد بالتأخير ولا يستعجله بل ينتظر ويرتب أموره وفقه.

هذه جملة البصائر فيما يرتبط بلقاء الله اما التفصيل فلنتدبر في الآيات التالية:

١ ـــ بين لقاء الله والهدى:

حين يرجو الانسان لقاء الله حيث يقف أمامه للسؤال، فانه يفكر في الحق كيف يعرفه فيؤمن به، لانه ليس عند الله سبحانه الا الحق. وهكذا يهديه الله اليه، ومن هنا اتصلت الهداية برجاء لقاء الله.

١ ـــ فمن كذب بلقاء الله خسر الهداية، قال الله تعالى:

«قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين»(٢).

٢ ـــ كما كان أحد أهم حكم الآيات، ان يهتدي الناس الى لقاء ربهم، قال الله تعالى:

---

(١) العنكبوت/ ٥.

(٢) يونس/ ٤٥.

«يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون»[1].

٣ ــ وقال الله تعالى : «وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون»[2].

٢ ــ بين لقاء الله والصفات المثلى :

ومن يرجو لقاء الله فانه يبلغ درجة عالية من الايمان، فيزداد اخلاصاً في العمل وخشوعاً واستقامة.

١ ــ فعن الاخلاص يقول الله سبحانه :

«فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً»[3].

٢ ــ اما الخشوع فانه يحبب الصلاة والصيام الى قلب المؤمن، فاذا به يستأنس بهما ويسارع اليهما ويستعين بهما في حياته، يقول الله سبحانه :

«واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين، الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون»[4].

٣ ــ وحين يتصور الانسان انه يلاقي ربه فانه يتزود بالتوكل والثقة بالنصر (ومن ثم الاستقامة في المواجهة).

قال الله تعالى : «قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله، والله مع الصابرين»[5].

وهكذا كانت وصية الانبياء والائمة ـ عليهم السلام ـ ذكر الموت.

ألف ــ فقد روي عن علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ قال : (لما اشتد الامر بالحسين بن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ نظر اليه من كان معه فاذا هو بخلافهم لانهم كلما اشتد الامر تغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم، وكان الحسين ـ صلوات الله

---

(١) الرعد/ ٢.

(٢) الانعام/ ١٥٤.

(٣) الكهف/ ١١٠.

(٤) البقرة/ ٤٥ ـ ٤٦.

(٥) البقرة/ ٢٤٩.

عليه ـ وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم ، وتهدىء جوارحهم ، وتسكن نفوسهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا لا يبالي بالموت ! فقال لهم الحسين ـ عليه السلام ـ : صبراً بني الكرام إنما الموت الا قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضراء الى الجنان الواسطة والنعيم الدائمة ، فأيكم يكره ان ينتقل من سجن الى قصر؟ وما هو لاعدائكم الا كمن ينتقل من قصر الى سجن وعذاب ، ان أبي حدثني عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، والموت جسر هؤلاء الى جنانهم ، وجسر هؤلاء الى جحيمهم ، ما كذبت ولا كُذبت)(1) .

باء ـ وعن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ قال : (استحيوا من الله حق الحياء ، قالوا : وما نفعل يا رسول الله ؟ قال : فان كنتم فاعلين فلا يبيتن احدكم الا وأجله بين عينيه ، وليحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وليذكر القبر والبلى ، ومن اراد الآخرة فليدع زينة الحياة الدنيا)(2) .

جيم ـ وقد قال الصادق ـ عليه السلام ـ : (ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ، ويقلع منابت الغفلة ، ويقوي القلب بمواعد الله ، ويرق الطبع ، ويكسر اعلام الهوى ، ويطفىء نار الحرص ، ويحقر الدنيا ، وهو معنى ما قال النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ : فكر ساعة خير من عبادة سنة ، وذلك عندما يحمل اطناب خيام الدنيا ، ويشدها في الآخرة ، ولا يشك بنزول الرحمة على ذاكر الموت بهذه الصفة ، ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيره في القيامة فلا خير فيه)(3) .

٣ ـ عدم رجاء لقاء الله :

١ ـ حين يرجوا الانسان لقاء الله ، فانه يفتش عن الحق لان الميزان عند الله حق ، والكتاب حق ، والحساب حق ، ولا ينفذ الباطل الى ذلك المقام أبداً ، اما حين لا يرجو

---

(١) بحار ج٦/ ص ١٥٤ رواية ٩ .

(٢) بحار ج٦/ ص ١٣١ رواية ٢٥ .

(٣) بحار ج٦/ ص ١٣٣ رواية ٣٢ .

لقاء الله فانه يحجب عن الحق، بل لا يفكر فيه، ويكون مصيره الى النار.

قال الله تعالى: «ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمئنوا بها، والذين هم عن آياتنا غافلون، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون»[1].

٢ ــ وهكذا أمر ربنا بان يمتحن رجال الدين اليهود بهذا المعيار، فمن تمنى منهم الموت عرف انه مؤمن بالآخرة، ومن كان حريصاً على الدنيا، عرف انه ليس بمؤمن، ولا واثق من صحة طريقته وصواب فكره، بالرغم من ادعاءه ذلك، قال الله تعالى:

«قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين»[2].

٣ ــ وقال ربنا سبحانه: «ولن يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين»[3].

وهذا المعيار ينطبق أيضاً على المسلمين علماء وغير علماء حسبما جاء في الحديث المأثور عن علي بن محمد ـعليه السلامـ قال: (قيل لمحمد بن علي بن موسى ـصلوات الله عليهـ: ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: لانهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه وكانوا من اولياء الله عزوجل لاحبوه، ولعلموا ان الآخرة خير لهم من الدنيا. ثم قال ـعليه السلامـ: يا ابا عبدالله ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء النقي لبدنه والنافي للألم عنه؟ قال: لجهلهم بنفع الدواء، قال: والذي بعث محمداً بالحق نبياً، ان من استعد للموت حق الاستعداد، فهو انفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، اما انهم لو عرفوا ما يؤدي اليه الموت من النعيم، لاستدعوه واحبوه اشد ما يستدعي العاقل الحازم، الدواء النافع لدفع الآفات واجتلاب السلامة)[4].

٤ ــ الكفر بلقاء الله أم المفاسد:

١ ــ والذين لا يرجون لقاء الله هم الذين يرضون بالحياة الدنيا ويعتبرونها غاية

(١) يونس/ ٧ ـ ٨.

(٢) الجمعة/ ٦ ـ ٧.

(٣) البقرة/ ٩٥.

(٤) بحار ج٦/ ص ١٥٦ رواية ١٢.

منيتهم ومبلغ علمهم، لذلك تجدهم في خسارة.

يقول الله تعالى: «ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون»[1].

وجاء في الحديث المروي في كتاب محمد بن محمد بن الاشعث باسناده ان مولانا علياً -عليه السلام- قال: (ما رأيت ايماناً مع يقين اشبه منه بشك على هذا الانسان، انه كل يوم يودع الى القبور، ويشيع، والى غرور الدنيا يرجع، وعن الشهوة والذنوب لا يقلع، فلو لم يكن لابن آدم المسكين ذنب يتوكفه ولا حساب يقف عليه الا موت يبدد شمله ويفرق جمعه ويؤتم ولده لكان ينبغي له ان يحاذر ما هو فيه بأشد النصب والتعب، ولقد غفلنا عن الموت غفلة أقوام غير نازل بهم، وركنا الى الدنيا وشهواتها ركون اقوام قد أيقنوا بالمقام وغفلنا عن المعاصي والذنوب غفلة أقوام لا يرجون حساباً ولا يخافون عقاباً)[2].

٢ ــ والكفر بلقاء الله وعدم رجاءه، ينتهي بالانسان الى الضلالة، والتوسل بالاعذار الباطلة لكي لا يؤمن (مثل المطالبة بتغيير القرآن).

قال الله تعالى:

«قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله»[3].

٣ ــ وطالبوا -مرة أخرى- بنزول الملائكة عليهم مباشرة. قال الله سبحانه:

«وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة»[4].

٤ ــ وكانت عاقبة هذه الفئة خسران حياتهم حيث ان الدنيا مزرعة الآخرة، وهي دار ممر لكي يتزود الانسان منها لدار المقر، فمن لم يفعل ذلك فيها فقد خسرها وخسر ما بعدها. قال ربنا سبحانه:

«قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله، حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة، قالوا يا حسرتنا على

---

(١) يونس/ ٧ - ٨.

(٢) بحار الانوار ج٦/ ص١٣٧ رواية ٤٠.

(٣) يونس/ ١٥.

(٤) الفرقان/ ٢١.

ما فرطنا فيها»[1].

٥ ـ والله ينساهم كما نسوه ولا يأبه بهم ويدعهم وشأنهم فلا تبلغهم رحمته، قال الله تعالى:

«فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا»[2].

وقال الله تعالى: «وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا»[3].

٦ ـ وتحبط اعمالهم فلا ينتفعون حتى بالصالحات التي عملوا بها بلا نية، ومن دون رجاء الآخرة، يقول الله سبحانه:

«والذين كذبوا بآياتنا ولقاءِ الآخرة حبطت اعمالهم»[4].

٧ ـ وقال الله تعالى: «أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت اعمالهم»[5].

٨ ـ وهم بسبب نسيان الله لهم وحبط اعمالهم (الصالحة) يحضرون العذاب، بالرغم من تكذيبهم به وكفرهم بالحق، قال الله سبحانه:

«وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون»[6].

٩ ـ ولانهم نسوا لقاء الله فقد نساهم الرب، ولانهم (وبسبب ذلك) ارتكبوا المحرمات فقد استحقوا عذاب الخلد، قال الله تعالى:

«فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون»[7].

١٠ ـ وضلالتهم عن الحق كانت بسبب كفرهم بلقاء ربهم. قال الله العزيز:

---

(١) الانعام/ ٣١.

(٢) الاعراف/ ٥١.

(٣) الجاثية/ ٣٤.

(٤) الاعراف/ ١٤٧.

(٥) الكهف/ ١٠٥.

(٦) الروم/ ١٦.

(٧) السجدة/ ١٤.

«وقالوا أءِذا ضللنا في الارض أءنا لفي خلق جديد، بل هم بلقاء ربهم كافرون»[1].

١١ ـ ونستوحي من القرآن ان آيات الله في الآفاق والانفس تنفع الذين يرجون لقاء ربهم، لا الذين هم في شك منه. حيث يقول تعالى:

«سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم، حتى يتبين لهم انه الحق، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد، الا انهم في مرية من لقاء ربهم، الا انه بكل شيء محيط»[2].

١٢ ـ واعظم عذاب لهم انهم يئسوا من رحمة الله.

قال الله تعالى: «والذين كفروا بآيات الله ولقاءه أولئك يئسوا من رحمتي»[3].

---

(١) السجدة/ ١٠.

(٢) فصلت/ ٥٣ ـ ٥٤.

(٣) العنكبوت/ ٢٣.

في رحاب الأحاديث

من يتمنى الموت؟

ومقياس صدق الانسان في دعوى الايمان، هو حبه للقاء الله، وتمني الموت، بينما المؤمن يحب لقاء ربه فقد سئل أمير المؤمنين -عليه السلام-: بماذا أحببت لقاء الله؟ قال: (لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبياءه، علمت ان الذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقاءه)[1].

وكان الائمة المعصومون يرغبون المؤمنين في الصبر والاستقامة، على الحق ببيان لقاء الآخرة، فقد روي عن أبي عمر والبزاز انه قال: كنا عند أبي جعفر الباقر -عليه السلام- جلوساً فقام فدخل البيت وخرج، فأخذ بعضادتي الباب فسلم فرددنا عليه السلام: ثم قال: (والله اني لاحب ريحكم وأرواحكم، وانكم لعلى دين الله ودين ملائكته، وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقر به عينه الا ان تبلغ نفسه ههنا -وأومأ بيده الى حنجرته- وقال: فاتقوا الله وأعينوا على ذلك بورع)[2].

الموت راحة للمؤمن من الفتن

عن محمود بن لبيد ان رسول الله -صلى الله عليه وآله- قال: (شيئان يكرههما ابن

---

(١) بحار الانوار ج٦/ ص١٢٧ الرواية ١١.

(٢) بحار الانوار ج٦/ ص١٨٩ رواية ٣٢.

آدم : يكره الموت ، والموت راحة للمؤمن من الفتنة ، ويكره قلة المال ، وقلة المال أقل للحساب)[1].

متى يحب المرء لقاء الله؟

قال أمير المؤمنين -عليه السلام-: (تمسكوا بما أمركم الله به ، فما بين أحدكم وبين ان يغتبط ويرى ما يحب الا ان يحضره رسول الله -صلى الله عليه وآله-، وما عند الله خير وأبقى ، وتأتيه البشارة من الله عزوجل فتقر عينه ويحب لقاء الله)[2].

الموت هادم اللذات

عن أمير المؤمنين -عليه السلام-: (فما ينجو من الموت من يخافه ، ولا يعطي البقاء من أحبه ، ومن جرى في عنان أمله عثر به أجله ، واذا كنت في أدبار والموت في اقبال فما اسرع الملتقى! الحذر الحذر! فوالله لقد ستر حتى كأنه غفر)[3].

ذكر الموت خير الامور

قال النبي -صلى الله عليه وآله-: (افضل الزهد في الدنيا ذكر الموت ، وافضل العبادة ذكر الموت ، وافضل التفكر ذكر الموت ، فمن اثقله ذكر الموت ، وجد قبره روضة من رياض الجنة)[4].

عن محمد قال : سمعت أبا جعفر الباقر -عليه السلام- يقول : (اتقوا الله واستعينوا على ما انتم عليه بالورع والاجتهاد في طاعة الله ، فان اشد ما يكون احدكم اغتباطاً بما هو عليه لو قد صار في حد الآخرة وانقطعت الدنيا عنه ، فاذا كان في ذلك الحد عرف انه قد استقبل النعيم والكرامة من الله ، والبشرى بالجنة ، وأمن ممن كان يخاف ، وأيقن ان

---

(١) بحار الانوار ج٦/ ص١٢٨ رواية ١٣.

(٢) بحار الانوار ج٦/ ص١٥٣ رواية ٨.

(٣) بحار الانوار ج٦/ ص١٣٦ رواية ٣٧.

(٤) بحار الانوار ج٦/ ص١٣٧ رواية ٤١.

الذي كان عليه هو الحق، وأن من خالف دينه على باطل هالك) [1] .

ذكر الموت يهون المصائب

قال أمير المؤمنين -عليه السلام-: (اكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من القبور، وقيامكم بين يدي الله عزوجل تهون عليكم المصائب) [2] .

كفى بالموت واعظاً

فيما كتب أمير المؤمنين -عليه السلام- لمحمد بن أبي بكر: (عباد الله! ان الموت ليس منه فوت فاحذروا قبل وقوعه وأعدوا له عدته، فانكم طرد الموت ان اقتم له أخذكم وان فررتم منه ادرككم، وهو ألزم لكم من ظلكم، الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوي خلفكم، فأكثروا ذكر الموت عندما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات، وكفى بالموت واعظاً؛ وكان رسول الله -صلى الله عليه وآله- كثيراً ما يوصي اصحابه بذكر الموت فيقول: أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات، حائل بينكم وبين الشهوات) [3] .

الحياة مع الطاعة خير من الموت بغير طاعة

عن أبي محمد العسكري عن آبائه -عليه السلام- قال: (جاء رجل الى الامام الصادق -عليه السلام- فقال: قد سئمت الدنيا فأتمنى على الله الموت؛ فقال: تمن الحياة لتطيع لا لتعصي، فلأن تعيش فتطيع خير لك من ان تموت فلا تعصي ولا تطيع) [4] .

الموت في حب اهل البيت خير من الحياة في بغضهم

عن أبي جعفر الباقر -عليه السلام- قال: (لا يبلغ أحدكم حقيقة الايمان حتى يكون

---

(١) بحار الانوار ج٦/ ص١٨٧ رواية ٢٢.

(٢) بحار الانوار ج٦/ ص١٣٢. رواية ٢٦.

(٣) بحار الانوار ج٦/ ص١٣٢ رواية ٣٠.

(٤) بحار الانوار ج٦/ ص١٢٨ رواية ١٥.

فيه ثلاث خصال : يكون الموت أحب اليه من الحياة ، والفقر أحب اليه من الغنى ، والمرض أحب إليه من الصحة ؛ قلنا : ومن يكون كذلك ؟ قال : كلكم : ثم قال : أيما أحب الى أحدكم ؛ يموت في حبنا ، او يعيش في بغضنا ؟ فقلت : نموت والله في حبكم أحب الينا ؛ فقال : وكذلك الفقر والغنى والمرض والصحة ؟ قال : اي والله) (١) .

من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه

عن أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ قال : (لما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح ابراهيم ـعليه السلام ـ اهبط الله ملك الموت ، فقال : السلام عليك يا ابراهيم ! قال : وعليك السلام يا ملك الموت أداع أم ناع ؟ قال : بل داع يا ابراهيم ؟ فأجب ؛ قال ابراهيم : فهل رأيت خليلاً يميت خليله ؟ قال : فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جل جلاله فقال : إلهي لقد سمعت ما قال خليلك ابراهيم ، فقال الله جلا جلاله يا ملك الموت اذهب اليه وقل له : هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه ؟ ان الحبيب يحب لقاء حبيبه) (٢) .

قال النبي ـصلى الله عليه وآله ـ : (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) (٣) .

---

(١) بحار الانوار ج٦/ ص١٣٠ رواية ٢٠.

(٢) بحار الانوار ج٦/ ص١٢٧ رواية ٨.

(٣) بحار الانوار ج٦/ ص١٣٣ رواية ٣٢.

الباب الثالث

الايمان؛ ذكر وشكر



صفوة القول

ذكر الله قيمة ايمانية ، وهو ميراث وعي اسماء الله ، ويبعث في القلوب سكينة ، تحصنه من وساوس الشيطان ، وعواصف الهوى ، ولا يترك المؤمن ذكر ربه أوليس يستدر رحمة ربه ؟ وحين يذكر الله المؤمن يتذكر نعمه التي تبدء بالخلق والرزق وتستمر مع الهدى والفلاح ، كما يتذكر حال فقدانها فلا يبطر بالنعمة ، ويصبر عند فقد بعضها .

ومن آفاق ذكر الله تسبيحه ، فما من ظاهرة تثيرهم او حالة يتقلبون بها ، او خطيئة يرتكبونها الا ويسبحون الله .

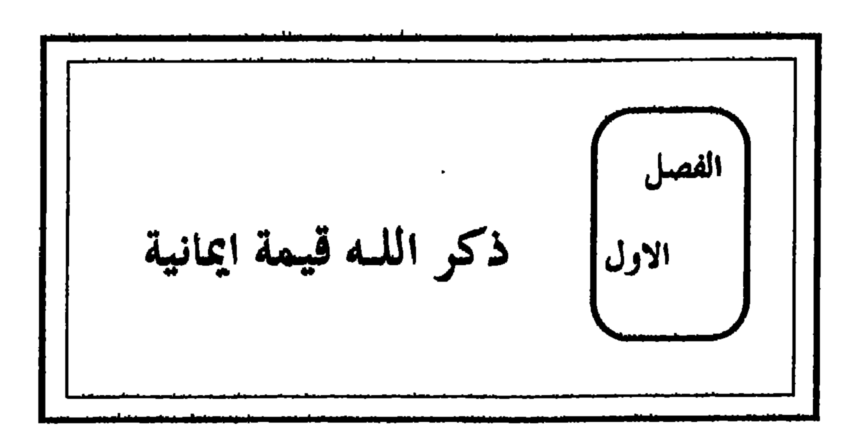
ومن آفاق ذكرهم قيامهم بالليل ، حيث يتهجدون عندما تنام العيون ، فيناجون ربهم ويتزودون بالتقوى واليقين .

ومن آفاق الذكر الاستغفار الذي هو تحية الانابة اليه بعد ان حجبتهم الذنوب عنه .

وعندما تبدو عظمة الخلق في قلب المؤمن ، تتجلى عظمة الله فيصغر في أعينهم كل شيء .

وحمد الله على صفاته ، وعند ذكر نعماءه ، لكي لا تبطره .

والاخبات اسمى درجات الذكر ، انه خشوع القلب ، لذكر الله ، وعلامته التسليم لله سبحانه .



ذكر الله قيمة ايمانية . حيث يعي القلب اسماء الله الحسنى ، فيطمئن اليها . (رحمته وحكمته مثلاً) . والمؤمن لا يدع ذكر الله في حال ، بل يتفكر في خلق السموات والأرض والحكمة من ذلك الخلق ؛ ويتحصن بذكر الله عن وساوس إبليس وعواصف الشهوات والضغوط ، وذكر الله يبعث الوجل في افئدة المؤمنين لما يدخلها من جلال ربهم وعظمته ، وذكر اسماء الله يكون بكرة واصيلاً ، ويكون ذكره تضرعاً وخيفة .

وذكر الله كثيراً يورث الفلاح ، ويستدر رحمة الله ، وهو علامة المؤمنين حيث ان المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً .

هذه كلمة جامعة حول ذكر الله اما التفصيل فنعرفه بالتأمل في الآيات التالية :

١ ـ ذكر الله قيمة ايمانية :

١ ـ ذكر الله قيمة ايمانية ، وتعبير عن العلاقة بين العبد وربه ، حيث يقول الله تعالى :

«الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب» [١].

وكذلك جعل الايمان سبباً لذكر الله ، واطمئنان القلب به .

٢ ـ لان الايمان هو التسليم للحق ، ولان الانسان حينما سلم نفسه لله ـ سبحانه ـ

---

(١) الرعد/ ٢٨ .

وذكره بأسمائه الحسنى ، فانه يطمئن الى عدالته ورحمته وان المصير اليه ، وكل ذلك يبعث السكينة في نفسه والطمأنينة في قلبه لذلك تجد المؤمن يذكر الله ذكراً كثيراً ، وهذا الذكر يعينه على مواجهة الوساوس والظنون (تلك التي تحيط بالشعراء غير المؤمنين) .

قال الله تعالى (بعد بيان حال الشعراء الذين في كل واد يهيمون) :

«إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً»(١) .

٣ ـــ من هنا فان المؤمنين لا يدعون الذكر في أي حال ، فيذكرون الله بالصلاة قياماً ، واذا اعجزهم الضعف او المرض او الخوف ، ذكروه بالصلاة قعوداً ، وحتى اذا اضطروا الى التمدد فوق الأرض ، ذكروه على جنوبهم .

قال الله تعالى :

«الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم»(٢) .

فعن ابي جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ قال : (لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً كان او جالساً او مضطجعاً ان الله يقول :

«الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار»)(٣) .

ودليل ذكرهم الدائم تفكرهم المستمر في خلق السموات والارض وان الله لم يخلقها عبثاً ، وانه ـ بالتالي ـ لا يتركهم سدى ، وان عليهم ان يجتهدوا للخلاص من نار جهنم .

٤ ـــ بلى إذا آمنوا من الخوف ، ومن ضعف ، فانهم يصلون صلاة تامة ، حسب فرائض الله عليهم .

قال الله تعالى :

«فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون»(٤) .

٥ ـــ وبالرغم من ان الصلاة قد فرضت لذكر الله حيث قال الله سبحانه (واقم

---

(١) الشعراء/ ٢٢٧ .

(٢) آل عمران/ ١٩١ .

(٣) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٥٢ الرواية ١٠ .

(٤) البقرة/ ٢٣٩ .

الصلاة لذكري) الا ان الذكر ليس مخصوصاً بها، بل يجب ذكره سبحانه دائماً حيث قال الله سبحانه:

«فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم»(١).

وتلك هي وصية الله أن يذكر على كل حال، والذي هو الضمان لحفظ الانسان من شر النفس والشيطان والاعداء.

٦ ـــ وعند مواجهة الاعداء يجب ذكر الله لضمان الثبات والاستقامة.

قال الله تعالى:

«يآ أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً»(٢).

وعن أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ انه قال: (اذا لقيتم عدوكم في الحرب فأقلوا الكلام وأكثروا ذكر الله عزوجل)(٣).

٢ ـــ الذكر حصن ولاية الله

١ ـــ والمؤمنون يذكرون الله عند الوقوع في الخطيئة لمواجهة ضعف انفسهم، ثم لاصلاح انفسهم بالتوكل على الله.

قال الله تعالى:

«والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله»(٤).

٢ ـــ وقال الله سبحانه:

«ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون»(٥).

وفي روايات أهل البيت ـعليهم السلام ـ قسم الذكر الى نوعين؛ ذكر الله عند

---

(١) النساء/ ١٠٣.

(٢) الانفال/ ٤٥.

(٣) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٥٤ الرواية ١٦.

(٤) آل عمران/ ١٣٥.

(٥) الاعراف/ ٢٠١.

المصيبة ، وذكر الله عند حرمات الله . فقد روي عن اصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين -عليه السلام- : (الذكر ذكران ، ذكر الله -عزوجل- عند المصيبة ، وأفضل من ذلك ، ذكر الله عند ما حرم الله عليك ، فيكون حاجزاً)[1].

وعن أبي جعفر -عليه السلام- قال : (ثلاث من أشد ما عمل العباد : إنصاف المرء من نفسه ، ومواساة المرء أخاه ، وذكر الله على كل حال ، وهو أن يذكر الله عزوجل عند المعصية يهم بها ، فيحول ذكر الله بينه وبين تلك المعصية ، وهو قول الله عزوجل : «ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون»)[2].

فاذا خرج البشر -ولو لحظات- عن حصن الولاية الالهية ونسي ذكر الله اختطفه الشيطان ، ولولا انه يعود الى الحصن ، لأصبح من الهالكين ، ولذلك يسعى الشيطان لقطع ذكر الله عن المؤمنين .

فعن أبي عبدالله -عليه السلام- انه قال : (ما قعد قوم قط يذكرون الله الا بعث اليهم إبليس شيطاناً فيقطع عليهم حديثهم[3].

ولكن الله يؤيد عباده الصالحين في ذكره ، فقد روي عن النبي -صلى الله عليه وآله- قال : (قال الله سبحانه : اذا علمت انه ان الغالب على عبدي الاشتغال بي ، نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي ، فاذا كان عبدي كذلك فأراد ان يسهو (حلت) بينه وبين ان يسهو ، أولئك اوليائي حقاً أولئك الابطال حقاً ، أولئك الذين اذا اردت ان اهلك أهل الأرض عقوبة ، زويتها عنهم من اجل أولئك الابطال)[4].

٣ ــ الوجل عند ذكر الله

١ ــ قال الله تعالى :

«انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً ،

(١) بحار الانوار ج٩٠/ ص ١٦٤ الرواية ٤٣ .

(٢) بحار الانوار ج٩٠/ ص ١٥١ الرواية ٦ .

(٣) بحار الانوار ج٩٠/ ص ١٦٠ الرواية ٤٠ .

(٤) بحار الانوار ج٩٠/ ص ١٦٢ الرواية ٤٢ .

وعلى ربهم يتوكلون»[1].

هكذا يتفاعل المؤمنون مع ذكر الله ، الذي لا يعني مجرد الفاظ على شفاههم ، بل انه وعي نعم الله.

٢ ـــ قال الله تعالى :

«الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم»[2].

٤ ـــ مواطن ذكر الله

١ ـــ عندما ينفخ الشيطان في روع اولياءه ريح العصبية ، يتمسك المؤمنون بذكر الله حتى يتعالوا عنها.

قال الله تعالى :

«فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم»[3].

٢ ـــ وعند اداء فرائض الحج التي هدى الله اليها وطهرها من عوالق الشرك والعصبية هناك يذكر الله المؤمنون ويشكرونه على نعمة الهداية.

قال الله تعالى :

«فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين»[4].

٣ ـــ وقال الله تعالى :

«واذكروا الله في أيام معدودات»[5].

٥ ـــ ولله الاسماء الحسنى

١ ـــ وعند ذكر الله نذكر بعض اسماءه الحسنى ، والذكر يكون عند انبلاج الفجر

(١) الانفال/ ٢.

(٢) الحج/ ٣٥.

(٣) البقرة/ ٢٠٠.

(٤) البقرة/ ١٩٨.

(٥) البقرة/ ٢٠٣.

بكرة ، وعند غروب الشمس اصيلاً ، ليحيط ذكر ربنا بحياتنا من جميع الأبعاد .

قال الله تعالى :

«واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا»[1].

وعن أبي عبدالله -عليه السلام- انه قال : (قال الله تعالى لموسى : أكثر ذكري بالليل والنهار وكن عند ذكري خاشعاً)[2].

عن ابن القداح عن أبي عبدالله -عليه السلام- قال : (ما من شيء الا وله حد ينتهي اليه ؛ فرض الله الفرائض فمن اداهن فهو حدهن ، وشهر رمضان فمن صامه فهو حده ، والحج فمن حج فهو حده ، الا الذكر ، فان الله لم يرض فيه بالقليل ولم يجعل له حداً ينتهي اليه ، ثم تلا :

«يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً» فلم يجعل الله له حداً ينتهي اليه)[3].

٢ ـ وعند ذكر الله ينبغي ان يتفاعل القلب ، وتطمئن النفس ، ويكون مقروناً بالضراعة الى الله ، وان يكون ذكراً خفياً .

قال الله تعالى : «واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة»[4].

وقال رسول الله -صلى الله عليه وآله- : («واذكر ربك في نفسك» يعني مستكيناً «وخيفة» يعني خوفاً من عذابه «ودون الجهر من القول» يعني دون الجهر من القراءة «بالغدو والآصال» يعني بالغداة والعشي)[5].

٣ ـ وعندما ينسي الشيطان العبد شيئاً ، يذكر الله ليتوب اليه من بعد الذنب ، وينجو من مكر الشيطان وغروره .

قال الله تعالى :

---

(١) الانسان/ ٢٥ .

(٢) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٦٢ الرواية ٤٢ .

(٣) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٦١ الرواية ٤٢ .

(٤) الاعراف/ ٢٠٥ .

(٥) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٥٩ الرواية ٣٧ .

«واذكر ربك اذا نسيت»[1].

٤ ــ وليكن ذكر الله زادناً في معترك الحياة فلنكره كثيراً، وبالذات عندما يجن الليل ويزداد خطر الاعداء، او عندما يتفتح النهار ونحتاج الى ضياء هدى الله، وعظيم عونه على شدائد الحياة.

قال الله تعالى:

«واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والابكار»[2].

٦ ــ الفلاح ميراث ذكر الله

وعندما تلهج الالسن بذكر الله، وتطمئن القلوب به، وتتخذ حياة البشر صبغة الله، هنالك يبلغ الانسان درجة الفلاح، حيث السعادة في الدنيا والآخرة.

يقول الله تعالى:

«وابتغوا من فضل الله، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون»[3].

ألف ــ وقال رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ في وصيته لابي ذر ـعليه السلام ـ: (عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً، فأنه ذكر لك في السماء، ونور لك في الأرض)[4].

باء ــ وعن أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ قال: (أكثروا ذكر الله عزوجل اذا دخلتم في الاسواق وعند اشتغال الناس فانه كفارة للذنوب، وزيادة في الحسنات ولا تكتبوا في الغافلين)[5].

٧ ــ ذكر الله يستدر الرحمة

لكي لا ينسانا الرب في الشدائد، ولكي يقينا شر النوائب، ويستجيب دعائنا عند

---

(١) الكهف/ ٢٤.

(٢) آل عمران/ ٤١.

(٣) الجمعة/ ١٠.

(٤) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٥٤ الرواية ١٥.

(٥) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٥٤ الرواية ١٦.

الحوائج ، لابد ان نذكره أبداً ، فمن ذكر الله في الرخاء ذكره الله في الشدة . يقول ربنا سبحانه :

«فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون»[1] .

ألف ــ وجاء في الحديث عن النبي ـصلى الله عليه وآله ـ: (مكتوب في التوراة التي لم تغير: ان موسى ـعليه السلام ـ سأل ربه فقال : يا رب أقريب أنت مني فاناجيك أم بعيد فأناديك ؟ فأوحى الله اليه : يا موسى انا جليس من ذكرني ، فقال موسى : فمن في سترك يوم لا ستر الا سترك ؟ فقال : الذين يذكروني فأذكرهم ، ويتحابون في فأحبهم ، فأولئك الذين اذا اردت أن اصيب أهل الارض بسوء ، ذكرتهم ، فدفعت عنهم بهم)[2] .

باء ــ وعن النبي ـصلى الله عليه وآله ـ أيضاً قال : (تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، فاذا سألت فأسأل الله واذا استعنت فأستعن بالله)[3] .

٨ ــ المنافقون لا يذكرون الله الا قليلاً

وتماماً بعكس المؤمنين ، ترى المنافقين لا يذكرون الله الا قليلاً ، وهذا من ابرز علامات نفاقهم ، قال الله تعالى :

«ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ، ولا يذكرون الله إلا قليلاً»[4] .

وجاء في الحديث عن أبي عبدالله ـعليه السلام ـ قال : (من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيراً ، إن المنافقين يذكرون الله علانية ، ولا يذكرونه في السر ، قال الله تعالى : «يراؤون الناس ، ولا يذكرون الله إلا قليلاً»)[5] .

ذكر الله قيمة سامية من قيم الحق ، التي تتبع من الايمان ، وهذا يعني إن عدم ذكر الله ، قيمة من القيم المضادة التي تنبع من الكفر.

---

(١) البقرة/ ١٥٢ .

(٢) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٦٢ الرواية ٤٢ .

(٣) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٨٣ الرواية ١١ .

(٤) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٦٠ الرواية ٤١ .

(٥) النساء/ ١٤٢ .

في رحاب الأحاديث

وقد اولت الأحاديث المأثورة، أهمية كبرى لقيمة الذكر تبعاً للآيات الكريمة، وفيما يلي نتلوا بعضها :

طاعة الله : ذكر الله

روي عن النبي -صلى الله عليه وآله-: (من اطاع الله فقد ذكر الله، وان قلّت صلاته وصيامه وتلاوته، ومن عصى الله فقد نسي الله، وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته) (١) .

ذكر الله خير الأعمال

قال النبي -صلى الله عليه وآله- لاصحابه : (الا أخبركم بخير أعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم، وخير لكم من الدينار والدرهم، وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتقتلونهم ويقتلونكم؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : ذكر الله عزوجل كثيراً) (٢) .

ذكر الله خير من مسألته

قال أبو عبدالله -عليه السلام-: (ان الله يقول : من شغل بذكري عن مسألتي،

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٥٦ الرواية ٢٢ .

(٢) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٥٧ الرواية ٢٩ .

أعطيته أفضل ما أعطي من يسألني) [١] .

الذاكر حبيب الله

وعن النبي -صلى الله عليه وآله- انه قال: (يا رب وددت ان أعلم من تحب من عبادك فاحبه؟ فقال: اذا رأيت عبدي يكثر ذكري فأنا أذنت له في ذلك، وأنا أحبه، وإذا رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبته وأنا أبغضته) [٢] .

مجالس الذاكرين خير المجالس

عن يونس بن عبد الرحمن قال لقمان لابنه: (يا بني احذر المجالس على عينيك، فان رأيت قوماً يذكرون الله عزوجل فاجلس معهم، فانك ان تكن عالماً يزيدوك علماً، وان كنت جاهلاً علموك، ولعل الله ان يطلعهم برحمة فيعمك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله، فلا تجلس معهم، فانك ان تكن عالماً لا ينفعك علمك، وان تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعل الله ان يظلهم بعقوبة فيعمك معهم) [٣] .

ترك الذكر يقسي القلب

عن أبي جعفر -عليه السلام- قال: (اوحى الله تبارك وتعالى الى موسى -عليه السلام-: لا تفرح بكثرة المال، ولا تدع ذكري على كل حال، فان كثرة المال تنسي الذنوب، وترك ذكري يقسي القلوب) [٤] .

ذكر الله في كل مكان

قال أمير المؤمنين -عليه السلام-: (اذكروا الله في كل مكان فانه معكم) [٥] .

---

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٦٠ الرواية ٤١ .

(٢) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٦٠ الرواية ٤١ .

(٣) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٦٤ الرواية ٤٣ .

(٤) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٥٠ الرواية ١ .

(٥) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٥٤ الرواية ١٦ .

حلق الذكر رياض الجنة

قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (بادروا الى رياض الجنة، فقالوا، وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر)[1].

ذكر الله في الغضب

اما عن ائمة اهل البيت -عليه السلام- فيروي لنا الحديث الشريف عن أمير المؤمنين -عليه السلام- انه قال: قال النبي -صلى الله عليه وآله-: (يقول الله عزوجل يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين أغضب، ولا امحقك فيمن امحق)[2].

الله يذكر الذاكرين له

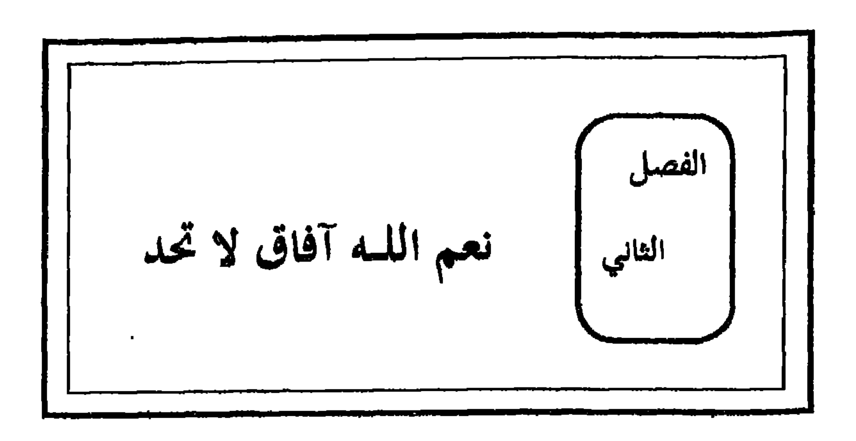
عن أبي عبدالله -عليه السلام- قال: (قال الله تعالى: ابن آدم اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي، ابن آدم اذكرني في الخلاء اذكرك في خلاء، ابن آدم اذكرني في ملأ اذكرك في ملأ خير من ملآئك، وقال: ما من عبد يذكر الله في ملأ من الناس الا ذكره الله في ملأ من الملائكة)[3].

---

(١) بحار الانوارج ٩٠/ ص ١٥٦ الرواية ٢٠.

(٢) بحار الانوارج ٩٠/ ص ١٥٢ الرواية ٨.

(٣) بحار الانوارج ٩٠/ ص ١٥٨ الرواية ٣١.



من حقائق الذكر تذكر نعم الله، ابتداء بنعمة الخلق والرزق، وانتهاء بنعمة الهدى والفلاح. وايضاً تذكر حال فقدانها، فمثلاً عندما كان الناس في ضلال ومتفرقون، فهداهم الله وألف بين قلوبهم، او عندما كانوا في خطر الإبادة فنصرهم.

والهدف من ذكر النعم الا يبطر بها الفرد وان يشكر ويصبر، ونعم الله لا تحصى، والكافر لا يقدرها عند وفورها، وييأس عند فقدها.

١ ـ النعم الالهية التي تستوجب الذكر

١ ـ لكي تصبغ عبادة الله حياة الانسان بكل ابعادها لابد من ذكر الله، ومن حقائق ذكر الله، ذكر نعمه، ابتداء بنعمة الخلق والرزق، وهي اولى النعم، وانتهاء الى نعمة الهدى. وهي اعظم النعم، يقول الله تعالى:

«يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض» (١).

٢ ـ وقال الله تعالى:

«او لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً» (٢).

---

(١) فاطر/ ٣.

(٢) مريم/ ٦٧.

٣ ــ وعند ذكر نعم الله نعي اهميتها ، حيث نقيس الوضع بما قبل النعمة ، ونتذكر مدى الآلام التي عانينا منها ، ثم نعرف قدر النعمة ، ومنها نعمة تأليف القلوب بعد العداوة .

قال الله تعالى :

«واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداءاً فألف بين قلوبكم»[1].

حقاً كم هي المسافة بعيدة بين مجموعة متناحرة متعادية ، وتجمع متآلف ، ليس في الظاهر فقط ، وانما في الواقع إيضاً ، حيث قد تآلفت القلوب .

٤ ــ ونعمة الهدى اعظم نعمة . وهي تورث سائر نعم الدنيا والآخرة ، وعلى المؤمنين ان يتذكروا دوماً ايام ضلالتهم ، حيث الذل والهوان ، وحيث الفاحشة والخسران ، وكذلك دعا موسى بن عمران ـعليه السلامـ قومه الى تذكر نعمة الهداية ، عندما أمر الله قومه باقتحام بلاد الجبابرة ، فذكرهم بنعمة النبـوة والملك ، ولعل هاتين النعمتين تقتضيان الجهاد من أجل المحافظة عليها ، قال الله تعالى :

«وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكاً ، وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ، يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم»[2].

٥ ــ ونعمة النصر في الايام العصيبة نعمة كبيرة ، ينساها الناس عادة ، فيتركون الاستعداد لامثالها ، ويفترون عن التمسك بتلك القيم التي حاربوا من اجلها ، وهكذا علينا ابداً تذكر هذه النعمة ، وشكر الله عليها ، يقول ربنا سبحانه :

«وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم»[3].

٦ ــ وقال ربنا سبحانه :

---

(١) آل عمران/ ١٠٣ .

(٢) المائدة/ ٢٠ - ٢١ .

(٣) ابراهيم/ ٦ .

«يآ أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً»(١).

٧ ــ ونعمة النصر ـ توحي ـ ألينا بتذكر تلك القيم التي نصرنا الله بها، مثل قيمة التوكل على الله، والتقوى، قال الله تعالى:

«يآ أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون»(٢).

٨ ــ وحين يتذكر المؤمن لحظة انتماءه الى خط الرسالة وبيعته للرسول، وتعهده بميثاق الولاء عندما قال سمعاً وطاعة ـ حينذاك يزداد تمسكاً بقيم الرسالة وبنود الميثاق كالقيام بالقسط والشهادة لله.

قال الله تعالى:

«واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور»(٣).

٩ ــ لكي تنمو روح التقوى عند المؤمن، فعليه ان يتذكر نعم الله التي اسبغها عليه بفضل تمسكه بالدين، وكلما استشعر المؤمن الضعف تجاه أمر الهي، فعليه ان يتذكر نعم الله عليه، وبالذات عندما تأمره القيادة الربانية بأمر مستصعب، عليه ان يتذكر ما تفضل الله عليه من خلال تمسكه بتلك القيادة الرشيدة.

قال الله تعالى:

«يا بني اسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين»(٤).

٢ ــ اهداف ذكر النعم

١ ــ لكي لا تبطر النعمة صاحبها، عليه ان يتذكر انها من عند الله، وان عليه

---

(١) الاحزاب/ ٩.

(٢) المائدة/ ١١.

(٣) المائدة/ ٧.

(٤) البقرة/ ١٢٢.

اداء حقها .

قال الله تعالى :

«لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون»(١) .

٢ ــ ان استذكار النعمة تورث الصبر والشكر ، اما الصبر فلأن الانسان حين يتذكر ان النعمة من عند الله يزداد ثقة بانه قادر على اعادتها بعد فوتها ، واما الشكر فلأن تذكر النعمة يستدعي تذكر ايام فقدها فيزداد الانسان احساساً بلذاتها .

قال الله تعالى :

«ألم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور»(٢) .

٣ ــ نعم الله لا تحصى

١ ــ ولان نعم الله لا تحصى فان قلب المؤمن يطمئن أبداً برحمة الله ويعيش روح الرضا والفرح بفضل ربه ، وتصبح نظرته ايجابية ومتفاءلة في الحياة .

قال الله تعالى :

«وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم»(٣) .

٢ ــ وقال الله تعالى :

«وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها»(٤) .

٤ ــ كفران النعم الالهية

١ ــ ومن القيم المضادة الكفر بالنعم ، وتتصل هذه القيمة المضادة بالكفر المطلق ،

---

(١) الزخرف/ ١٣ - ١٤ .

(٢) لقمان/ ٣١ .

(٣) النحل/ ١٨ .

(٤) ابراهيم/ ٣٤ .

ومن يكفر بالله يكفر بنعمه أيضاً ومن يكفر بالنعم يكفر برب العالمين ، حيث يقول ربنا :

«وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفوراً»[1].

وهذه صفة الانسان الضال ان يكفر بنعم الله سبحانه ويعرض عنها .

٢ ـ وقبل ان تزكي الرسالة الالهية النفس ، تراها تعرض عن النعم عند وفورها ، ولا يقدرها حق قدرها ، بل لا ينتفع بها كما ينبغي ، فعن الامام أبي عبدالله الصادق ـعليه السلامـ انه قال : (ان الله عزوجل انعم على قوم بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً ، وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة)[2].

اما عند فقدها فتراه في يأس مميت يقول ربنا سبحانه :

«وإذا انعمنا على الانسان اعرض ونئا بجانبه واذا مسه الشر كان يؤساً»[3].

بينما كان رسول الله ـصلى الله عليه وآلهـ اذا أتاه أمر يسره قال : (الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات) وإذا أتاه أمر يكرهه قال : (الحمد لله على كل حال)[4].

---

(١) الاسراء/ ٦٧ .

(٢) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٤١ الرواية ٣١ .

(٣) الاسراء/ ٨٣ .

(٤) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٤٦ الرواية ٥٦ .

في رحاب الاحاديث

تأثير حق النعمة

قال أمير المؤمنين -عليه السلام-: (اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر، وقال -عليه السلام-: ان لله تبارك وتعالى في كل نعمة حقاً، فمن أدّاه زاده منها، ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته)(١).

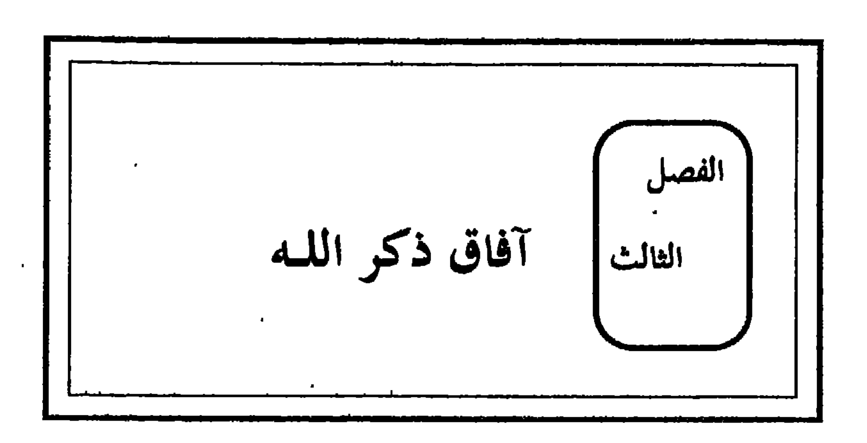
اسباغ النعم مرهون بالشكر

وعن الباقر -عليه السلام- انه قال: (لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العباد)(٢).

---

(١) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٥٣ الرواية ٨٥.

(٢) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٥٦ الرواية ٨٦.



الايمان حقيقة في النفس، تتجلى عبر قيم شتى ابرزها: التسليم لله سبحانه وتعالى والصلة به، وذلك عبر السجود لله، وذكره، والطمأنينة بالذكر، والتوكل عليه، والاستجابة له، ودعوة الله وخشية الله.

١ ـ تسبيح الله:

١ ـ التسبيح من ابرز صفات المؤمنين، فما من حدث او تحول حالة إلا وتذكرهم بربهم وبأسماءه الحسنى، وابرزها السبوح حيث يقدسونه من كل نقص او عجز، وبالذات عند الغدو والأصيل.

وقال الله تعالى: «يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله»(١).

٢ ـ وقال الله تعالى: «لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً»(٢).

٣ ـ وتسبيح الله روح ذكر الله، وجوهر الصلاة له والتبتل اليه. وهو ابرز علامات الايمان حيث يقول الله تعالى: «انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجّداً وسبحوا

---

(١) النور/ ٣٦ - ٣٧.

(٢) الفتح/ ٩.

بحمد ربهم»[١].

وعندما يعمر قلب المؤمن بجزمة باهرة من نور المعرفة، تخشع لله جوارحه، فاذا به يخر ساجداً لربه مسبحاً بحمده.

٤ ـــ والتسبيح من صفات الملائكة، حيث يقول ربنا سبحانه: «وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم»[٢].

٥ ـــ واذا كانت الملائكة تسبح بحمد الله فلماذا يتوانى البشر عن ذلك ؟

وقال الله تعالى: «والملائكة يسبحون بحمد ربهم»[٣].

٦ ـــ وتسبيح الملائكة لربهم دليل على انهم عباد مكرمون، وانهم ليسوا انصاف آلهة وان الذين يرجون شفاعتهم من دون الله في ضلال بعيد.

قال الله تعالى: «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم»[٤].

وكم هي صفة فضيلة رفيعة ان نسبح الله مع ملائكته المكرمين، فيرتفع ذكرنا مع ذكرهم.

٧ ـــ ومن الناس من يظن ان في الملائكة جزء من الالوهية سبحانه، وحتى بعض المسلمين تأثروا بهذه الفكرة التي شاعت بين الفلاسفة الاغريق، واستفاد من بعض النصوص المتشابهة دعماً لرأيه، وقد تصدى ائمة الهدى ـعليهم السلام ـ لدحضها والحديث التالي نموذج لهذا التصدي[٥]:

فقد روى أحمد بن ادريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى قال: سألني ابو قرة، المحدث، ان أدخله على أبي الحسن الرضا ـعليه السلام ـ فأستأذنته فأذن لي، فدخل فسأله عن الحلال والحرام ثم قال له: افتقر ان الله محمول ؟ فقال ابو الحسن ـعليه السلام ـ: كل محمول مفعول به، مضاف الى غيره، محتاج، والمحمول اسم نقص في

(١) السجدة/ ١٥.

(٢) الزمر/ ٧٥.

(٣) الشورى/ ٥.

(٤) غافر/ ٧.

(٥) يبدو ان أبا قرة هذا كان من الذين يأخذون بظاهر الأخبار ولا يعترفون بدرايتها.

اللفظ والحامل فاعل وهو في اللفظ مدحة وكذلك قول القائل: فوق وتحت واعلا وأسفل وقد قال الله: «وله الأسماء الحسنى فأدعوه بها» ولم يقل في كتبه: انه المحمول بل قال: انه الحامل في البر والبحر والممسك السماوات والارض ان تزولا والمحمول ما سوى الله ولم يسمع أحد، آمن بالله وعظمته قط، قال في دعائه: يا محمول، قال ابو قرة، فأنه قال: «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» وقال: «الذين يحملون العرش» فقال ابو الحسن ـ عليه السلام ـ: العرش ليس هو الله، والعرش اسم علم وقدرة، وعرش فيه كل شيء، ثم اضاف الحمل الى غيره: خلق من خلقه، لانه استعبد خلقه بحمل عرشه، وهم حملة علمه وخلقاً يسبحون حول عرشه، وهم يعملون بعلمه، وملائكة يكتبون اعمال عباده؟ واستعبد أهل الارض بالطواف حول بيته، والله على العرش استوى كما قال، والعرش ومن يحمله ومن حول العرش، والله الحامل لهم والحافظ لهم، الممسك القائم على كل نفس، وفوق كل شيء، وعلى كل شيء، ولا يقال: محمول ولا أسفل، قولاً مفرداً لا يوصل بشيء فيفسد اللفظ والمعنى، قال ابو قرة، فتكذب الرواية التي جاءت: ان الله اذا غضب انما يعرف غضبه ان الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم، فيخرون سجّداً، فاذا ذهب الغضب خف ورجعوا الى مواقفهم؟ فقال ابو الحسن ـ عليه السلام ـ: أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن ابليس الى يومك هذا هو غضبان عليه، فتى رضي؟ وهو في صفتك لم يزل غضبان عليه وعلى واوليائه وعلى اتباعه، كيف تجترىء ان تصف ربك بالتغيير من حال الى حال، وانه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟! سبحانه وتعالى، لم يزل مع الزائلين، ولم يتغير مع المتغيرين، ولم يتبدل مع المتبدلين، ومن دونه، في يده وتدبيره، وكلهم اليه محتاج، وهو غني عمن سواه[1].

٨ ـ وقال الله تعالى: «يسبحون الليل والنهار لا يفترون»[2].

٩ ـ وكل نعمة يسألها المؤمن من عند الله ينبغي ان تدعوه الى تسبيح الله وذكره (وليس الى البطر والطغيان).

---

(١) بحار الانوار ج ٥٥/ ص ١٤ الرواية ٩.

(٢) الانبياء/ ٢٠.

حيث قال الله تعالى على لسان النبي موسى -عليه السلام- :
«وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً»[1].

١٠ ــ وعند الشدائد يستمد المؤمن العزم والقوة بذكر الله، قال ربنا سبحانه :
«ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين»[2].

١١ ــ وعند النصر، ومواجهة اغراءاته ينبغي تسبيح الله واستغفاره لكي يطهر القلب مما قد يعلق به من الكبر والطغيان، والغرور والغفلة عن النواقص والذنوب، قال الله تعالى :

«إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توّاباً»[3].

١٢ ــ وكذلك يسبح المؤمن تسبيحاً عند مواجهة طغيان الكفار، وافكارهم الباطلة.

قال الله تعالى : «واصبر لحكم ربك، فانك بأعيننا، وسبح بحمد ربك حين تقوم»[4].

١٣ ــ وقال تعالى : «فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك، قبل طلوع الشمس وقبل الغروب»[5].

وهكذا الصبر على الشدائد وعند طغيان الكفار، كما الصبر عن الشهوات والاهواء، كل ذلك بحاجة الى تسبيح الله.

١٤ ــ قال الله تعالى : «فاصبر ان وعد الله حق، واستغفر لذنبك، وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار»[6].

---

(١) طه/ ٣٢ - ٣٣.

(٢) الحجر/ ٩٧ - ٩٨.

(٣) النصر/ ١ - ٣.

(٤) الطور/ ٤٨.

(٥) ق/ ٣٩.

(٦) غافر/ ٥٥.

١٥ ـــ وعند مواجهة اعداء الدين، حيث يتسلح الرسول والذين آمنوا معه بالتوكل على الله، يأتي التسبيح روحاً وعزماً وسكينة لهم.

قال الله تعالى: «وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده»[١].

١٦ ـــ وبين تبليغ الرسالة، ونزول النصر، مسافة زمنية يطويها المؤمنون بالصبر والذكر، لكي لا يهنوا ولا يحزنوا حتى يفتح الله فتحاً مبيناً، يقول ربنا سبحانه:

«فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى»[٢].

ونستلهم من هذه الآية ان هذه الصفات تورث الرضا.

ويبدو ان التسبيح المأمور به في الليل واطراف النهار او بالعشي والابكار هو التسبيح أثناء الصلاة او عند أوقاتها، وقد جاء في الحديث المأثور أهمية التسبيح في الصلاة:

ألف ـــ فقد روي عن محمد بن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبدالله ـعليه السلام ـ: لأي شيء صار التسبيح في الأخيرتين أفضل من القراءة؟ قال: (لانه لما كان في الأخيرتين ذكر ما يظهر من عظمة الله عزوجل فدهش، وقال: «سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر» فلذلك العلة صار التسبيح افضل من القراءة).

ومنه: عن عبد الواحد بن عبدوس، عن علي بن محمد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان فيما رواه من العلل عن الرضا ـعليه السلام ـ قال: فان قال: فلم جعل القراءة في الركعتين الاوليتين والتسبيح في الاخيرتين؟ قيل: للفرق بين ما فرضه الله عزوجل من عنده، وبين ما فرضه من عند رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ[٣].

باء ـــ وجاء في حديث آخر، ان التسبيح هو جوهر الصلاة، مما يهدينا الى ان الأمر بالتسبيح في الآيات القرآنية هو الامر بالصلاة.

---

(١) الفرقان/ ٥٨.

(٢) طه/ ١٣٠.

(٣) بحار الانوار ج٨٢/ ص ٨٧-٨٨ الرواية ٤.

فقد روى ابن شهر آشوب : عن أبي حازم في خبر قال رجل لزين العابدين ـ عليه السلام ـ : تعرف الصلاة ؟ فحملت عليه فقال ـ عليه السلام ـ : مهلاً يا ابا حازم فان العلماء هم الحلماء الرحماء ، ثم واجه السائل فقال : نعم أعرفها فسأله عن أفعالها وتروكها وفرائضها ونوافلها حتى بلغ قوله : ما افتتاحها ؟ قال : التكبير، قال : ما برهانها ؟ قال : القراءة ، قال ما خشوعها ؟ قال : النظر الى موضع السجود ، قال : ما تحريمها ؟ قال التكبير، قال : ما تحليلها ؟ قال التسليم : قال : ما جوهرها ؟ قال : التسبيح ، قال : ما شعارها ؟ قال التعقيب ، قال : ما تمامها ؟ قال : الصلاة على محمد وآل محمد ، قال : ما سبب قبولها ؟ قال : ولايتنا والبراءة من اعدائنا ، فقال : ما تركت لاحد حجة ، ثم نهض يقول : «الله اعلم حيث يجعل رسالته» وتوارى(١) .

٢ ـ الاستغفار والانابة الى الله :

١ ـ تحية المؤمن عند عودته الى ربه الاستغفار، اليس الذنب يحجبه عن ربه ، أوليس المؤمن يريد رفع الحجاب ؟ ثم يتوب المؤمن الى الله ويدخل رحاب رحمته .

قال الله تعالى : «واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود»(٢) .

والاستغفار، يهيء المؤمن للاستقامة ، لانه يطهر قلبه من آثار الذنوب ، ومن الميل النفسي اليها ، وهكذا يأمر الله به عند فرض الاستقامة عليه ويقول سبحانه : «فاستقيموا اليه واستغفروه»(٣) .

وهكذا روي عن الصالحين ـ عليهم السلام ـ قولهم :

(الذكر مقسوم على سبعة اعضاء : اللسان ، والروح ، والنفس ، والعقل ، والمعرفة ، والسر ، والقلب ، وكل واحد منها يحتاج الى الاستقامة ، فاستقامة اللسان صدق الاقرار، واستقامة الروح صدق الاستغفار، واستقامة القلب صدق الاعتذار، واستقامة العقل صدق الاعتبار، واستقامة المعرفة صدق الافتخار، واستقامة السر السرور بعالم الاسرار،

---

(١) بحار الانوار ج ٨١/ ص ٢٤٤ الرواية ٣٥.

(٢) هود/ ٩٠ .

(٣) فصلت/ ٦ .

فذكر اللسان الحمد والثناء، وذكر النفس الجهد والعناء، وذكر الروح الخوف والرجاء، وذكر القلب الصدق والصفاء، وذكر العقل التعظيم والحياء، وذكر المعرفة التسليم والرضا، وذكر السر على رؤية اللقاء، حدثنا بذلك أبو محمد عبدالله بن حامد رفعه الى بعض الصالحين عليهم السلام)[1].

٢ ــ والذنوب تمنع نزول الرحمة الالهية، والاستغفار يستمطرها، فقال ربنا سبحانه: «لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون»[2].

٣ ــ والايمان بالله ـعندما ينزل الهدى منه ـ يستقبل بالاستغفار لان القلب المحاط بالذنوب وآثارها كيف يعتمر بنور المعرفة والايمان.

قال الله تعالى: «وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين»[3].

٤ ــ وافضل اناء الاستغفار عند السحر حين تهدأ عواصف الشهوات والوساوس، وحيث يختلي القلب مع فطرته هنالك يندم على خطاياه، وهكذا ترى المؤمنين يختارون هذا الوقت بالذات لتبتلهم.

قال الله تعالى في وصفهم: «وبالاسحار هم يستغفرون»[4].

وهكذا أخر يعقوب ـعليه السلام ـ الاستغفار لابناءه الى السحر، كما جاء في حديث علي بن ابراهيم قال: ثم رحل يعقوب وأهله من البادية بعد ما رجع اليه بنوه بالقميص فألقوه على وجهه فارتد بصيراً، فقال لهم: ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون؟ قالوا له: يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين، فقال لهم: سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم، قال: أخرهم الى السحر لان الدعاء والاستغفار مستجاب فيه[5].

---

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ١٥٣ـ١٥٤ الرواية ١٤.

(٢) النمل/ ٤٦.

(٣) الكهف/ ٥٥.

(٤) الذاريات/ ١٨.

(٥) بحار الانوار ج١٢/ ص ٢٥٠ الرواية ١٦.

٥ ــ وكلما ارتفعت درجات المؤمن كلما نظر الى انوار قدس ربه وعرف تقصيره في مقامه، ومن هنا يصف ربنا نبيه الكريم ابراهيم -عليه السلام- بالانابة الدائمة، حيث يقول سبحانه: «ان ابراهيم لحليم أوّاه منيب»[1].

٦ ــ وعند الشدائد تكثر الانابة الى الله، يقول الله على لسان النبي شعيب: «عليه توكلت واليه أنيب»[2].

٣ ــ تكبير الله:

ومن القيم الاساسية في حياة الانسان، تكبير الله، وتعظيمه وذكره، فعندما يعظم شيء في عين المؤمن، يكبر الله ليعلم: ان خالق ذلك الشيء أكبر، فلا يشغله عن ذكر الله.

١ ــ فاذا ملك المؤمن شيئاً سخره الله، يكبر الله لكي لا يطغيه ما يملك، يقول ربنا:

«كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم»[3].

٢ ــ والله أكبر من وصف الواصفين، وحمد الحامدين، وهكذا يأتي ذكر الله بالتكبير بعد سائر الاذكار، لانه انى حمدنا ربنا وسبحناه، فهو أكبر وأعلى.

قال الله تعالى:

«وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، وكبره تكبيراً»[4].

٣ ــ وعند انذار عبدة الاوثان، والسادرين في تعظيم الطغاة، الغافلين عن رب العالمين، هنالك يعلو صوت المنذر بالتكبير.

---

(١) هود/ ٧٥.

(٢) هود/ ٨٨.

(٣) الحج/ ٣٧.

(٤) الاسراء/ ١١١.

قال الله تعالى: «يآ أيها المدثر قم فأنذر، وربك فكبر»[1].

٤ ـــ الحمد لله:

١ ـــ الحمد كل الحمد لله: لانه رب العالمين، ولانه الرحمن الرحيم، ولانه مالك يوم الدين، فهو الخالق المدبر، وهو الرازق المقدر، واليه المصير.

قال الله تعالى: «الحمد لله رب العالمين»[2].

٢ ـــ وعند ذكر نعم الله يحمد المؤمنون ربهم الرحمن، لكي لا يغرهم الشيطان بأن ما يملكون هو لهم.. وان النعم لصيقة بحياتهم.

قال الله تعالى: «وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين»[3].

٣ ـــ وقال الله تعالى: «فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين»[4].

٤ ـــ وعند تعظيم شخص وبيان فضائله، ونعم الله عليه، يجدر ذكر الحمد، لان الله هو الذي انعم عليه فالحمد لله، اما عباده المصطفين فلهم السلام.

قال الله تعالى: «قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى»[5].

وحتى عند التسبيح فعلينا ان نحمد الله سبحانه ونقول: «سبحان ربي العظيم وبحمده» لان تسبيحنا لله لا يكون إلا بنعمه التي تقتضي حمداً.

٥ ـــ التهجد بالليل:

عندما تسكت الاصوات، وتنام العيون، ينبعث المؤمن من فراشه الدافىء ليناجي ربه، يبث اليه شكاويه، ويستغفر اليه من ذنوبه، ويستجلي بصيرته، ويزداد من نور ربه، الذي ينظر به، ومن التقوى والعرفان واليقين.

---

(١) المدثر/ ١ - ٣.

(٢) الفاتحة/ ٢.

(٣) النمل/ ١٥.

(٤) المؤمنون/ ٢٨.

(٥) النمل/ ٥٩.

١ ــ وهكذا يصبح التهجد بالليل زاد المؤمن في رحلته الصعبة في الدنيا ، ووقود صعوده في مدراج الكمال .

قال الله تعالى :

«ومن الليل فتهجد به نافلةً لك عسى ان يبعثك ربّك مقاماً محموداً»[1] .

(قالوا : المتهجد يعني : الذي يلقي الهجود اي النوم عن نفسه) .

٢ ــ وقال الله تعالى : «ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى»[2].

٣ ــ وعندما حمل ربنا تعالى رسالته الكبرى قلب النبي ـصلى الله عليه وآله ـ فرض عليه القيام بالليل وقال سبحانه :

«يآ أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً ، او زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ، انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ، ان ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً»[3].

واقتدى بالرسول وأهل بيته ـصلى الله عليه وعليهم ـ الصفوة الصالحة من عباد الله المخلصين ، حيث كان التهجد بالليل ابرز صفاتهم ، بل اصل كل صفات الخير فيهم .

ألف ــ قد جاء في حديث مأثور عن كتاب زيد الزراد ، عن الامام الصادق ـعليه السلام ـ قال : قلت لابي عبدالله ـعليه السلام ـ : نخشى ان لا نكون مؤمنين ، قال : (ولم ذاك ؟) فقلت : وذلك أنا لا نجد فينا من يكون أخوه عنده آثر من درهمه وديناره ، ونجد الدينار والدرهم آثر عندنا من أخ قد جمع بيننا وبينه موالاة أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ قال : (كلا إنكم مؤمنون ، ولكن لا تكملون إيمانكم حتى يخرج قائمنا ، فعندها يجمع الله أحلامكم ، فتكونون مؤمنين كاملين ولو لم يكن في الارض مؤمنون كاملون اذاً لرفعنا الله اليه وانكرتم الارض وانكرتم السماء .

بلى ـوالذي نفسي بيده ـ ان في الارض في اطرافها ، مؤمنين ما قدر الدنيا كلها عندهم تعدل جناح بعوضة ، ولو ان الدنيا بجميع ما فيها وعليها ، ذهبة حمراء على عنق

---

(١) الاسراء/ ٧٩ .

(٢) طه/ ١٣٠ .

(٣) المزمل/ ١ ـ ٦ .

احدهم، ثم سقط عن عنقه ما شعر بها أي شيء كان على عنقه، ولا أي شيء سقط منها لهوانها عليهم، فهم الخفي عيشهم، المنتقلة ديارهم، من أرض إلى أرض، الخميصة بطونهم من الصيام، الذابلة شفاههم من التسبيح، العمش العيون من البكاء، الصفر الوجوه من السهر، فذلك سيماهم مثلاً ضربه الله في الانجيل لهم، وفي التوراة والفرقان والزبور والصحف الأولى.

وصفهم فقال: **«سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل»**[1] عنى بذلك صفرة وجوههم من سهر الليل، هم البررة بالاخوان في حال العسر واليسر، المؤثرون على أنفسهم في حال العسر، كذلك وصفهم الله فقال: **«ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»**[2] فازوا والله وأفلحوا.

إن رأوا مؤمناً أكرموه، وإن رأوا منافقاً هجروه، إذا جنهم الليل اتخذوا أرض الله فراشاً، والتراب وساداً، واستقبلوا بجباههم الأرض يتضرعون إلى ربهم في فكاك رقابهم من النار، فاذا أصبحوا اختلطوا بالناس لا يشار إليهم بالأصابع، تنكبوا الطرق، واتخذوا الماء طيباً وطهوراً، انفسهم متعوبة، وأبدانهم مكدودة، والناس منهم في راحة «الى آخر الخبر»)[3].

باء ــ وجاء في حديث آخر مأثور عن تفسير علي بن ابراهيم: (**«واقم الصلاة طرفي النهار»** الغداة والمغرب **«وزلفاً من الليل»** العشاء الآخرة **«ان الحسنات يذهبن السيئات»** قال: صلاة المؤمنين بالليل تذهب بما عملوا بالنهار من السيئات والذنوب)[4].

جيم ــ وفي حديث آخر: (سبب النور في يوم القيامة الصلاة في جوف الليل)[5].

دال ــ وروي عن الامام الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه -عليهما السلام- أن

---

(١) الفتح/ ٢٩.

(٢) الحشر/ ٩.

(٣) بحار الانوار ج٦٤/ ص ٣٥١.

(٤) بحار الانوار ج٨٤/ ص ١٤٠ الرواية ٨.

(٥) بحار الانوار ج٧٩/ ص ٣٤٠ الرواية ١٦.

رجلاً سأل علي بن أبي طالب -عليه السلام- عن قيام الليل بالقرآن فقال -وساق الحديث إلى أن قال-: (ومن صلى ليلة تامة تالياً لكتاب الله راكعاً وساجداً وذاكراً -وساقه إلى أن قال-: يقول الرب تبارك وتعالى لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أحيا ليله ابتغاء مرضاتي أسكنوه الفردوس، وله فيها مائة ألف مدينة، في كل مدينة جميع ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وما لا يخطر على بال، سوى ما أعددت له من الكرامة والمزيد والقربة)[1].

٦ ـ الاخبات الى الله:

١ ـ قال تعالى: «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم، أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون»[2].

ونستوحي من الآية ان الاخبات درجة تأتي بعد درجة الايمان والعمل الصالح، ولعله نتيجة لهما.

٢ ـ وقال تعالى: «فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين»[3].

ويبدو ان الاخبات مستوى اسمى من مستوى التسليم لله الواحد، أو هو روح التسليم لله.

٣ ـ والآية التالية ابلغ دلالة على هذه الحقيقة حيث يقول ربنا سبحانه:

«وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم»[4].

فهنا درجتا العلم والايمان تسبقان درجة اخبات القلب، ونستوحي من سياق آيتي الاخبات في «سورة الحج» بصيرتين.

الاولى: ان الاخبات يتم بعد طهارة القلب من زيغ الفتنة حيث يتعرض المؤمنون للأمنيات (والأفكار المنحرفة) التي يلقيها الشياطين، ولكنهم يثبتون على عقائدهم،

---

(١) بحار الانوار ج٨/ ص١٨٦ الرواية ١٥١.

(٢) هود/ ٢٣.

(٣) الحج/ ٣٤.

(٤) الحج/ ٥٤.

فيبلغون درجات العلم والايمان والإخبات ، راجع الآيات (الحج/٥٢ــ٥٣) .

الثانية : ان علامة بلوغ درجة الاخبات هي : وجل القلب عند ذكر الله ، والصبر عند المصيبة واقامة الصلاة والانفاق .

٤ ــ قال الله تعالى في صفة المخبتين :

«الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون»[١] .

ألف ــ ونستفيد من حديث مأثور : ان علامة الاخبات هو التسليم للحق الذي يبينه الكتاب والسنة ، فقد روي عن أبي عبدالله ـعليه السلام ـ قال : قلت له : ان عندنا رجلاً يسمى كليباً[٢] فلا نتحدث عنكم شيئاً الا قال : أنا أسلم ، فسميناه كليب التسليم ، قال : فترحم عليه ثم قال : (اتدرون ما التسليم ؟) فسكتنا ، فقال : (هو والله الإخبات ، قول الله : «الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم»)[٣] .

باء ــ والإخبات درجة لا يبلغها الانسان الا بحول الله وقوته وتوفيقه ، ولذلك نتلو في الدعاء المأثور عن الامام علي بن الحسين زين العابدين ـعليه السلام ـ انه يدعو ربه لكي يبلغه درجة الإخبات ، جاء في فقرات من الدعاء :

(... فيامن أكرمني بتوحيده ، وعصمني عن الضلال بتسديده ، وألزمني إقامة حدوده ، لا تسلبني ما وهبت لي من تحقيق معرفتك ، وأحيني بيقين أسلم به من الالحاد في صفتك ، الى ان يقول : رب سهل لي توبة اليك وأعني عليها ، واحملني على محجة الإخبات لك ، وأرشدني اليها فان الحول والقوة بمعونتك ، والثبات والانتقال بقدرتك ، يا من هو أرحم لي من الوالد الشفيق ، وأبر بي من الولد الرفيق ، وأقرب إلي من الجار

---

(١) الحج/ ٣٥.

(٢) بضم الكاف وفتح اللام وسكون الياء هو كليب بن معاوية بن جبلة الاسدي الصيداوي أبو محمد وقيل : أبو الحسين ، روى عن أبي جعفر وأبي عبدالله ـعليهما السلام ـ ، وأبنه محمد بن كليب روى عن أبي عبدالله ـعليه السلام ـ ، له كتاب رواه جماعة منهم عبد الرحمن بن أبي هاشم ، قاله النجاشي في ص٢٢٣ ، وروى الكشي فيه روايات تدل على مدحه .

(٣) بحار الانوار ج ٢/ ص ٢٠٣ الرواية ٨٠ .

اللصيق)[1] .

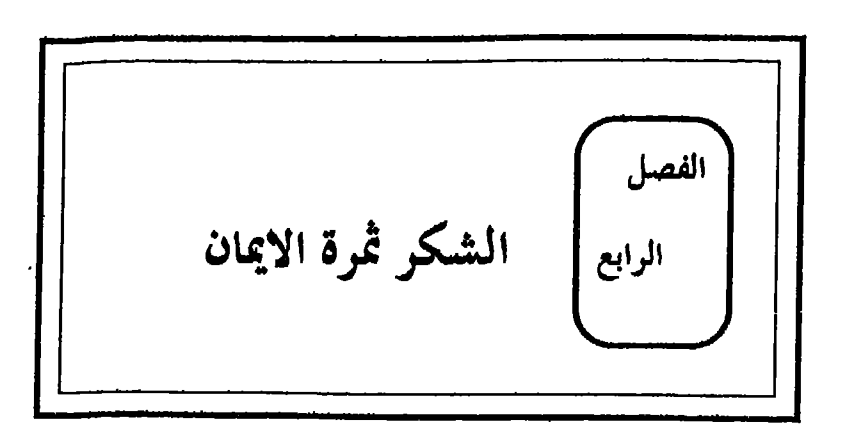
جيم ـ وفي حديث مأثور عن الامام الصادق ـعليه السلام ـ إن من علامات الإخبات الصبر فقد قال ـعليه السلام ـ:

(الصبر يظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء، والجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة، والصبر يدعيه كل احد، ولا يثبت عنده الا المخبتون، والجزع ينكره كل احد وهو أبين على المنافقين، لان نزول المحنة والمصيبة يخبر عن الصادق والكاذب)[2] .

---

(١) بحار الانوار ج٩١/ ص١٦١ الرواية ٢٢ .

(٢) بحار الانوار ج٦٨/ ص٩٠ الرواية ٤٤ .



اذا كان الايمان شجرة باسقة فان من اطيب ثمارها نكهة -الشكر- الذي يجعل النفس في بحبوحة الرضا ، وفي سكينة الامل ، وفي حالة ازدياد لا يتوقف .

يتميز المؤمن بوعي ذاته ، ومدى فقره وعجزه ، وان ما به من قوة وعلم ، وعزم وما عليه من نعم لا تحصى ، كل تلك عطاء الهي ، وهكذا ينقدح في وعيه شرارة الشكر من معرفة نفسه بالنقص والعجز ، ووعي آفاق النعم التي تحيط بها حتى يقول الامام زين العابدين -عليه السلام- : (الهي اذهلني عن شكرك تواتر نعمك) .

وعن أبي عبدالله -عليه السلام- انه قال : (اوحىٰ الله عزوجل الى موسى -عليه السلام- يا موسى اشكرني حق شكري فقال : يا رب فكيف اشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك به الا وأنت أنعمت به علي؟ قال : يا موسى الآن شكرتني حيث علمت ان ذلك مني)[1] .

١ ـــ ومن هنا جاء الشكر في القرآن قريناً للذكر فقال الله تعالى :

«فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون»[2] .

٢ ـــ وجاء قريناً للعبادة فقال الله تعالى :

«فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له»[3] .

---

(١) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٣٦ الرواية ٢٢ .

(٢) البقرة/ ١٥٢ .

(٣) العنكبوت/ ١٧ .

٣ ــ وقال الله تعالى : «بل الله فاعبد وكن من الشاكرين»[١] .

والشكر اعتراف بالنقص الذاتي واقرار بالنعمة وفضل الله الذي اسبغها ورضا نفسي بها ، وهو ـ بذلك ـ تكامل في النفس وغذاء للروح ، ومن هنا فهو غاية سامية للنعم الالهية ، فليس الهدف من النعم مجرد اشباع حاجة الانسان المادية ، بل ارضاء روحه وإفاضة نسيم الرضا والسكينة عليها .

وكلمة الخلاصة ؛ الشكر يحتوي على عدة معاني سامية .

الف ــ التحسس بالنعمة نفسياً وارتواء الروح واغتناء النفس بها .

باء ــ الرضا والسكينة والارتياح بالنعمة .

جيم ــ ذكر الله المنعم والتوجه اليه للمزيد ، ومن ذلك العمل بأداء حقها .

دال ــ حسن الانتفاع بالنعمة ومن ذلك التقيد بآداب الانتفاع بها لكي تبقى مستمرة .

٤ ــ والآية التالية توحي الينا ببعض حقائق الشكر حيث يقول ربنا سبحانه :

«اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور»[٢] .

١ ــ الشكر وذكر النعم :

١ ــ وكذلك يتقارن الشكر والذكر ، فاذا ذكر المؤمن النعمة ، وانه كان يفقدها فاسبغها الله عليه ، ارتوى فؤاده بها ، فشكر الله عليها . فعلى المؤمن ان يتذكر ماضيه ويتحسس بالفرق الذي بينه وبين حاضره .

قال الله تعالى : «واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وايّدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون»[٣] .

٢ ــ ومن نعم الله ، كتاب الله المجيد الذي فيه احكام دينه ، ومنها احكام الطهارة

---

(١) الزمر/ ٦٦ .

(٢) السبأ/ ١٣ .

(٣) الانفال/ ٢٦ .

التي الهدف منها اثارة روح الشكر عنده.

قال الله تعالى: «ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون»[1].

٣ ــ ومن هنا كان بيان احكام الشريعة السهلة السمحاء، بهدف بعث المؤمنين نحو الشكر.

قال الله تعالى: «كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون»[2].

٤ ــ ومن النعم المعنوية الى النعم الحياتية كلها، توفر للانسان فرصة الشكر لله، والشكر ـبدوره ـ ليس يزيد النعم فقط، وانما يضاعف للانسان الاجر عند الله ايضاً.

قال الله تعالى: «وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون»[3].

٥ ــ ترى كيف جاء الشكر قيمة نهائية لسلسلة من النعم الالهية، فنعمة البحر ونعمة اللحم الطري من البحر، ونعمة الحلية التي يلبسها الانسان، ونعمة السفن التي تمخر في البحار، ونعمة التجارة التي في هذه السفن، كل هذه النعم تهدف الى ايجاد حالة الشكر في الانسان، فالنعم المادية هي وسيلة للتكامل الروحي والمعنوي في الانسان.

٦ ــ وعندما دعا النبي ابراهيم ـعليه السلام ـ ربه باسباغ النعم على ذريته حول البيت الحرام، بين الهدف الاسمى لها، قال الله سبحانه:

«وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون»[4].

٧ ــ وشكر الله قد يكون على النعم وقد يكون على قدرات الانسان نفسه (في الانتفاع بالنعم)، قال الله تعالى:

«ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون»[5].

---

(١) المائدة/ ٦.

(٢) المائدة/ ٨٩.

(٣) النحل/ ١٤.

(٤) ابراهيم/ ٣٧.

(٥) يس/ ٣٥.

فالثمرة مدعاة للشكر كما قدرة الانسان على الصنع، تدعوه الى الشكر، اليس الله هو الذي اعطانا هذه القدرة؟

٨ ــ والانعام التي سخرها الله لنا تقتضي شكرنا لله الذي يقول:

«ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون»[1].

٩ ــ ومن النعم يعرج فؤاد المؤمن الى معرفة اسماء ربه، تدبروا في كلام الله سبحانه:

«كلوا من رزق ربكم، واشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور»[2].

الا ترون كيف ينتقل القلب الواعي من رزق الله الى اسم الله (الغفور).

١٠ ــ وقال الله سبحانه: «يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله»[3].

١١ ــ وقدرات البشر المتنوعة وتقدمه العلمي في مختلف الحقول، تدعوه الى شكر الله، حيث يقول ربنا سبحانه:

«وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم، فهل انتم شاكرون»[4].

١٢ ــ لقد امات الله فريقاً من بني اسرائيل كان النبي موسى اختارهم لكي يرافقوه في المناجاة مع ربه، ثم بعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون الله، (ونستلهم من ذلك ان الشكر كان هو الهدف من حياتهم من جديد).

قال الله تعالى: «ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون»[5].

١٣ ــ ونعم الله التي لا تحصى وبالذات نعمة السمع والابصار والافئدة انها تدعو البشر الى شكره لله سبحانه.

---

(١) يس/ ٧٣.

(٢) سبأ/ ١٥.

(٣) البقرة/ ١٧٢.

(٤) الأنبياء/ ٨٠.

(٥) البقرة/ ٥٦.

قال الله تعالى : «وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون»[1].

١٤ ــ وقد ذكر القرآن الكريم بنعم البدن، ثم قال الله سبحانه :

«كذلك سخرها لكم لعلكم تشكرون»[2].

١٥ ــ وهكذا جعل الله الليل والنهار من اجل راحة الانسان (ليلاً)، ومعاشه (نهاراً) والهدف الاسمى هو الشكر.

قال الله تعالى : «ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون»[3].

١٦ ــ كذلك الفلك في البحر سخرها الله لمصلحة الانسان، وتوفير معاشه، وفي النهاية من اجل ان يبلغ ذروة النعمة، بالشكر.

قال الله تعالى : «ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون»[4].

١٧ ــ وحين تمخر الفلك عباب البحر وتقهر امواجه الهائجة بإذن الله، اولا يفكر الانسان ان الله اعطاه هذه القدرة، التي سخر بها الطبيعة لمصلحته، افلا يشكر ربه ؟

قال الله تعالى : «وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون»[5].

١٨ ــ ولو اسكن الله الريح، لبقيت الفلك الشراعية راكدة، ولو بعث الاعاصير والعواصف الموج عليها، لقلبتها ولكن الله هيأ كل ذلك بأمره، افلا يشكرون ربهم ؟

قال الله تعالى : «لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون»[6].

١٩ ــ ولو تدبر الانسان في نظام الخلقة لقاده فكره الى الشكر، الا يرى هذا الغيث يهبط من السماء بالماء العذب، اولا يدري انه لو شاء الله لجعله اجاجاً (مالحاً) افلا يشكر ربه ؟

---

(١) النحل/ ٧٨.

(٢) الحج/ ٣٦.

(٣) القصص/ ٧٣.

(٤) الروم/ ٤٦.

(٥) فاطر/ ١٢.

(٦) الجاثية/ ١٢.

قال الله تعالى : «لو نشاء جعلناه اجاجاً فلولا تشكرون»[١].

ونقرأ فيما يروى عن الائمة المعصومين -عليهم السلام-، عن أبي عبدالله -عليه السلام- قال : (قال رجل لأمير المؤمنين -عليه السلام-: بماذا شكرت نعماء ربك ؟ قال : نظرت الى بلاء قد صرفه عني وأبلا به غيري ، فعلمت انه قد انعم علي فشكرته)[٢].

٢ ـ ما لهم لا يشكرون ربهم ؟

١ ـ بالرغم من تواتر نعم الله على البشر، تراهم لا يشكرون ربهم !

قال الله تعالى : «وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون»[٣].

٢ ـ المؤمن ، حيث يفرح بفضل الله ، فانه يشكر فضله سبحانه ، بينما غير المؤمن لا يستوعب نعم الله ، ولا يعيها -وبالتالي- لا يشكر الله -تعالى- عليها ، بل لا يستفيد منها ، ولا ينتفع بها .

قال الله تعالى : «ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون»[٤].

٣ ـ الحياة بيد الله تعالى ، وعلينا ان نشكر الرب عليها ، وهكذا تتجلى معاني فضل الله (وانه واسع الرحمة عليهم) في قيمة الشكر له ، وهذه القيمة تتمثل عملياً في توحيد الله ، وفي دعوته ، قال الله سبحانه :

«الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون»[٥].

وتدبر في سياق الآية قبلها وبعدها لتجد علاقتها بالتوحيد وبالدعاء .

٤ ـ التوحيد ، شرف عظيم ، علينا ان نشكر الله عليه باخلاص العبودية له ،

---

(١) الواقعة/ ٧٠.

(٢) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٤٣ الرواية ٤٢ .

(٣) يونس/ ٦٠ .

(٤) البقرة/ ٢٤٣ .

(٥) غافر/ ٦١ .

وبالكفر بالطغاة والجبابرة، الذين يسعون الى استعباد البشر، ولكن أكثر الناس يشركون بالله، و يخضعون -بنسبة أو باخرى- لحكم الجبت والطاغوت، يقول الله سبحانه:

«واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب، ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء، ذلك فضل الله علينا، وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون»[1].

٥ ــ واكثر الناس لا يشكرون الله على المعايش التي جعلها لهم، فلا يحكمون بالشريعة (فيها).

«ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون»[2].

٦ ــ وهكذا عرف ابليس طبيعة الانسان، فقال لله سبحانه من أول يوم، وبعد ان غوى بتركه السجود لآدم قال -فيما قصّه علينا القرآن الكريم-:

«قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم، ولا تجد اكثرهم شاكرين»[3].

ونستفيد من الآية ان هدف ابليس من احاطته ببني آدم يمنة ويسرة ومن الخلف والامام انما هو منعه من شكر النعم.

٧ ــ وانى شكرنا الله، فلا ريب أنا مقصرون في حقه، كم هي قيمة حاسة السمع؟ وكم هي عظمة جارحة البصر، وكم هي نعمة العقل؟.

ثم تفكر هل نستطيع ان نؤدي حق واحدة من هذه النعم؟

قال الله تعالى: «وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون»[4].

٨ ــ وقال الله تعالى: «وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون»[5].

---

(١) يوسف/ ٣٨.

(٢) الاعراف/ ١٠.

(٣) الاعراف/ ١٦ - ١٧.

(٤) المؤمنون/ ٧٨.

(٥) الملك/ ٢٣ والسجدة/ ٩.

٣ ـ التقوى ميراث الشكر:

حين يعي الانسان النعم وعياً كافياً، يتحسس بواجب التسليم لله، وشكر الله سبحانه عليها.

دعنا نتدبر ـ معاً ـ في آيات من سورة البقرة، والتي نعرف منها: ان حقائق الايمان بعضها من بعض، وانها تتكامل في حياة المؤمن، قال الله تعالى:

«فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون، يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة، ان الله مع الصابرين، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات، بل احياء ولكن لا تشعرون. ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع، ونقص من الاموال والانفس والثمرات، وبشر الصابرين. الذين اذا اصابتهم مصيبة، قالوا: انا لله وانا اليه راجعون، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، واولئك هم المهتدون، ان الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بها ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم»(١).

فبعد ان يأمر القرآن باتباع القبلة الجديدة (المسجد الحرام) والتسليم لامر الله فيه لانه الحق، وبعد ان ينهى عن خشية الناس (كقيمة جاهلية) في أمر القبلة بعدئذ يذكر المسلمين بنعمة الرسالة والرسول، ويأمرهم بتذكر هذه المنة الالهية الكبرى وان يشكروا الله عليها (قلباً ولساناً وعملاً) ولا يكفروا بها (عبر الاستخفاف بها او التهاون في العمل بواجب التسليم لها).

ويبدو من هذه الآية ان قيمة الشكر لنعمة الرسالة، قيمة كبرى تنبعث منها شرائع العبادة (الصلاة، الصيام، الجهاد، الحج) والعبادات ـ بدورها ـ هي النواة المركزية للامة، وحجر الزاوية في بنائها، والصبغة العامة لشخصيتها، والقوة التنفيذية لسائر الاحكام والشرائع، وهكذا أمر السياق بها بعد الحديث عن الرسالة والرسول، مع الاشارة الى ما تقوم بها العبادات من تصليب شخصية المؤمن، وتعويده على الصبر والصمود امام نوائب الدهر.

---

(١) البقرة/ ١٥٢ ـ ١٥٨.

وفي الآية التالية، اتصلت قيمة التقوى بقيمة الشكر، فلكي نشكر ربنا، علينا ان نتمسك بالتقوى، لعلنا نؤدي جزء من واجب شكره.

قال الله تعالى: «فاتقوا الله لعلكم تشكرون»(١).

وعن أمير المؤمنين -عليه السلام- (شكر كل نعمة الورع عن محارم الله)(٢).

وهكذا التكبير والتسبيح، وذكر نعمة الهداية، اداء لواجب الشكر لله سبحانه سبحانه.

قال الله تعالى: «ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون»(٣).

واتصلت قيمة الشكر بقيمة التمسك بهدى الله، وحمل الرسالة الالهية وقال الله تعالى:

«قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين»(٤).

٤ ـ الشاكر من اسماء الله الحسنى:

افلا نتخلق باخلاق ربنا؟ انه تعالى شكور غفور، وبشكره يتقبل الحسنات، وبغفرانه يتجاوز عن السيئات.

١ ـ واسم الشكر يدعونا الى المزيد من السعي والاجتهاد، لأنه سبحانه قد تعالى كرمه عن رد افعال عباده المؤمنين، بسبب أو بآخر، او منعهم ما وعدهم من الجزاء الحسن سبحانه عن ذلك.

قال الله تعالى: «ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم»(٥).

٢ ـ وشكره سبحانه يورث السكينة في قلوب المؤمنين الشاكرين، انه اعظم كرماً

---

(١) آل عمران/ ١٢٣.

(٢) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٥٦ الرواية ٨٦.

(٣) البقرة/ ١٨٥.

(٤) الاعراف/ ١٤٤.

(٥) البقرة/ ١٥٨.

واوسع حلماً ، من ان يؤاخذهم بسيئاتهم في الدنيا بعجلة ، قال الله تعالى :

«ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً»(١).

٣ ـ انما شكر الله يعطينا الامل بالوفاء التام ، لأجور الصالحات التي يعملها المؤمنون وزيادة ، قال الله تعالى :

«ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور»(٢).

٤ ـ وتتجلى صفة الشكر والغفران عند ربنا في الجنة ، التي يدخلها المؤمنون بحفاوة ، ويحمدون ربهم قائلين :

«الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور»(٣).

٥ ـ «ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ان الله غفور شكور»(٤).

٦ ـ وفي الدنيا ايضاً تتجلى هذه الصفة ، في عطاء ربنا المضاعف ، يقول سبحانه :

«ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم»(٥).

٧ ـ وقال الله تعالى : «ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً»(٦).

٨ ـ وفي الآخرة يشكر الله قولاً وعملاً سعي المؤمنين ، وقد قال الله سبحانه :

«ان هذا كان لكم جزاءاً وكان سعيكم مشكوراً»(٧).

٥ ـ الشكر: خلق النبيين:

١ ـ والشكر خلق الانبياء ، فهذا النبي ابراهيم ، كان شاكراً لانعم الله ، فأجتباه

---

(١) النساء/ ١٤٧.

(٢) فاطر/ ٣٠.

(٣) فاطر/ ٣٤.

(٤) الشورى/ ٢٣.

(٥) التغابن/ ١٧.

(٦) الاسراء/ ١٩.

(٧) الانسان/ ٢٢.

ربنا سبحانه وقال :

«ان ابراهيم كان امة قانتاً لله حنيفاً ، ولم يك من المشركين . شاكراً لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم»[1].

ولعلنا نستفيد من هذه الآية ان الشكر يتصل بالاجتباء ، وانه سببه .

٢ ـ وكذلك كان النبي نوح ـعليه السلام ـعبداً شكوراً (كثير الشكر او دائم الشكر) .

قال الله تعالى : «ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكوراً»[2].

٣ ـ ونستوحي من الآية التالية : ان الله اختار انبياءه من بين المؤمنين ، الاكثر شكراً له ، قال الله سبحانه :

«وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ، أليس الله باعلم بالشاكرين»[3].

٤ ـ وكذلك كان خاتم النبيين محمد ـصلى الله عليه وآله ـ دائب الشكر لله ـ فعن أبي جعفر ـعليه السلام ـ قال : (كان رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ عند عائشة ليلتها ، فقالت : يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : يا عائشة الا اكون عبداً شكوراً . قال : وكان رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ يقوم على اطراف اصابع رجليه فانزل الله سبحانه «طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى»)[4].

وعن أبي عبدالله ـعليه السلام ـ قال : (ان رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ كان في سفر يسير على ناقة له اذ نزل فسجد خمس سجدات ، فلما ركب قالوا : يا رسول الله إنا رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه ؟ قال : نعم استقبلني جبرئيل فبشرني ببشارات من الله عزوجل فسجدت لله شكراً لكل بشرى سجدة)[5].

---

(١) النحل/ ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) الاسراء/ ٣ .

(٣) الانعام/ ٥٣ .

(٤) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٢٤ الرواية ٣ .

(٥) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٣٥ الرواية ١٩ .

٦ ــ فائدة الشكر:

١ ــ وفائدة الشكر تعود على الانسان نفسه، اذ يزيده به الله نعمة، وراحة نفسية ورضا.

قال الله تعالى: «ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه»(١).

٢ ــ كما ان ضد الشكر (الكفر) لا يضر غيره لان الله سبحانه غني حميد، وانما امر بالشكر لما فيه من فائدة كبرى للشاكر.

قال الله تعالى: «ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد»(٢).

وهكذا روي عن أبي عبدالله الصادق ـعليه السلامـ انه قال: (ان الله عزوجل انعم على قوم بالمواهب، فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة)(٣).

٣ ــ ومن أعظم فوائد الشكر ان الله سبحانه قد أعلن بأنه يزيد الشاكرين.

قال الله تعالى: «واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولان كفرتم ان عذابي لشديد»(٤).

وجاء في رواية ان علي بن الحسين ـعليه السلامـ أوصى بعض ولده فقال: (يا بني اشكر الله لمن انعم عليك، وانعم على من شكرك، فانه لا زوال للنعمة اذا شكرت، ولا بقاء لها اذا كفرت، والشاكر بشكره اسعد منه بالنعمة التي وجب عليه الشكر بها)، وتلا ـيعني علي بن الحسين عليه السلامـ قول الله تعالى:

«واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم» الى آخر الآية(٥).

وعن أبي عبدالله ـعليه السلامـ قال: (ما انعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه

---

(١) النمل/ ٤٠.

(٢) لقمان/ ١٢.

(٣) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٤١ الرواية ٣١.

(٤) ابراهيم/ ٧.

(٥) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٤٩ الرواية ٦٦.

وحمد الله ظاهراً بلسانه، فتم كلامه، حتى يؤمر له بالمزيد)[1].

٤ ـ والملاحظ ان المقابلة بين الشكر والكفر، انما هي بالمعنى الاخص لكلمة الكفر (اي عدم الشكر)، ذلك ان اساس الكفر هو جحود لنعم الله، فقد يجحد الانسان كل النعم ـ وبالتالي ـ يجحد الرب تماماً، فهو الكافر بالمصطلح المعروف، وقد يجحد نعمة من النعم بطريقة معينة، اما جحداً عملياً، واما جحداً نظرياً، واما جحداً قولياً، ـ على اي حال ـ فبقدر هذا الجحود يكون كافراً بتلك النعمة، كما انه، بقدر الاعتراف بالنعم، اعترافاً قلبياً، لسانياً، وعملياً، يكون مؤمناً.

قال الله تعالى: «ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى»[2].

وعن امامنا الجواد ـ عليه السلام ـ انه قال: (نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر)[3].

٧ ـ الشكر سبيل الهدى:

١ ـ كما الارض الطيبة يخرج نباتها طيباً، كذلك النفس الطيبة تنبت فيها الحكمة نباتاً حسناً، والشكر رضاً وسكينة وايجابية وثقة.. وكلها تساهم في سلامة النفس وطيبها، ـ وبالتالي ـ في تقبلها لآيات الحق، وانتفاعها ببراهين المعرفة والحكمة.

قال الله تعالى: «والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون»[4].

الآية تهدينا الى قيمتين اساسيتين: الاولى الشكر، والثانية طيب الاصل.

٢ ـ وقال الله تعالى: «ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور، وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور»[5].

---

(١) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٤٠ الرواية ٢٨.

(٢) الزمر/ ٧.

(٣) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٥٣ الرواية ٨٤.

(٤) الاعراف/ ٥٨.

(٥) ابراهيم/ ٥.

وعلاقة الصبر بالشكر هي علاقة الاشتراك في مصدرهما، وهي الروح الايجابية، والاحساس بنعم الله سبحانه على الانسان، حيث انه كلما زاد شكر الانسان زاد صبره، اوليس الشاكر يتحسس بالنعم؟ فهو يرتوي نفسياً بها وتصبح النعم المتبقية مادة تسليته عما فقد منها، فمن أصيب في ماله -مثلاً- ثم شكر الله على عافية جسده صبر على الفقر وتحداه، لان نفسه راضية مطمئنة، ولانه يسلي نفسه بنعمة العافية.

٣ ــ قال الله تعالى: «ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور»(١).

٤ ــ الصبر يرفع عن بصيرة الانسان حجاب الزمن، بينما الشكر يرفع حجب الغفلة والجهل والنسيان، وهما يشتركان في زيادة وعي الانسان للحقائق وبالذات الحقائق الكبرى مثل سنن الله في الامم الغابرة.

قال الله تعالى: «ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور»(٢).

٥ ــ وهكذا كان الشكر من أصول الحكمة حيث قال الله تعالى:

«ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد»(٣).

٦ ــ ومن الحكمة الشكر للوالدين حيث يقول ربنا في ذات السياق:

«ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين ان أشكر لي ولوالديك الي المصير»(٤).

٧ ــ الشاكر يتحسس بالنعم عميقاً، واحساسه بها يهديه الى ما ورائها من تقدير وتدبير وحكمة، فهو حين يرى حركة السفن في أعالي البحار بالرياح، يعرف تدبير الخالق لها، وانه لو يشاء يدعها ساكنة.

قال الله تعالى: «ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره، ان في ذلك لآيات

---

(١) لقمان/ ٣١.

(٢) سبأ/ ١٩.

(٣) لقمان/ ١٢.

(٤) لقمان/ ١٤.

لكل صبار شكور»[1].

٨ ــ وآيات الله واضحة للذين يريدون اداء واجب الشكر لله بالغدو والآصال، يقول الله سبحانه:

«وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر او أراد شكوراً»[2].

٩ ــ والشاكر هو الذي يهتدي الى سبيل الحق بعد ان يذكر به يقول الله عزوجل:

«انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً»[3].

٨ ــ جزاء الله للشاكرين:

١ ــ والله سبحانه ينجي الشاكرين لانعمه من البلاء الذي يصيب الكفار بجحودهم قال الله تعالى:

«الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر»[4].

٢ ــ الشاكرون لنعمة الولاية الالهية المتمثلة في شخص الرسول ـصلى الله عليه وآله ـ هم الذين تمسكوا به، وبخلفاءه من بعده، اما الآخرون، فقد انقلبوا على اعقابهم، قال الله تعالى:

«وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين»[5].

٣ ــ وجزاء الشكر مهيأ للانسان في الدنيا والآخرة حسب ما يريد.

قال الله تعالى: «ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين»[6].

---

(١) الشورى/ ٣٣.

(٢) الفرقان/ ٦٢.

(٣) الانسان/ ٣.

(٤) القمر/ ٣٤ - ٣٥.

(٥) آل عمران/ ١٤٤.

(٦) آل عمران/ ١٤٥.

وقد روي عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- في جزاء الشاكر أنه قال: (الطاعم الشاكر له من الاجر، كأجر الصائم المحتسب، والمعافي الشاكر له من الأجر كأجر المبتلى الصابر، والمعطي الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع)[1].

٩ ـ الشكر فطرة سليمة:

١ ـ عندما تنقشع عن فطرة البشر حجب الشرك، يجأر الى الله ضارعاً (كما اذا احاطت به الاخطار) وهناك يتعهد بالشكر اذا انجاه الله مما فيه، ولكنه ينكث عهده بعد ذاك.

«قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين»[2].

٢ ـ ان دعوتهم عند الاحساس بالخطر المحيط تكون خالصة لله، وهناك تتجلى فطرة الشكر لله (بعبادته وحده) يقول ربنا سبحانه:

«هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين»[3].

٣ ـ كذلك البشر عند رجاء رحمة، يدعو الله ان يرزقه اياها ويتعهد بالشكر، كمثل الابوين عند اقتراب ولادة طفلهما.

قال الله تعالى: «فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين»[4].

---

(١) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٢٢ الرواية ١.

(٢) الانعام/ ٦٣.

(٣) يونس/ ٢٢.

(٤) الاعراف/ ١٨٩.

في رحاب الأحاديث

حد الشكر

عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله -عليه السلام-: هل للشكر حد اذا فعله العبد كان شاكراً؟ قال: (نعم،) قلت: ما هو؟ قال: (يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل ومال، وان كان فيما انعم عليه من ماله حق أداه، ومنه قول الله عزوجل:

«سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين»، ومنه قوله تعالى:

«رب اني لما انزلت الي من خير فقير» ومنه قوله تعالى:

«رب انزلني منزلاً مباركاً وانت خير المنزلين» وقوله:

«رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً»[(١)] .

كيف نشكر المخلوق؟

عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر -عليه السلام- يقول: (من صنع مثل ما صنع اليه، فانما كافى، ومن اضعف كان شاكراً، ومن شكر كان كريماً، ومن علم ان ما صنع اليه انما يصنع الى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم، ولم يستزدهم في مودتهم، واعلم ان الطالب اليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك، فأكرم وجهك عن رده)[(٢)] .

احسنوا صحبة النعم

قال أمير المؤمنين -عليه السلام-: (أحسنوا صحبة النعم قبل فراقها، فإنها تزول

---

(١) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٢٩ الرواية ٧.

(٢) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٥٠ الرواية ٦٩.

وتشهد على صاحبها بما عمل فيها) [١] .

مراحل الشكر

عن محمد بن علي -عليه السلام- عن أبيه عن جده قال: قال علي -عليه السلام-: (حق على من أنعم عليه ان يحسن مكافاة المنعم، فان قصر عن ذلك وسعه، فعليه ان يحسن الثناء، فان كل عن ذلك لسانه، فعليه معرفة النعمة، ومحبة المتعم بها، فان قصر عن ذلك فليس للنعمة بأهل) [٢] .

قصة شاكر

عن معمر بن خلاد قال الرضا -عليه السلام-: (اتقوا الله وعليكم بالتواضع والشكر والحمد، انه كان في بني اسرائيل رجل فأتاه في منامه من قال له: ان لك نصف عمرك سعة، فاختر أي النصفين شئت، فقال: ان لي شريكاً فلما اصبح الرجل قال لزوجته، قد أتاني في هذه الليلة رجل فأخبرني ان نصف عمري لي سعة فاختر اي النصفين شئت؟ فقالت له زوجته: أختر النصف الأول، فقال: لك ذاك.

فأقبلت عليه الدنيا فكان كلما كانت نعمة قالت زوجته: جارك فلان محتاج فصله، وتقول: قرابتك فلان فتعطيه، وكانوا كذلك كلما جاءتهم نعمة أعطوا وتصدقوا وشكروا، فلما كان ليلة من الليالي أتاه الرجل فقال: يا هذا ان النصف قد انقضى فما رأيك؟ قال: لي شريك فلما أصبح قال لزوجته: أتاني الرجل فأعلمني ان النصف قد انقضى، فقالت له زوجته: قد انعم الله علينا فشكرنا، والله اولى بالوفاء؛ قال: فان لك تمام عمرك) [٣] .

---

(١) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٥١ الرواية ٧١.

(٢) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٥٠ الرواية ٦٧.

(٣) بحار الانوار ج٦٨/ ص ٥٤ الرواية ٨٦.

الباب الرابع

الايمان ؛ دعاء وصلاة



صفوة القول

لا يلبث التصديق والتسليم لله وللحق النازل من عنده ان يتحول الى صلة مباشرة بين العبد وربه سبحانه، عبر دعاء وصلاة، وسجود وقنوت.

فالدعاء لغة الايمان، التي بها يخاطب المؤمن ربه العزيز الرحيم، وهو مخ العبادة، وتعبير عن معرفة العبد بالله، (وبما له من اسماء حسنى) ومعرفته بذاته (وما يعانيه من مراكز الذل والعجز) وهو مفتاح الرحمة الذي لا يهلك عبد معه.

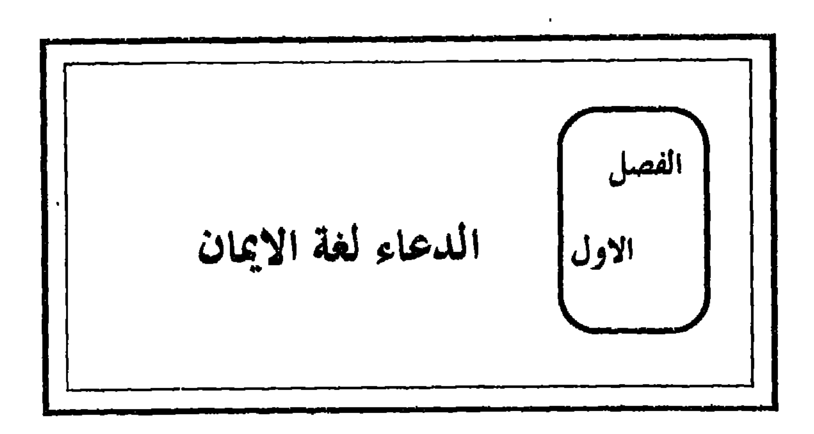
اما الصلاة فهي رمز تعبد المؤمن وشعار صدقه وعمود الدين ومحور أحكام الشريعة، ولحظة الشهادة بالحق وقبلة الحضارة الالهية، وهي علامة الايمان، وشرط الولاية الالهية، والخضوع فيها من كمال الايمان، وبها يستعين المؤمنون، ودليل الاخبات، وهي تقام في كل حال.

والسجود غاية الخضوع (وهو أحد أركان الصلاة) أوليست الخليقة ساجدة لربها طوعاً وكرهاً ؟ وهو عبادة المؤمنين، ويخر المؤمنون ساجدين اذا تليت عليهم آيات ربهم ويسجدون آناء الليل واطراف النهار.

والقنوت -كما السجود- هو الذروة في الخضوع لرب العالمين، والسموات والارض قانتة لربها. والقنوت (شدة الخضوع) مطلوب عند الصلاة، وابراهيم مثل للقنوت لله وهو من أبرز حقائق الايمان، وتتجلى عند المؤمنات الصالحات، وعند التهجد في جوف الليل يقنت المؤمنون لربهم ساجدين وقائمين.

وهكذا: تتم الصلة بين المؤمن وربه بالدعاء والصلاة والسجود والقنوت، وهي القيم المثلى التي ترسخ دعائم الايمان في فؤاد المؤمن.





الدعاء لغة الايمان، وينبوع الفضائل، ومحور القيم العبادية، فالصلاة دعاء وصلة كما أن أعظم أهداف الحج الذكر والدعاء.

وشهر الصيام شهر الدعاء، والدعاء يجمع بين الوان الذكر (اسماء الله ـ الاستغفار ـ الانابة).

والدعاء تعبير بالغ الوضوح عن عرفان المؤمن بربه، وباسماء ربه الحسنى؛ ووعي عميق بضعف البشر، واحساس شديد بأبعاد نقصه، ومراكز ذله، ومدى حاجته، الى التكامل والسمو.

والذي يناجي ربه بدعوة صادقة، يشهد عن كثب هيمنة الرب، وشمول احاطته به، علماً وقدرة ورحمة وجمالاً.

انه ـ بكلمة ـ اعظم تجليات المعرفة بالله، وأوسع أبواب رحمته، فعن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ انه قال: (الدعاء مفتاح الرحمة ومصباح الظلمة[1] واسمى درجات العبادة، انه جوهر الصلاة ومخ العبادة).

وقد جاء عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ: (الدعاء مخ العبادة، ولا يهلك مع الدعاء أحد)[2].

---

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٠٠ الرواية ٣٧.

(٢) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٠٠ الرواية ٣٧.

والدعاء ، المحور الذي يجمع ، الشكر والذكر والاستغفار والضراعة والصلاة ، وسائر القيم المثلى التي تتصل بالعبادات (وبما يوصل العبد بربه سبحانه) .

١ ـ الأمر بالدعاء :

١ ـ وقد أمر الله عباده بالدعاء ، والسؤال من فضله ، فقال ربنا سبحانه :

«واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليماً»[١] .

ألف ـ وعن رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ انه قال : (ان الرزق لينزل من السماء الى الارض على عدد قطر المطر الى كل نفس بما قدر لها ، ولكن لله فضول فاسألوا الله من فضله)[٢] .

باء ـ وعن أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ قال : (اذكروا الله فانه ذاكر لمن ذكره ، وسلوه من فضله ورحمته فانه لا يخيب عليه داع من المؤمنين دعاه)[٣] .

٢ ـ اما رد هذه الدعوة الالهية المفتوحة فهواستكبار ، وانما جزاء الاستكبار النار ، قال الله سبحانه :

«وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين»[٤] .

هنا أمر الله بدعاءه وجعل ذلك عبادة ، وذكر بان المستكبرين يدخلون النار اذلاء .

٣ ـ ورغب في الدعاء بان الله قريب وانه مجيب ، وقال الله تعالى :

«وإذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون»[٥] .

ونستفيد من هذه الآية ان الدعاء ، هو بعد بارز من ابعاد الايمان بالله .

---

(١) النساء/ ٣٢ .

(٢) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٢٨٩ الرواية ٤ .

(٣) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٠١ الرواية ٣٧ .

(٤) غافر/ ٦٠ .

(٥) البقرة/ ١٨٦ .

٤ ـــ والله كهف المضطر الذي يدعوه فيجيب دعوته قال الله تعالى :

«أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء»[(١)].

وعن أبي عبدالله الصادق ـعليه السلام ـ قال : (من تقدم في الدعاء استجيب له اذا انزل به البلاء ، وقيل : صوت معروف ، ولم يحجب عن السماء ، ومن لم يتقدم في الدعاء ، لم يستجب له اذا نزل به البلاء ، وقالت الملائكة ، ان ذا الصوت لا نعرفه)[(٢)].

٥ ـــ وقد استجاب الله لانبياءه حين دعوه وقال الله سبحانه :

«الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء»[(٣)].

٦ ـــ وكذلك استجاب (ليونس بن متى) بعد ان التقمه الحوت فنادى ربه فاستجاب له ووعد الله الاستجابة للمؤمنين فقال الله سبحانه :

«وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين»[(٤)].

٢ ـــ الضراعة جوهر الدعاء :

١ ـــ وجوهر الدعاء الضراعة الى الله ، والضراعة هي التحسس بالحاجة ـحقاًـ انها حالة الصفاء والخلوص وكشف كل الزيف الذي تتستر به النفس البشرية ، لتخفي ورائها كبرها وغرورها وعجزها وخور عزمها ، فاذا واجهت مر الحق ، واصطدمت بصميم الواقع ، هنالك اكتشفت انها كانت في غرور، متى؟ عندما تحضره سكرات الموت بالحق او عندما يخاطب :

«لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد»[(٥)].

---

(١) النمل/ ٦٢.

(٢) بحار الانوار ج٩٠/ ص ٢٩٦ الرواية ٢٣.

(٣) ابراهيم/ ٣٩.

(٤) الانبياء/ ٨٧ ـ ٨٨.

(٥) ق/ ٢٢.

الضراعة ـ اذاً ـ العودة الى حقيقة الذات بلا حجاب ومن الصعب ان يبلغ الانسان هذا المستوى الرفيع الا عند نزول كارثة عظمى عليه ، حيث تتساقط عن بصيرته ، حجب الاوهام ، ويواجه الحقيقة بصراحة بالغة .

٢ ــ ومن هنا كانت حكمة البأساء والضراء هي توفير شرط الضراعة للأمم ، بعد ان يبعث الله اليهم الرسل ، فقال الله سبحانه :

«قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين ، بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه وتنسون ما تشركون ، ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ، فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون»[(١)].

افلا ترى : كيف كان عذاب الله سبباً في تساقط اوثان الشرك ، والعودة الى صفاء الوحدانية بإخلاص الدعاء لله سبحانه ، لماذا ؟ لان البشر يومئذ يواجه الحق بلا زيف ولا حجاب ، كذلك عند البأساء والضراء يصل كثير من الناس الى ذات الصفاء ، فيتضرعون الى الله ويعترفون بعجزهم وبقدرة الله ، وكذلك بزيف ما كانوا يدعون من دونه . ولكن البعض يرين على قلبه اثر السيئات التي كان يرتكبها ، فلا يتضرع فيأخذه الله بغتة فاذا هم مبلسون .

٣ ــ وفي آيات مشابهة ـ في سورة الاعراف ـ يذكرنا بهذه الحقيقة ، التي هي اقرب دليل فطري على التوحيد ، وقد ذكر به الكتاب بكلمات متشابهة ، يقول ربنا سبحانه :

«وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ، ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء ، فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون»[(٢)].

ونستلهم من هذه الآية ان : الضراعة حكمة الكوارث الطبيعية او الحروب البشرية ، والامة التي تستفيد منها هي التي ترجع الى برنامج الرسالة التي تحدد منهاج الخلاص .

---

(١) الانعام/ ٤٠ ـ ٤٣ .

(٢) الاعراف/ ٩٤ ـ ٩٥ .

٤ ـــ وقال الله تعالى : «قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لان انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين»[١].

وهكذا تصبح الضراعة (الدعاء الى الله وحده بكل اصرار) حكمة الصعوبات التي يواجهها الانسان بصورة فردية ، كما هي حكمتها عند الكوارث الاجتماعية . وبكلمة : هدف الضراعة اعادة بناء المجتمع الانساني على اسس فطرية صحيحة ، بعيداً عن الشرك وعن اتباع الاهواء ، وهذا هدف الدعاء في الظروف العادية ، حيث ان المؤمن الذي يعتبر بمصائب الآخرين ، ويستحضر ايام شدته ، سواء في الدنيا عند المصائب التي لابد ان يمر بها كل فرد ، او في الآخرة ابتداءً من الموت حتى القبر والمطلع والحساب ، ثم النار او الجنة ، ان هذا المؤمن يعيش حالة التضرع أبداً . الم تقرأ قوله تعالى : «ادعوا ربكم تضرعاً وخفية»[٢].

فهذه الضراعة هي من اسمى لحظات الدعاء ، والدعاء ذروة التعبد ، لان حقيقة التعبد الصلة المباشرة بين العبد وربه ـ صلة العبودية الخالصة من اي شرك ، او هوى او غفلة ـ وتلك الصلة تتحقق عند الضراعة كاملاً .

ومن هنا كانت الضراعة الدائمة من أفضل ما أوتي البشر ـ حسبما ـ جاء في حديث عن أبي جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ انه قال : (قال سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ أوتينا ما أوتي الناس ، وما لم يؤتوا ، وعلمنا ما علم الناس وما لم يعلموا ، فلم نجد شيئاً افضل من خشية الله في المغيب والمشهد ، والقصد في الغنى والفقر ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والتضرع الى الله عزوجل على كل حال)[٣] .

٣ ـــ فوائد الدعاء :

لماذا ندعو الله ؟ لاهداف شتى ، أبرزها أمران :

---

(١) الانعام/ ٦٣ .

(٢) الاعراف/ ٥٥ .

(٣) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٨١ الرواية ٥ .

أولاً: لكي نعرف انفسنا ونعي ضعفها وحاجتها وحقيقة عبوديتها، والله يعلم مدى لذة وجدان الذات بحقيقتها ومن دون زيف الكبر، اننا دائماً نهرب من ذاتنا، ونصلح ما حولنا فلا ينفعنا شيئاً، فمتى نرجع الى انفسنا ونتعرف عليها لنصلحها ؟.

ثانياً: لكي نعرف ربنا، ونشهد نور عظمته، وبهاء اسماءه الحسنى، والذين يذيقهم الله من كأس مناجاته شربة تراهم يهيمون بحبه، وحب لقاءه على مائدة الدعاء، فاذا بموسى بن عمران الذي ناداه الله وقربه نجياً، فقال عنه: «وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً»[1].

اذا به يعجل اليه طالباً رضاه فيقول الله تعالى:

١ ــ «وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى»[2].

٢ ــ فاذا بالله سبحانه يخاطب حبيبه محمداً ـ صلى الله عليه وآله ـ قائلاً:

«طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى»[3].

وهذه الفائدة العظمى التي لا يعرفها الا المخصلون في عبادتهم ومناجاتهم، تفيض منها فوائد اخرى نذكرها تباعاً:

٤ ــ الدعاء؛ اصلاح واحسان:

١ ــ يقول ربنا سبحانه: «ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها، وادعوه خوفاً وطمعاً، ان رحمت الله قريب من المحسنين»[4].

من التدبر في الآية نستوحي ان هناك صلة بين الدعاء (تضرعاً وخفية) وبين اجتناب افساد الارض، أليس سبب الافساد هو الاستكبار؟

حيث قال ربنا سبحانه: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض

---

(١) مريم/ ٥٢.

(٢) طه/ ٨٣ - ٨٤.

(٣) طه/ ١ - ٢.

(٤) الاعراف/ ٥٦.

ولا فساداً»[1].

أوليس الدعاء يردع البشر عن الاستكبار، حيث انه يعيد البشر الى حقيقة ذاته، ويهديه الى : ان طريق الصلاح والسمو هو التواضع ؟.

٢ ــ يقول ربنا سبحانه :

«واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة، ودون الجهر من القول، بالغدو والآصال، ولا تكن من الغافلين، إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته، ويسبحونه، وله يسجدون»[2].

فالدعاء هي النقطة المعاكسة للاستكبار. واذا كان الاستكبار سبب الفساد في الارض، فان الدعاء وسيلة ردع البشر عنه.

٣ ــ وكذلك الدعاء يورث تواضعاً حقيقياً، وينتزع من النفس دواعي الإعتداء والتسلط.. من هنا قال ربنا سبحانه :

«ادعو ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين»[3].

فالدعاء يأتي لمنع الانسان عن الاعتداء الذي لا يحبه الله.

٤ ــ وليس يردع الدعاء عن الفساد فقط، بل يزرع شتائل المحبة في النفوس، لتثمر الاحسان الى الناس، يقول ربنا سبحانه :

«وادعوه خوفاً وطمعاً ان رحمت الله قريب من المحسنين»[4].

فبالدعاء تنمو روح الاحسان الى الناس في النفس، لان الدعاء يصلح النفس، وصلاح النفس قاعدة صلاح المجتمع، ومن صلاح المجتمع حبهم، والاعتراف بحقوقهم الفطرية، وان لا يشبع الفرد حيث يجوعون، ولا يبذر حيث يحتاجون.

---

(١) القصص/ ٨٣.

(٢) الاعراف/ ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٣) الاعراف/ ٥٥.

(٤) الاعراف/ ٥٦.

٥ ــ الدعاء شعار الأنبياء :

الف : النبي نوح(ع) :

عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ انه قال : (فما زالت نعمة ، ولا نضارة عيش إلا بذنوب اجترحوا ، ان الله ليس بظلام للعبيد ، ولو انهم استقبلوا ذلك بالدعاء والانابة لما تنزل ، ولو انهم إذا نزلت بهم النقم وزالت عنهم النعم ، فزعوا الى الله عزوجل بصدق من نياتهم ، ولم يهنوا ولم يسرفوا ، لأصلح الله لهم كل فاسد ، ولرد عليهم كل صالح)[١].

مئات السنين تمر وشيخ المرسلين نوح ـ عليه السلام ـ يدعو قومه الى الله وهم يكذبون ، لكن نوحاً لم يهن ولم يحزن ، ولم يتراجع قيد انملة عن نهجه ، وانما آوى الى كهف الدعاء ، طالباً من الله تحقيق وعده له بالنصر.

١ ــ وقال عنه ربنا سبحانه :

«قال ربِ اني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي الا فراراً»[٢].

٢ ــ وقال ايضاً : «قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خساراً»[٣].

٣ ــ وهكذا كان مضمون دعاء نوح انه ادى رسالته (نوح/٥) ولكنهم كذبوه (نوح/٢١) باصرار وهكذا .. قال الله تعالى عنه :

«قال ربِ ان قومي كذبون»[٤].

٤ ــ وطلب من ربه النصر وقال :

«قال ربِ انصرني بما كذبون»[٥].

٥ ــ ثم رفع ظلامته الى ربه قائلاً : «فدعا ربه اني مغلوب فانتصر»[٦].

---

(١) بحار الانوار ج١٠/ ص١٠٢ الرواية ١ .

(٢) نوح/ ٥ - ٦ .

(٣) نوح/ ٢١ .

(٤) الشعراء/ ١١٧ .

(٥) المؤمنون/ ٢٦ .

(٦) القمر/ ١٠ .

٦ ـ ودعا ربه ان يهلك الكافرين بعذاب استيصال حتى لا يعودوا الى الفتنة من جديد. قال الله تعالى:

«قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً»(١).

٧ ـ ودعا بالمغفرة لنفسه ولوالديه وللمؤمنين المسلمين لولايته الالهية. فقال ربنا سبحانه عنه:

«رب اغفر لي، ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً، وللمؤمنين والمؤمنات، ولا تزد الظالمين الا تباراً»(٢).

وهكذا تضمنت ادعية نوح منظومة التطلعات والاهداف من نصرة الحق وأهله ومواجهة الباطل وأهله، والولاية (نستوحيها من كلمة دخل بيتي) والمغفرة كما وانها تضمنت اصلاح الذات.

باء ـ النبي ابراهيم ـعليه السلام ـ:

١ ـ اما النبي ابراهيم ـعليه السلام ـ فقد حطم الاصنام في بابل، وكان سلاحه الدعاء حيث قال ربنا سبحانه:

«واعتزلكم وما تدعون من دون الله، وادعوا ربي، عسى الا أكون بدعاء ربي شقياً»(٣).

ولذلك عرف إبراهيم ـعليه السلام ـ بصفة الأوّاه كما جاء في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر الباقر ـعليه السلام ـ قال: (ان إبراهيم لأوّاه حليم) الأوّاه المتضرع الى الله في صلاته، واذا خلا في قفرة من الارض وفي الخلوات)(٤).

٢ ـ اما بعدئذ حينما اسس مدينة التوحيد حول بيت الله الحرام فقد دعا الله سائلاً أمرين: الأمن (بكل معانيه) والحنفية (عن اجتناب عبادة الأصنام) وهما ركنا المجتمع

---

(١) نوح/ ٢٦.

(٢) نوح/ ٢٨.

(٣) مريم/ ٤٨.

(٤) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٢٩٠ رواية ٩.

السعيد، فالأمن أساس السعادة مادياً، والحنفية أساسها المعنوي. فقال الله سبحانه:

«وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد امناً، واجنبني وبني ان نعبد الاصنام»[1].

٣ ـ وقال الله سبحانه: «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً، وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر»[2].

٤ ـ وهكذا سأل إبراهيم ربه الأمن والرزق، ولكنه علم ان استمرار خط التوحيد لا يكون من دون تأييد الله باقامة الصلاة، فسأل الله ذلك. وقال الله تعالى:

«رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء»[3].

٥ ـ اما دعاءه لنفسه فقد تمثل في كلمتين: طلب الحكم من الله في الحياة الدنيا، وان يلحق بالصالحين في الآخرة. وقال الله تعالى:

«رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين»[4].

٦ ـ وطلب من ربه ذرية صالحة، وتلك امنية تراود النفوس الطيبة، المتفانية في سبيل الاهداف الالهية. وقال الله تعالى على لسان ابراهيم ـ عليه السلام ـ:

«رب هب لي من الصالحين»[5].

٧ ـ وبعد ان حطم الاصنام في بابل، وأسكن من ذريته بواد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام بهدف أقامة الصلاة، وبعد ان أعاد بناء الكعبة، وسلم لأمر الله بذبح ابنه، بعد كل ذلك، دعا ربه لقبول اعماله، أحساساً بالتقصير في مقام العبودية لله سبحانه وقال الله تعالى:

«وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منّا، انك انت السميع العليم»[6].

---

(١) ابراهيم/ ٣٥.

(٢) البقرة/ ١٢٦.

(٣) ابراهيم/ ٤٠.

(٤) الشعراء/ ٨٣.

(٥) الصافات/ ١٠٠.

(٦) البقرة/ ١٢٧.

٨ ــ والحنفية التي انتسبت الى إبراهيم والتي كانت الذروة في خلوص التوحيد كانت تعني محض التسليم لله، وهكذا سأل إبراهيم ربه ان يوفقه للاسلام (التسليم) وان يستمر هذا النهج في ذريته. فقال ربنا سبحانه عنه:

«ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التوّاب الرحيم»(١).

٩ ــ وأتم دعوته بصلاح ذريته بدعاء كريم آخر ان يبعث في ذريته رسولاً منهم، حقاً كم كان قلبه كبيراً، وكم كان ولهه بالله، وحبه لقيم التوحيد وللبشرية، انه حقاً العبد الأوّاه المنيب. قال ربنا تعالى عنه:

«ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم»(٢).

١٠ ــ وكمال دعوته ـولعله كانت في اخريات أيامهـ تجلى في طلب المغفرة له ولوالديه وللمؤمنينـ ويبدو ان والده لم يكن أباه ازر بل شخصاً آخر كان يدعى حسب الروايات (اخنوخ). قال الله عزوجل:

«ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب»(٣).

ولنا في إبراهيم ـعليه السلامـ اسوة حسنة، فان ادعيته منظومة متكاملة من القيم الالهية والاهداف السامية.

جيم ــ النبي يوسف ـعليه السلامـ:

١ ــ عندما تعصف بالبشر الشهوات، وتحيط به اعاصير الهوى؛ هنالك يولي وجهه شطر السماء، يطلب النصر من عند الله، ويوسف الصديق ـعليه السلامـ عندما طلبت أمرأة العزيز منه ما طلبت، استعاذ بالله سبحانه فقال الله تعالى:

---

(١) البقرة/ ١٢٨.

(٢) البقرة/ ١٢٩.

(٣) ابراهيم/ ٤١.

«وراودته التي هو في بيتها عن نفسه، وغلّقت الأبواب، وقالت هيت لك، قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون»(١).

٢ ــ ومرة اخرى عندما اشتد الضغط عليه، لم يجد يوسف بدا إلا بطلب السجن، لعله يتخلص من ضغوط ذلك المجتمع الفاسد، قال الله تعالى عنه:

«قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب إليهن وأكُن من الجاهلين»(٢).

٣ ــ وعندما جلس على اريكة السلطة استعاذ بالله من الحكم بلا عدالة، حقاً ان العدل اهم واجبات الحاكم واصعبها، فقال الله تعالى:

«قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده، إنا اذاً لظالمون»(٣).

٤ ــ وبعد ان استتب له الأمر، وحقق الله كل ما تصبوا اليه النفس، دعا ربه ان يرزقه حسن العاقبة، وهي آخر دعوات الصالحين فقال الله تعالى (عن لسانه):

«ربِ قد آتيتني من الملك، وعلّمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السموات والارض، أنت وليّ في الدنيا والآخرة، توفّني مسلماً، والحقني بالصالحين»(٤).

دال ــ النبي زكريا ـعليه السلام ـ:

١ ــ وكانت دعوة النبي زكريا خالصة لله بالذرية الطيبة، ويبدو انه كان يريدها لحمل رسالات الله، لكي لا يضيع ميراث الانبياء بسبب عقمه، فاستجاب الله دعاءه قال الله تعالى:

«قال ربِ اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربي شقياً، واني خفت الموالي من ورائي، وكانت امرأتي عاقراً، فهب لي من لدنك وليّاً، يرثني ويرث من آل يعقوب، واجعله ربِ رضيّاً»(٥).

---

(١) يوسف/ ٢٣.

(٢) يوسف/ ٣٣.

(٣) يوسف/ ٧٩.

(٤) يوسف/ ١٠١.

(٥) مريم/ ٤ - ٦.

وقد أشار زكريا الى حقيقة هامة ، ان فلاحه وسعادته وكل النعم التي تواترت عليه ، كانت رهينة دعاءه ربه .

٢ ــ وفي الآية التالية كان من ادب دعاءه انه قال : «وانت خير الوارثين» وهكذا كلما كان الدعاء أقرب الى روح التوحيد ، كانت الاستجابة الى الداعي أقرب . قال الله تعالى :

«وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين ، فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ، واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين»[1] .

٣ ــ اما مناسبة دعاءه فقد كانت عندما وجد عند مريم رزقاً ، كلما دخل عليها المحراب (وكانت فواكه في غير ميعادها حسب التأريخ) فازداد ثقة بالله تعالى ، وتذكر أمنيته الكبيرة بالذرية . قال الله تعالى :

«هنالك دعا زكريا ربه ، قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء»[2] .

هاء ــ النبي لوط ـ عليه السلام ـ :

عندما اشتدت بلوط المحنة لجأ الى ركن شديد فدعا ربه ، وكانت له دعوتان الاولى : بنجاته وأهله من عمل أولئك القوم الفاسقين . الثانية : بنصره عليهم ..

قال الله تعالى : «رب نجني وأهلي مما يعملون»[3] .

فالمرء يسعى اولاً للتخلص من آثار المجتمع الفاسد ، كما دعا يوسف بان يصرف الله كيد النسوة عنه ، ثم يدعو بالنصر عليه .

وقال الله تعالى : «قال رب انصرني على القوم المفسدين»[4] .

---

(١) الانبياء/ ٨٩ ـ ٩٠ .

(٢) آل عمران/ ٣٨ .

(٣) الشعراء/ ١٦٩ .

(٤) العنكبوت/ ٣٠ .

ومعروف ان الله استجاب له ذلك ، وكذلك يستجيب للمؤمنين .

واو ــ النبي موسى ـ عليه السلام ـ :

١ ــ واول دعوات موسى ـ عليه السلام ـ كانت المغفرة ، والتي تعني ـ في بعض ابعادها ـ الطهر من عوالق المجتمع الطاغوتي . قال الله تعالى :

«قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك»(١) .

٢ ــ وقال الله تعالى : «قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له»(٢) .

٣ ــ ثم لما احدق به البلاء وتآمر عليه القوم ليقتلوه لجأ الى كهف الدعاء وطلب من ربه النجاة . قال الله تعالى :

«فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين»(٣) .

٤ ــ وبعد ان أدخل الله موسى وأخاه هارون في رحمته ، واصطنعه لنفسه وحمله رسالاته ، دعا ربه بما يتناسب ومسؤوليته العظيمة من شرح الصدر ، وتيسير الأمر ، والوزير من الأهل . قال الله تعالى :

«قال ربِ اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً»(٤) .

٥ ــ وكان موسى يخشى التكذيب ، وبالتالي كانت دعواته تتصل ببلاغ الرسالة . وقال الله تعالى :

«قال رب إني اخاف ان يكذبون»(٥) .

٦ ــ وكانت دعوته على فرعون وملأه في خاتمة مهمته الرسالية ، حيث لم تجدهم

---

(١) الاعراف/ ١٥١ .

(٢) القصص/ ١٦ .

(٣) القصص/ ٢١ .

(٤) طه/ ٢٥ - ٣٥ .

(٥) الشعراء/ ١٢ .

نفعاً تلك الآيات المبصرات فحل بهم العذاب ، بدعوة النبي موسى -عليه السلام-. وقال الله تعالى :

«وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم»[1].

حاء ـــ النبي سليمان -عليه السلام-:

١ ـــ بعد الامتحان الصعب الذي مر به (حين القي على كرسيه جسداً) اناب واستغفر ربه ، وسأل الله ان يهب له ملكاً عادلاً لا ينبغي لغيره ، فقال الله سبحانه عن لسانه :

«قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدي»[2].

٢ ـــ فلما انعم الله عليه بذلك الملك العريض، سأل ربه ان يوفقه لشكر النعمة (حقاً ان اغراء الملك قد يكون اشد على النفس ، من إرهاب الطاغوت. ولابد ان يجأر العبد الى ربه ، لكي يحميه اغراء الملك) . قال الله سبحانه عنه :

«وقال ربِ اوزعني، ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ، وان أعمل صالحاً ترضاه ، وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين»[3].

٦ ـــ آداب الدعاء :

الف ـــ تذكر الآء الله :

١ ـــ تذكر الآء الله ، والتوجه الى مدى حاجة الانسان اليها ، وابعاد ضعفه من دونها ، كل ذلك من آداب الدعاء حيث قال الله عزوجل :

«فاذكروا الآء الله لعلكم تفلحون»[4].

---

(١) يونس/ ٨٨.

(٢) ص/ ٣٥.

(٣) النمل/ ١٩.

(٤) الاعراف/ ٦٩.

٢ ــ وقال الله تعالى :

«فاذكروا آلآء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين»[١] .

باء ــ الدعاء بأسماء الله الحسنى :

ثم ان يدعو الانسان ربه بأسماءه الحسنى ويقول ربنا سبحانه :

«قل ادعوا الله ، أو ادعوا الرحمن ، ايّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى»[٢] .

ولعل معنى الآية ان المهم المعنى وليس الاسم وقد سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ عن اسم الله الاعظم ، قال : (كل اسم من اسماء الله اعظم ، ففرغ قلبك من كل ما سواه ، وادعه بأي اسم شئت ، فليس في الحقيقة لله اسم دون اسم ، بل هو الله الواحد القهار)[٣] .

جيم ــ اجتناب الالحاد في أسماء الله :

اجتناب الالحاد بإسماء غير صحيحة قال الله تعالى : «ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسماءه»[٤] .

دال ــ الانقطاع الى الله :

١ ــ الانقطاع الى الله سبحانه والتبتل اليه ، قال الله تعالى :

«فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا»[٥] .

٢ ــ «ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين»[٦] .

---

(١) الاعرف/ ٧٤ .

(٢) الاسراء/ ١١٠ .

(٣) بحار الانوار ج٩٠/ ص ٣٢٢ الرواية ٣٩ .

(٤) الاعراف/ ١٨٠ .

(٥) الانعام/ ٤٣ .

(٦) الاعراف/ ٥٥ .

٣ ــ «وادعوه خوفاً وطمعاً ان رحمت الله قريب من المحسنين»[١].

وروي عن أبي عبدالله الصادق ـعليه السلام ـ انه قال: (إذا أراد أحدكم ان لا يسأل ربه شيئاً الا اعطاه، فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء الا من عند الله، فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً الا اعطاه).

وفيما وعظ الله به عيسى ـعليه السلام ـ: (يا عيسى ادعني دعاء الحزين الغريق الذي ليس له مغيث، يا عيسى سلني ولا تسأل غيري فيحسن منك الدعاء، ومني الاجابة، ولا تدعني إلا متضرعاً إلي، وهمك هماً واحداً، فانك متى تدعني كذلك اجبتك)[٢].

هاء ــ الاخلاص في الدعاء:

١ ــ ومن ابعاد التسليم لله اخلاص الدعاء، والا يدعو الانسان غير الله، ولا يشرك في دعاءه احداً غير الله. قال الله سبحانه:

«ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه»[٣].

ويبدو من السياق: ان الدعاء يأتي هنا بمعناه المعروف، فلا يجوز ان يتوسل الانسان بغير الله لقضاء حوائجه الا بإذن الله ـتعالى ـ ولذلك جاء التعبير القرآني هنا: «من دون الله».

٢ ــ قال الله تعالى: «قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران، له اصحاب يدعونه الى الهدى أئتنا، قل ان هدى الله هو الهدى، وأمرنا لنسلم لرب العالمين»[٤].

٣ ــ وقال الله تعالى: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون

---

(١) الاعراف/ ٥٦.

(٢) بحار الانوارج ٩٠/ ص ٣١٤ الرواية ١٩.

(٣) الانعام/ ٥٢.

(٤) الانعام/ ٧١.

وجهه»[1].

واعظم دليل على حقيقة التوحيد، وزيف الشركاء، هو وجدان كل انسان عند ابتلاءه بالشدائد، فاذا احدق بالانسان الخطر، دعا ربه وحده، ثم اذا نجاه عاد الى الشرك ، قال الله سبحانه :

«فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون»[2].

٤ ــ وكذلك كان اعتى الكفار (آل فرعون) يجأرون الى الله عند المآسي ، فاذا كشفت عنهم أشركوا ، قال الله سبحانه :

«ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ، لان كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ، ولنرسلن معك بني إسرآئيل»[3].

٥ ــ وهكذا سائر البشر كلما جاءهم العذاب ، دعوا الله ـ وحده ـ دون الشركاء قال ربنا سبحانه :

«قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله، او أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين ، بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون»[4].

٦ ــ كل ذلك دليل وجداني على ضرورة الاخلاص في الدعاء، ولكن الانسان يشرك بربه عند الرخاء ، فيدعو ما لا ينفعه شيئاً ، قال الله سبحانه :

«يدعوا من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد»[5].

٧ ــ وأي ضلال أبعد من دعاء من لا ينفع ، وترك دعاء من يسمع ، بل ان دعاءه غير الله يضره اذ يغضب بذلك رب العرش ـ النافع الضار ـ فلا يستجيب له .

---

(١) الكهف/ ٢٨.

(٢) العنكبوت/ ٦٥.

(٣) الاعراف/ ١٣٤.

(٤) الانعام/ ٤٠-٤١.

(٥) الحج/ ١٢.

قال الله تعالى : «يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير»[1].

٨ ـ ويضرب القرآن مثلاً من واقع دعاء الكفار اولياءهم فيقول ربنا سبحانه :

«والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء، الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه، وما هو ببالغه، وما دعاء الكافرين الا في ضلال»[2].

٩ ـ وكانت تلك من أهم محاور التناقض بين الأنبياء وبين الكفار، كما قال ابراهيم ـ عليه السلام ـ وقص علينا القرآن كلامه في قول الله تعالى :

«واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى الا أكون بدعاء ربي شقياً»[3].

الا ترى كيف جعل دعوة غير الله، سبباً لاعتزالهم، واعلن لهم ـ بصراحة ـ أنه يدعو ربه وحده، لانه كان به حفياً، ولانه يرجو كل خير بسبب دعاءه.

١٠ ـ وقال الله تعالى : «قل انما أمرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه مآب»[4].

١١ ـ وهكذا فتوحيد الله يقتضي توحيد الدعاء، والا يدعو الانسان غيره لان المصير اليه، ولان الدعاء لغير الله لا يجدي نفعاً، لان اولئك عباد لا يملكون نفعاً ولا ضراً.

قال الله تعالى : «ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين»[5].

١٢ ـ وقال ربنا سبحانه : «والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون»[6].

١٣ ـ ولان الانسان يعرف ـ بفطرته التي فطر عليها ـ الا منقذ له من المهالك إلا الله

(١) الحج/ ١٣.
(٢) الرعد/ ١٤.
(٣) مريم/ ٤٨.
(٤) الرعد/ ٣٦.
(٥) الاعراف/ ١٩٤.
(٦) الاعراف/ ١٩٧.

سبحانه ، فتراه اذا جد الجد لا يدعو غير الله ، لانه يعلم ان غيره لا ينفعه ، بلى في الظروف العادية يشرك بالله ويعرض عن آياته . قال الله تعالى :

«وإذا مسّكم الضر في البحر ضل من تدعون إلّا إيّاه»[1] .

١٤ ــ ومن هنا فان الرسول يحاكم أولئك الكفار الى وجدانهم ، ويسألهم سؤالاً استنكارياً ويقول :

«قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره»[2] .

زاء ــ دعاء الخير لا دعوة الشر:

وعلى الانسان ان يدعو بالخير، بمثل ما نتلوه من ادعية الأنبياء والصالحين ، ولا ينبغي ان يدعو بالشر فانه يعكس جهالته .

قال الله تعالى : **«ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولاً»** [3].

عن النبي -صلى الله عليه وآله- قال : (ما من مسلم يدعو دعوة ليس فيها اثم ، ولا قطيعة رحم ، الا اعطاه الله بها احدى ثلاث : اما ان يعجل دعوته ، واما ان يدخرها له في الآخرة ، واما ان يكف عنه من الشر مثلها) ، قالوا : يا رسول الله اذاً نكثر قال : (الله اكثر) [4] .

وعن أمير المؤمنين -عليه السلام- انه قال : (يا صاحب الدعاء لا تسأل ما لا يكون ولا يحل) [5] .

واو ــ الانابة :

١ ــ العودة الى الله ، وترك الشركاء من دونه ، وعقد العزم على رفض الانداد ، من

---

(١) الاسراء/ ٦٧ .

(٢) الزمر/ ٣٨ .

(٣) الاسراء/ ١١ .

(٤) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٦٦ الرواية ١٦ .

(٥) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٢٤ رواية ١ .

شروط الدعاء وآدابه ، وهذه الحالة يبلغها الانسان عندما تعصف به النكبات ، قال الله تعالى :

«وإذا مسّ الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه»(١).

٢ ـــ وقال الله تعالى : «وإذا مسّ الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه»(٢).

وفيما اوحى الله الى موسى -عليه السلام- : (يا موسى كن اذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجلاً ، وعفر وجهك في التراب ، واسجد لي بمكارم بدنك ، واقنت بين يدي في القيام ، وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل ، وأحيّ بتوراتي أيام الحياة ، وعلّم الجهال محامدي ، وذكّرهم آلائي ونعمي ، وقل لهم : لا يتمادون في غي ما هم فيه ، فان أخذي أليم شديد .

يا موسى لا تطول في الدنيا أملك ، فيقسو قلبك ، وقاسي القلب مني بعيد ، وأمت قلبك بالخشية ، وكن خلق الثياب ، جديد القلب تخفى على أهل الأرض وتعرف في أهل السماء ، ملس البيوت ، مصباح الليل ، واقنت بين يدي قنوت الصابرين ، وصح إلي من كثرة الذنوب صياح الهارب من عدوّه ، واستعن بي على ذلك ، فإني نعم العون ونعم المستعان)(٣).

طاء ـــ الاستقامة بعد التوبة :

ومن ابرز آداب الدعاء الاستقامة -بعد الدعاء- على خط التوبة ، وعدم العودة الى الذنب من جديد .

١ ـــ والقرآن الكريم يذكرنا بتلك الصفة السيئة التي توجد عند الانسان الذي لم يتذكر بالوحي ، وهي نقض عهده مع الله والعودة الى عبادة الانداد بعد الانابة الى الله منها ، وذلك تحذيراً لنا من هذه الصفة السيئة ، قال الله تعالى :

---

(١) الزمر/ ٨ .

(٢) الروم/ ٣٣ .

(٣) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٠٥ رواية ١ .

«وإذا مسّ الانسان الضر، دعانا لجنبه او قاعداً او قائماً، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسّه»[١].

٢ ـــ وقال الله تعالى: «وإذا مسّ الإنسان ضر، دعا ربه منيباً إليه، ثم إذا خوّله نعمة منه، نسي ما كان يدعوا إليه من قبل، وجعل لله انداداً ليضل عن سبيله»[٢].

٣ ـــ وقال الله تعالى: «فإذا مسّ الإنسان ضر دعانا ثم اذا خوّلناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون»[٣].

٧ ـــ آفاق الدعوات القرآنية:

بم ندعو ربنا؟ في دعوات الانبياء تعاليم سامية في مضامين الدعاء وفي وقته وآدابه، ولكن هناك دعوات قرآنية جاءت على لسان الصالحين، نستلهم منها آفاق الدعاء وما ينبغي للانسان ان يدعو به ربه، واليك طائفة منها.

الف ـــ الاستغفار

١ ـــ لان الذنوب تحجب عقل الانسان وتمنعه من استقبال رحمة الله، وتمنع الدعاء من ان يسمو الى معارج الاستجابة، فان الاستغفار هو أول الطلب، قال الله تعالى على لسان النبي يونس -عليه السلام-:

«سبحانك اني كنت من الظالمين»[٤].

٢ ـــ وقال ربنا سبحانه عن لسان موسى -عليه السلام-:

«رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين»[٥].

وقد جاء عن النبي -صلى الله عليه وآله-: (من أكثر الاستغفار، جعل الله له من

---

(١) يونس/ ١٢.

(٢) الزمر/ ٨.

(٣) الزمر/ ٤٩.

(٤) الانبياء/ ٨٧.

(٥) الاعراف/ ١٥١.

كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب) [1].

٣ ـ والدعاء بالاستغفار يكون لسائر المؤمنين وبالذات السابقين بالايمان.

وقال الله تعالى: «ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم» [2].

٤ ـ ومن اوجب الدعاء، الاستغفار للوالدين، وطلب الرحمة لهم، حيث قال سبحانه:

«وقل رب ارحمها كما ربياني صغيراً» [3].

٥ ـ واهم شفيع للانسان في الدعاء الى الله بالمغفرة، هو الايمان بالله وحده، يقول الله سبحانه:

«ربنا إننا آمنّا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار» [4].

٦ ـ وقد يفصل القول في بيان الذنب الذي يستغفر المؤمن منه لكي لا يعود اليه مرة اخرى، يقول ربنا سبحانه: «ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا» [5].

٧ ـ وقال الله سبحانه:

«ربنا فأغفر لنا ذنوبنا وكفر عنّا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار» [6].

٨ ـ والمغفرة سبيل الى الرحمة حيث يقول ربنا تعالى:

«ربنا آمنّا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين» [7].

باء ـ الا يجعلهم الله فتنة للظالم

١ ـ لان الله يبتلي الناس بعضهم ببعض فان من دعاء المؤمنين الا يجعلهم الله

---

(١) بحار الانوار ج٩٠/ ص ٣٥٠ رواية ١٥.

(٢) الحشر/ ١٠.

(٣) الاسراء/ ٢٤.

(٤) آل عمران/ ١٦.

(٥) آل عمران/ ١٤٧.

(٦) آل عمران/ ١٩٣.

(٧) المؤمنون/ ١٠٩.

وسيلة لامتحان الكفار، فيسلط عليهم الكفار قال الله سبحانه :

«فقالوا على الله توكّلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين»[1].

٢ ـ وقال الله تعالى : «ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم»[2].

جيم ـ طلب النجاة

١ ـ ومن ذلك طلب النجاة من القرية الظالمة (حيث الفرار بدينهم ودنياهم) قال الله تعالى (عن لسان المستضعفين من المؤمنين) :

«ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليّاً واجعل لنا من لدنك نصيراً»[3].

٢ ـ ويسألون ربهم ان ينجز لهم وعده بنصرهم ونجاتهم ، قال الله تعالى :

«ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة»[4].

٣ ـ وقال الله تعالى : «ربنا اكشف عنا العذاب إنّا مؤمنون»[5].

دال ـ الدعاء بالصبر

١ ـ وقد يتحقق وعد الله على ايديهم وعبر خوضهم غمار المعركة مع الاعداء، وهناك يسألون ربهم الصبر والثبات .

قال الله تعالى : «ربنا افرغ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين»[6] .

٢ ـ وقال الله تعالى : «ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبراً»[7].

---

(١) يونس/ ٨٥ .

(٢) الممتحنة/ ٥ .

(٣) النساء/ ٧٥ .

(٤) آل عمران/ ١٩٤ .

(٥) الدخان/ ١٢ .

(٦) الاعراف/ ١٢٦ .

(٧) البقرة/ ٢٥٠ .

هاء ــ الرشد والاستقامة

١ ــ وقد يستدعي الفرار عن سلطة الكفار، كما فعل اصحاب الكهف حين آووا الى الجبال وهناك طلبوا من ربهم الرحمة ، وان يسدد خطاهم الى حيث الرشاد .

قال الله تعالى : «ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً»(١) .

٢ ــ وعلى اي حال فان المؤمنين يسألون ربهم الاستقامة واستمرار الهدى ليقاوموا كل اسباب الانحراف ، يقول ربنا عنهم :

«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك انت الوهّاب»(٢) .

واو ــ توفيق الشكر

من أعظم النعم الالهية التي تخفى على كثير من الناس نعمة الشكر، والمؤمنون يسألون ربهم هذه النعمة ، وهي قريبة من نعمة الرضا ، وهما عافية الروح وانتفاع النفس بالنعم ـ كما الجسد ـ من هنا قال الله عن لسان الانسان الكامل :

«قال ربِ اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والديّ»(٣) .

وقال ربنا سبحانه على لسان سليمان بن داود :

«قال ربِ اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ» (٤) .

زاء ــ طلب الجنة

١ ــ وطلب الجنة ـ كطلب المغفرة ـ من آفاق الدعاء ، قال ربنا سبحانه :

«واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك»(٥) .

---

(١) الكهف/ ١٠ .

(٢) آل عمران/ ٨ .

(٣) الاحقاف/ ١٥ .

(٤) النمل/ ١٩ .

(٥) الاعراف/ ١٥٦ .

٢ ــ وقال الله تعالى: «ربِ ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجّني من فرعون وعمله»[١].

حاء ــ طلب الحسنة في الدنيا

١ ــ والتطلع الى رضوان الله وجنانه لا يمنع المؤمن من طلب الحياة الحسنى في الدنيا، يقول ربنا سبحانه:

«ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[٢].

٢ ــ والحياة الحسنة في الدنيا، تشمل: التمتع بزوجة صالحة، وذرية طيبة حيث يقول سبحانه عنهما:

«والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين»[٣].

٣ ــ وقرة العين منتهى سعادة الانسان بالزوجة والذرية، كما ان صلاح الذرية من اعظم اهداف المؤمنين، قال الله تعالى:

«واصلح لي في ذريتي اني تبت إليك واني من المسلمين»[٤].

٤ ــ ومن ابعاد الحياة الحسنة تمتع الانسان بخلق رفيع يتمثل في صفاء القلب (واجتناب الغل) ومن هنا يقول المؤمنون كما جاء في القرآن الكريم:

«ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنّك رؤوف رحيم»[٥].

٥ ــ وكما يشمل العمل الصالح يقول ربنا عن لسان الانسان الكامل:

«وان اعمل صالحاً ترضاه»[٦].

٦ ــ ومن ابعاد الحياة الحسنة ان يكون الانسان اماماً في الخير حيث يقول ربنا

---

(١) التحريم/ ١١.

(٢) البقرة/ ٢٠١.

(٣) الفرقان/ ٧٤.

(٤) الاحقاف/ ١٥.

(٥) الحشر/ ١٠.

(٦) الاحقاف/ ١٥.

سبحانه :

«واجعلنا للمتقين إماماً»[1].

٧ ــ ومن ابعاد الحياة الحسنة سهولة التكليف ، ويسر المسؤوليات ، وعدم العسر في الشريعة ، قال الله تعالى :

«ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»[2].

وهذه دعوة جامعة نختم بها حديثنا عن الدعاء.

نسأل من الله ان يشركنا في دعاء الصالحين امين رب العالمين.

---

(١) الفرقان/ ٧٤.

(٢) البقرة/ ٢٨٦.

في رحاب الاحاديث

الدعاء افضل الكلام

في خبر الشيخ الشامي انه سئل أمير المؤمنين ـعليه السلامـ اي الكلام أفضل عند الله عزوجل ؟ قال : (كثرة ذكره ، والتضرع اليه ودعاؤه) (١) .

الدعاء سلاح المؤمن

قال رسول الله ـصلى الله عليه وآلهـ : (الا أدلّكم على سلاح ينجيكم من عدوّكم ، ويدر رزقكم ؟) قالوا نعم : قال : (تدعون بالليل والنهار ، فان سلاح المؤمن الدعاء) (٢) .

لله دعوة الحق

قال النبي ـصلى الله عليه وآلهـ : عن جبرئيل ، عن الله عزوجل : (يا عبادي كلكم ضال الا من هديته ، فاسألوني الهدى اهدكم ، وكلكم فقير الا من اغنيته فاسألوني الغناء ارزقكم ، وكلكم مذنب الا من عافيته فأسألوني المغفرة اغفر لكم ومن علم اني ذو قدرة على المغفرة ، فاستغفرني بقدرتي غفرت له ولا أبالي ، ولو ان اولّكم وآخركم ، وحيّكم وميّتكم ، ورطبكم ويابسكم ، اجتمعوا على اتقاء قلب عبد من عبادي لم يزيدوا في

---

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٢٩٠ رواية ٨ .

(٢) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٢٩١ رواية ١٤ .

ملكي جناح بعوضة ، ولو ان اولكم وآخركم وحيّكم وميّتكم ، ورطبكم ويابسكم ، اجتمعوا على اشقاء قلب عبد من عبادي لم ينقصوا من ملكي جناح بعوضة ، ولو ان اولكم وآخركم ، وحيّكم وميّتكم ، ورطبكم ويابسكم ، اجتمعوا فيتمنى كل واحد ما بلغت امنيّته ، فأعطيته لم يتبين ذلك في ملكي كما لو ان احدكم مر على شفير البحر فغمس فيه ابرة ثم انتزعها ، ذلك بأني جواد ماجد واجد ، عطائي كلام ، وعداتي كلام ، فإذا أردت شيئاً فإنما اقول له : كن ، فيكون) [1] .

عليكم بالدعاء

عن سيف التمار، قال : سمعت ابا عبدالله الصادق ـ عليه السلام ـ يقول : (عليكم بالدعاء فإنكم لا تتقربون بمثله ولا تتركوا صغيرة لصغرها ان تسئلوه ، فان صاحب الصغائر هو صاحب الكبائر) [2] .

وعن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ قال : (اعجز الناس من عجز عن الدعاء ، وابخل الناس من بخل بالسلام) [3] .

الدعاء يرد القضاء

عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ قال : (الدعاء يرد القضاء بعد ما أبرم إبراماً ، فأكثر من الدعاء ، فانه مفتاح كل رحمة ، ونجاح كل حاجة ، ولا ينال ما عند الله الا بالدعاء ، وليس باب يكثر قرعه الا يوشك ان يفتح لصاحبه) [4] .

الدعاء افضل العبادة

عن معاوية بن عمار قال : قلت لأبي عبدالله الصادق ـ عليه السلام ـ ، رجلان

---

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٢٩٣ رواية ٢٠ .

(٢) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٢٩٣ رواية ٢٢ .

(٣) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٢٩٤ رواية ٢٣ .

(٤) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٢٩٥ رواية ٢٣ .

افتتحا الصلاة في ساعة واحدة ، فتلا هذا من القرآن فكانت تلاوته اكثر من دعائه ، ودعا هذا فكان دعاؤه اكثر من تلاوته ، ثم انصرفا في ساعة واحدة ايها افضل ؟ فقال : (كل فيه فضل ، كل حسن) قال : قلت : قد علمت ان كلا حسن ، وان كلا فيه فضل ، فقال : (الدعاء أفضل اما سمعت قول الله تبارك وتعالى :

«وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين» .

هي والله العبادة ، هي والله العبادة أليست هي العبادة ؟ هي والله العبادة ، هي والله العبادة أليست أشدّهن ، هي والله اشدّهن ، هي والله أشدّهن ، هي والله أشدّهن) (١) .

الدعاء مفتاح خزائن الرحمة

في وصية أمير المؤمنين لابنه الحسن ـصلوات الله عليهماـ : (اعلم ان الذي بيده خزائن السماوات والارض ، قد اذن لك في الدعاء ، وتكفل لك بالإجابة ، وأمرك ان تسأله ليعطيك ، وتسترحمه ليرحمك ، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ، ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه ، ولم يمنعك ان أسأت من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ولم يفضحك حيث الفضيحة ، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة ، ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤيسك من الرحمة ، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة ، وحسب حسنتك عشراً ، وفتح لك باب المتاب ، وباب الاستعتاب ، فاذا ناديته سمع نداءك ، واذا ناجيته علم نجواك ، فأفضيت اليه بحاجتك وابثثته ذات نفسك ، وشكوت اليه همومك ، واستكشفته كروبك ، واستعنته على أمورك ، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطاءه غيره ، من زيادة الاعمار وصحة الابدان ، وسعة الارزاق .

ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما اذن لك فيه من مسألته ، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمه ، واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية على

---

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٢٩٨ رواية ٢٩ .

قدر النية ، وربما اخرت عنك الاجابة ، ليكون ذلك اعظم لاجر السائل ، واجزل لعطاء الآمل ، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه ، واوتيت خيراً منه عاجلاً وآجلاً ، او صرف عنك لما هو خير لك ، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو اوتيته ، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ، وينفى عنك وباله ، والمال لا يبقى لك ولا تبقى له) (١) .

ذكر الله على كل حال

قال رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ: (ان موسى بن عمران لما ناجى ربه قال : يا رب ابعيد انت مني فاناديك ، أم قريب فاناجيك ؟ فأوحى الله جل جلاله اليه : انا جليس من ذكرني ، فقال موسى : يا رب اني أكون في حال اجلك ان اذكرك فيها ، فقال : يا موسى اذكرني على كل حال) (٢) .

الصلاة على محمد وآله وسيلة لقبول الدعاء

قال أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ: (كل دعاء محجوب عن السماء حتى يصلى على محمد وآله) (٣) .

الدعاء شفاء من كل داء

قال الصادق ـعليه السلام ـ: (عليكم بالدعاء فانه شفاء من كل داء واذا دعوت فظن ان حاجتك بالباب) (٤) .

الدعاء لدفع البلاء

قال النبي ـصلى الله عليه وآله ـ: (تعرّف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) (٥) .

---

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٠١ رواية ٣٨ .

(٢) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٠٨ رواية ٥ .

(٣) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣١٠ رواية ١١ .

(٤) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣١٢ رواية ١٧ .

(٥) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣١٢ رواية ١٧ .

ذكر الله خير من مسائلته

قال النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ: قال الله تعالى: (من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين) (١) .

من آداب الدعاء

قال الصادق ـ عليه السلام ـ: (احفظ آداب الدعاء، وانظر من تدعو وكيف تدعو، ولماذا تدعو؟ وحقق عظمة الله وكبرياءه، وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك، واطلاعه على سرك، وما يكن فيه من الحق والباطل، واعرف طرف نجاتك وهلاكك، كيلا تدعو الله بشيء منه هلاكك، وانت تظن فيه نجاتك، قال الله عزوجل:

«ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولاً» .

وتفكر ماذا تسأل، وكم تسأل ولماذا تسأل؟ والدعاء استجابة الكل منك للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الرب، وترك الاختيار جميعاً، وتسليم الامور كلها ظاهراً وباطناً الى الله، فان لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة، فانه يعلم السر وأخفى، فلعلك تدعوه بشيء قد علم من سرّك خلاف ذلك، قال بعض الصحابة لبعضهم: أنتم تنتظرون المطر بالدعاء وانا انتظر الحجر.

واعلم انه لو لم يكن الله أمرنا بالدعاء لكنا إذا اخلصنا الدعاء تفضل علينا بالإجابة، فكيف وقد ضمن ذلك لمن اتى بشرائط الدعاء) (٢) .

من شروط الدعاء

قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: (من سأل فوق قدره استحق الحرمان) (٣) .

---

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٢٣ رواية ٣٦.

(٢) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٢٢ رواية ٣٦.

(٣) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٢٧ رواية ١١.

الدعاء مفاتيح النجاح

عن أمير المؤمنين -عليه السلام- قال: (الدعاء مفاتيح النجاح، ومقاليد الفلاح، وخير الدعاء، ما صدر عن صدر تقي، وقلب نقي، وفي المناجاة سبب النجاة، وبالاخلاص يكون الخلاص، فاذا اشتد الفزع فإلى الله المفزع) (١).

الالحاح في الدعاء

قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (ما فتح لأحد باب دعاء الا فتح الله له فيه باب اجابة، فاذا فتح لاحدكم باب دعاء فليجهد فان الله عزوجل لا يمل حتى تملوا) (٢).

وقد لا يستجاب للمؤمن دعاءه

عن أبي جعفر الباقر -عليه السلام- قال: (ان الله عزوجل يعطي الدنيا من يحب ويبغض، ولا يعطي الآخرة الا من أحب، وان المؤمن ليسأل ربه موضع سوط من الدنيا فلا يعطيه، ويسأله الآخرة فيعطيه ما يشاء، ويعطي الكافر في الدنيا قبل ان يسأله ما يشاء، ويسأله موضع سوط في الآخرة فلا يعطيه إيّاه) (٣).

معرفة الله شرط الاستجابة

قال قوم للامام الصادق -عليه السلام-: ندعو فلا يستجاب لنا، قال: (لانكم تدعون من لا تعرفونه) (٤).

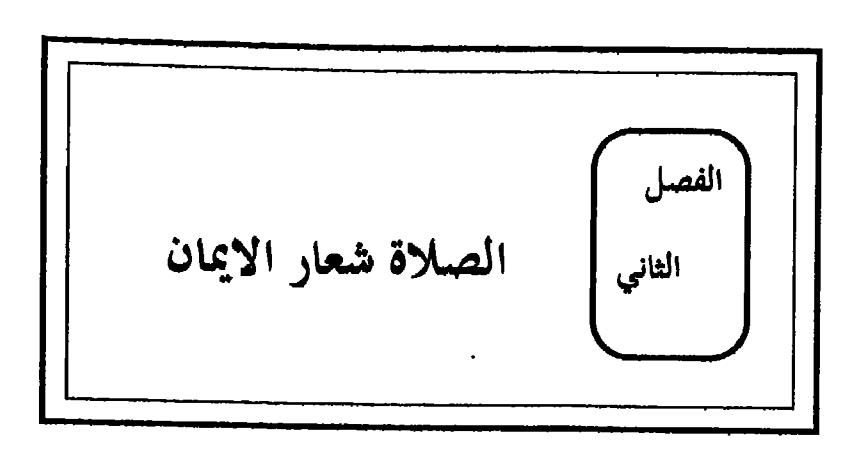
---

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٤١ رواية ١١.

(٢) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٦٤ رواية ٨.

(٣) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٦٨ رواية ٢.

(٤) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٦٨ رواية ٤.



١ ــ الصلاة من تجليّات الايمان

١ ــ قال الله تعالى : «انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم»(١).

ان الايمان هو الذي يتجلى في القلب وجلاً ، وفي العقل يقيناً ، وفي العمل توكلاً ، وفي السلوك صلاة ، وفي الاقتصاد انفاقاً ، واذا تأملنا هذه الصفات في فاتحة سورة الانفال ، لوجدناها توصل بين الايمان ، وبين حقائقه التي تتجلى في الواقع ، والتي تخرجنا من ظلمات الذات الى نور الحق (معرفة الله ، وذكره ، وآياته ، وأحكامه) وهكذا يتجلى الايمان في التوكل على الله ، والصلاة لله ، والانفاق على عباد الله .

وهكذا تستكمل حقائق الايمان بالصلاة .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : (من اسبغ وضوءه ، وأحسن صلاته ، وأدّى زكاته ، وكفّ غضبه ، وسجن لسانه ، واستغفر لذنبه ، وادّى النصيحة لاهل بيت نبيه ، فقد استكمل حقائق الايمان ، وأبواب الجنة مفتحة له)(٢).

والصلاة ، هي الصلة بين قلب العبد ونور الله ، وهي معراج المؤمن الى عرش الله .

---

(١) الانفال/ ٣ ـ ٤ .

(٢) بحار الانوار ج٧٩/ ص٢١٨ الحديث ٣٥ .

فقد روي انه قال أمير المؤمنين -عليه السلام-: (لو يعلم المصلي ما يغشاه من جلال الله، ما سره ان يرفع رأسه من السجود)[1].

وهي رمز تعبد الانسان لله، وتسليمه لامره في كافة حقول حياته.

ولذلك فان الصلاة أول ما ينظر من عمل العبد، فقد روي عن علي -عليه السلام- قال: (قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: «ان عمود الدين الصلاة، وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم، فان صحت نظر في عمله، وان لم تصح لم ينظر في بقية عمله»)[2].

وهي اطار ذكر الله الذي هو أكبر، ولغة الخطاب المباشر بينه وبين الله، وهي -بكلمة- عمود الدين، ومحور احكامه، ولحظة الشهادة بالحق، وشعار القيام بالقسط.

عن أبي جعفر -عليه السلام- قال: (الصلاة عمود الدين، ومثلها كمثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود ثبتت الاوتاد والاطناب، واذا مال العمود وأنكسر لم يثبت وتد ولا طنب)[3].

٢ ــ قال الله تعالى: «والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية»[4].

٣ ــ وقال الله تعالى في صفة المؤمنين: «يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة»[5].

٤ ــ واقامة الصلاة رمز مدنية الايمان، حيث قال ربنا سبحانه:

«وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين»[6].

---

(١) بحار الانوار ج ٨٢/ ص ٣٧- الخصال ج ٢/ ص/ ١٦٧.

(٢) بحار الانوار ج ٨٢/ ص ٢٢٧.

(٣) بحار الانوار ج ٧٩/ ص ٢١٨ رواية ٣٦.

(٤) الرعد/ ٢٢.

(٥) النساء/ ١٦٢.

(٦) يونس/ ٨٧.

وهكذا يبشر الله المؤمنين لصلاتهم وعبادتهم فقد روي عن الامام الصادق -عليه السلام- انه قال:

(للمصلي ثلاث خصال: اذا قام في صلاته يتناثر عليه البر من اعنان السماء الى مفرق رأسه، وتحف به الملائكة من تحت قدميه الى اعنان السماء، وملك ينادي: أيها المصلي لو تعلم من تناجي ما انفتلت)(١).

٢ ـ علامة الايمان

والصلاة علامة الايمان وزاد المؤمن ليوم المعاد، وقال الله تعالى: «قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال»(٢).

وهكذا روي عن الامام الصادق -عليه السلام-: (يؤتى بشيخ يوم القيامة فيدفع اليه كتابه، ظاهره مما يلي الناس لا يرى الا مساويء فيطول ذلك عليه فيقول: يا رب! اتأمر بي الى النار؟ فيقول الجبار جل جلاله: يا شيخ انا استحي ان اعذبك وقد كنت تصلي في دار الدنيا، اذهبوا بعبدي الى الجنة)(٣).

والصلاة تطفيء نيران الذنوب التي يوقدها الانسان بين الصلاة والصلاة، وهكذا جاء في الأثر المروي عن النبي -صلى الله عليه وآله-:

(ما من صلاة يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي الناس (أيها النّاس) قوموا الى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم)(٤).

١ ـ وهي من أبرز صفات المتقين الذين جاء القرآن هدى لهم، قال الله تعالى: «الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما

---

(١) بحار الانوار ج٧٩/ ص٢١٥ الحديث ٣٠.

(٢) ابراهيم/ ٣١.

(٣) بحار الانوار ج٧٩/ ص٢٠٤ الحديث ٤.

(٤) المصدر ص ٢٠٩ الحديث ٢١.

رزقناهم ينفقون»[١].

٢ ــ وقال الله تعالى: «طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين، هدى وبشرى للمؤمنين، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون»[٢].

٣ ــ اسمى الاعمال

وهي اسمى الاعمال الصالحة ومن اعظمها أجراً عند الله.

١ ــ قال الله تعالى: «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم»[٣].

وهكذا روي عن الامام أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ:

(لو يعلم المصلي ما يغشاه من جلال الله ما سره ان يرفع رأسه من السجود وقال: من اتى الصلاة عارفاً بحقها غفر له)[٤].

٢ ــ وهي افضل شكر على نعم الله الكثيرة (الكوثر) بل هي خير كثير (الكوثر) حيث يقول ربنا سبحانه:

«إنّا اعطيناك الكوثر، فصلّ لربك وانحر، ان شانئك هو الابتر»[٥].

٤ ــ شرط الولاية

١ ــ واقامة الصلاة من شرائط الولاية، فمن تولى المسلمين وجب عليه ان يقيم الصلاة فيهم، قال الله تعالى: «الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة»[٦].

---

(١) البقرة/ ١ - ٣.

(٢) النمل/ ١ - ٣.

(٣) البقرة/ ٢٧٧.

(٤) بحار الانوار ج٧٩/ ص٢٠٧ الحديث ١٢.

(٥) الكوثر/ ١ - ٣.

(٦) الحج/ ٤١.

٢ ــ وقال الله تعالى: «انما وليّكم الله ورسوله، والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة وهم راكعون»[١].

٣ ــ وقال ربنا سبحانه: «انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله»[٢].

وهؤلاء هم ولاة المساجد، وسدنة بيوت الله، وهم أولى الناس بها، لا الذين يعمرون ظاهر المساجد ويسعون في خراب واقعها، ويصدون الناس عن سبيل الله.

٤ ــ والصلاة كذلك شرط ولاية المؤمنين لبعضهم، (بعد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) اليست اقامة الصلاة شعارهم ورمز عبادتهم لله؟ قال الله تعالى:

«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله»[٣].

وهكذا يخرج من ترك صلاته متعمداً من حزب المؤمنين، ويحشر مع المنافقين، حسب الحديث المروي عن النبي ـصلى الله عليه وآلهـ:

(ولا تضيعوا صلاتكم فان من ضيع صلاته حشره الله مع قارون وفرعون وهامان، لعنهم الله واخزاهم، وكان حقاً على الله ان يدخله النار مع المنافقين، فالويل لمن لم يحافظ صلاته)[٤].

٥ ــ والصلاة تزيد التقوى وتردع مقيمها عن اتباع الشهوات، قال الله تعالى:

«ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»[٥].

٦ ــ وهي تذهب السيئات وقد قال ربنا سبحانه عن الصلاة: «ان الحسنات يذهبن السيئات»[٦].

---

(١) المائدة/ ٥٥.

(٢) التوبة/ ١٨.

(٣) التوبة/ ٧١.

(٤) بحار الانوار ج٧٩/ ص٢٠٢ الحديث ٢.

(٥) العنكبوت/ ٤٥.

(٦) هود/ ١١٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ ـ شعار المؤمنين

١ ـ والصلاة من شعائر الله التي تختصر القيم الثابتة في حياة المجتمع المؤمن ، ولابد ان تكون اطاراً للمتغيرات ، التي يتحاكمون فيها الى العرف والعقل عبر الشورى .

وقال الله تعالى : «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون»[١].

٢ ـ وقال سبحانه : «وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين»[٢] .

٣ ـ وهي ـ كذلك ـ محور اجتماعهم في يوم عيدهم ولقاءهم الاسبوعي (يوم الجمعة) فحول مائدة الصلاة يتواصل المؤمنون ، وانطلاقاً من محور الصلاة يديرون شؤونهم ويحلون مشاكلهم ، وهي ـ الى ذلك ـ ذكر الله في ذلك اليوم المشهود ، قال الله تعالى :

«يآ أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون»[٣].

٦ ـ الخشوع في الصلاة

١ ـ والخشوع في الصلاة علامة كمال الايمان ، ومعناه ـ حسبما يبدو من الآية التالية ـ الا يلهي المصلي عن ذكر ربه ، تجارة ، ولا بيع ، فاذا قام الى ربه يصلي لا يفكر في مصالحه أو ملاهيه ، وهذا من شروط بيوت العلم التي اذن الله لها ان ترفع وجعلها مشكاة لنوره ، وهكذا قال ربنا ـ بعد آية النور المعروفة ـ قال :

«في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب

---

(١) الشورى/ ٣٨ .

(٢) الانبياء/ ٧٣ .

(٣) الجمعة/ ٩ .

والابصار»[1].

٢ ـ الصلاة تعتبر معراج المؤمن الى الله، والضراعة فيها تعتبر قمة التوجه الى الله سبحانه وهي شرط الفلاح، ومبدأ فضائل الايمان.

وقال الله تعالى: «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون»[2].

٧ ـ اقامة الصلاة

١ ـ حفظ الصلاة يعني الاهتمام باداثها في أوقاتها وبشرائطها وآدابها وهو من علائم الايمان بالله وباليوم الآخر، قال الله تعالى: «والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون»[3].

٢ ـ والصلاة نافذة يطلع المؤمن من خلالها على رحاب الغيب، انها دعاء وذكر وتبتل وكلها حقائق غيبية، لذلك فان الذين يخشون الله بالغيب هم الذين يقيمون الصلاة ـ اي يؤدونها كما أمر الله ـ.

وقال الله تعالى: «انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه»[4].

٨ ـ الاستعانة بالصلاة

١ ـ وباقامة الصلاة، يتحدى المؤمنون محاولات الكفار الرامية الى ردهم الى الضلالة، لان الصلاة تورث اليقين في نفوس المؤمنين، وتبعث اليأس في قلوب الكفار، قال الله تعالى:

«ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره، ان الله على كل شيء قدير،

---

(١) النور/ ٣٦ - ٣٧.

(٢) المؤمنون/ ١ - ٢.

(٣) الانعام/ ٩٢.

(٤) فاطر/ ١٨.

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة»[1].

٢ ــ وهكذا الصلاة تعين المؤمنين على مكاره الدنيا ومصيباتها، والمؤمنون يستعينون بها على ما أصابهم وقال الله تعالى: «واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلّا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون»[2].

والاستعانة بالصلاة امر مستصعب (أوليست هذه الاستعانة دليل صدق الايمان بالله ؟) الا على الذين يخشعون ويظنون انهم ملاقوا ربهم.

٣ ــ واقامة الصلاة (النابعة من الايمان الخالص)، انها البر، وليس مجرد الوقوف واستقبال المشرق أو المغرب (المسجد الاقصى والمسجد الحرام). قال الله تعالى:

«ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة»[3].

فليس المطلوب مجرد التوجه تلقاء القبلة، وانما اقامة الصلاة بشرائطها، ومن شرائطها اقامة سائر احكام الشريعة الغراء.

٩ ــ اقامة الصلاة علامة المخبتين

١ ــ الاخبات درجة رفيعة في معراج الايمان، وللمخبتين علامات ابرزها انهم اذا ذكر الله وجلت قلوبهم، ومنها اقامة الصلاة حيث قال الله تعالى:

«وبشر المخبتين، الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم، والصابرين على ما اصابهم، والمقيمي الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون»[4].

٢ ــ ذلك ان الصلاة معراج الروح والسبيل الى رضوان الله، والمخبتون والتائبون والمنيبون يتخذونها وسيلة الزلفى، وهي تلك التجارة التي لن تبور، يقول الله سبحانه عن

---

(١) البقرة/ ١٠٩ - ١١٠.

(٢) البقرة/ ٤٥-٤٦.

(٣) البقرة/ ١٧٧.

(٤) الحج/ ٣٤ - ٣٥.

المنيبين :

«منيبين اليه واتّقوه، وأقيموا الصلاة، ولا تكونوا من المشركين»[1].

٣ ـــ ويقول ربنا سبحانه عن التجارة التي لن تبور والتي كانت من ـ اعظم اركانها ـ اقامة الصلاة.

«ان الذين يتلون كتاب الله، وأقاموا الصلاة، وانفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية، يرجون تجارة لن تبور»[2].

٤ ـــ وهكذا نتلو في آية اخرى عن قيام الليل حيث ميعاد المخبتين مع الله سبحانه. وقال الله تعالى :

«فأقرأوا ما تيسر منه، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأقرضوا الله قرضاً حسناً، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله، هو خيراً وأعظم أجراً، واستغفروا الله ان الله غفور رحيم»[3].

٥ ـــ وقد شرط الله على بني اسرائيل ونقبائهم ان يقيموا الصلاة، وشرط لهم ان يكون معهم ما داموا على هذا العهد، فقال ربنا سبحانه :

«ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله اني معكم، لان اقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً»[4].

١٠ ـــ المحافظة على الصلوات

١ ـــ ولان الصلاة معراج المؤمن وشعار عبوديته لله، ورمز اخلاصه لله، فان المؤمنين يحافظون عليها دائماً، وفي كل الظروف، قال الله تعالى :

«إن الانسان خلق هلوعاً، إذا مسّه الشرّ جزوعاً، وإذا مسّه الخير منوعاً، الا المصلّين،

---

(١) الروم/ ٣١.

(٢) فاطر/ ٢٩.

(٣) المزمل/ ٢٠.

(٤) المائدة/ ١٢.

الذين هم على صلاتهم دائمون»[1].

والمحافظة على الصلوات هي التي ترفع الانسان الى درجات الايمان السامية ، ومنها حفظه من الهلع على الدنيا ، وهكذا جاء في الحديث الشريف :

عن محمد بن سنان عن الرضا ـ عليه السلام ـ فيما كتب اليه من جواب مسائله : (ان علة الصلاة انما إقرار بالربوبية لله عزوجل ، وخلع الانداد ، وقيام بين يدي الجبار جل جلاله بالذل والمسكنة ، والخضوع ، والاعتراف ، والطلب للاقالة من سالف الذنوب ، ووضع الوجه على الارض كل يوم ، اعظاماً لله عزوجل ، وان يكون ذاكراً غير ناس ولا بطر ، ويكون خاشعاً متذللاً راغباً ، طالباً للزيادة في الدين والدنيا ، مع ما فيه من الايجاب والمداومة على ذكر الله عزوجل بالليل والنهار ، لئلا ينسى العبد سيده ومدبره وخالقه فيبطر ويطغى ويكون من ذكره لربه وقيامه بين يديه ، زاجراً له عن المعاصي ومانعاً له عن انواع الفساد) [2] .

٢ ــ وقال الله تعالى : **«والذين هم على صلاتهم يحافظون»[3].**

«والذين هم على صلواتهم يحافظون»[4].

١١ ــ اقامة الصلاة في كل حال

١ ــ قال الله تعالى : **«فاذا قضيتم الصلاة ، فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ، فاذا اطمأننتم ، فأقيموا الصلاة ، ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً»[5].**

في الحالات الاستثنائية (كالحرب) ينبغي ان نذكر الله ، اما عند الطمأنينة فالمفروض اقامة الصلاة (لا مجرد ذكر الله) والفرق بينهما كبير ، حيث ان اقامة الصلاة تعني : اقامتها بشروطها ، بينما الذكر يمكن بأية طريقة قياماً او قعوداً او على الجنوب ،

---

(١) المعارج/ ١٩ - ٢٣ .

(٢) وسائل الشيعة ج٣/ ص ٥ .

(٣) المعارج/ ٣٤.

(٤) المؤمنون/ ٩ .

(٥) النساء/ ١٠٣ .

وهكذا جاء في الحديث انه فات الناس مع أمير المؤمنين يوم صفين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة وأمرهم علي أمير المؤمنين فكبروا وهللوا وسبحوا رجالاً وركباناً لقول الله «فان خفتم فرجالاً أو ركباناً» فأمر علي فصنعوا ذلك . فان الصلاة لا تترك بأي حال ، لانها كانت كتاباً موقوتاً على المؤمنين ، ولانها لا تترك في حالة الحرب وهي أشد الحالات على الانسان ، وهذا ما نستلهم من هذه الآية :

٢ ــ «وإذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوّاً مبيناً»(١).

وهكذا يجب ان تقصر الصلاة في حالة الخوف ولكنها تبقى مكتوبة على الانسان لانها كتاب موقوت (ثابت).

وهكذا جاء في الحديث المأثور عن الامام الصادق -عليه السلام- في تفسير هذه الآية قال : كتاباً ثابتاً ، وليس ان عجلت قليلاً أو أخّرت قليلاً بالذي يضرك ، ما لم تضع فان الله عزوجل يقول :

«أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً» (٢) .

ومن هنا فقد وجبت الصلاة حتى عند المواجهة فقد قال الله تعالى :

«وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك ، وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلّوا فليصلّوا معك وليأخذوا حذرهم اسلحتهم»(٣).

١٢ ــ اقامة الصلاة شرط التوبة

١ ــ قال الله تعالى : «فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم»(٤) .

٢ ــ وقال الله تعالى : «فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في

---

(١) النساء/ ١٠١ .

(٢) الميزان ج ٥/ ص ٦٧ عن الكافي .

(٣) النساء/ ١٠٢ .

(٤) التوبة/ ٥ .

الدين»[1].

لان الصلاة رمز العبودية فان من يتوب الى الله كان عليه ان يثبت توبته بأقامة الصلاة.

٣ ــ وقال الله تعالى: «فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة»[2].

١٣ ــ اقامة الصلاة شعار الدعاة الى الله

١ ــ قال الله تعالى: «ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل افئدة من الناس..... رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء»[3].

الصلاة قيمة مهمة، وجوهر هذه القيمة صلة الانسان بالله سبحانه وتعالى، واما مظهر هذه القيمة فهي ذكر الله، والسجود لله، والركوع لله، وقراءة القرآن الكريم والدعاء وما اشبه.

ولذلك فانها من شعائر الدعاة الى الله، بل إنّها هدفهم الاساسي من بث الدعوة، فيا نستلهمه من إبراهيم -عليه السلام- الذي اسكن بعض ذريته عند البيت الحرام بهدف اقامة الصلاة.

٢ ــ وهكذا كان النبي اسماعيل يأمر أهله بالصلاة. قال الله تعالى:
«وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً»[4].

٣ ــ وفرض الله على الرسول -صلى الله عليه وآله-، ومن ثم على أمته: ان يأمر أهله بالصلاة فقال:

---

(١) التوبة/ ١١.

(٢) المجادلة/ ١٣.

(٣) ابراهيم/ ٣٧ - ٤٠.

(٤) مريم/ ٥٥.

«وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها»[1].

٤ ــ وكانت تلك وصية لقمان لابنه، فقال الله تعالى:

«يا بني اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر»[2].

١٤ ــ الصلاة شعار الامّة الاسلاميّة

١ ــ والصلاة من أبرز علائم الأمّة الاسلامية حيث قال ربنا سبحانه:

«ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا، ليكون الرسول شهيداً عليكم، وتكونوا شهداء على النّاس، فأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة واعتصموا بالله»[3].

٢ ــ واقامة الصلاة كانت كذلك ضمن بنود الميثاق التي كتبها الله على بني اسرائيل حيث قال الله تعالى:

«وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلّا الله، وبالوالدين إحساناً، وذي القربى واليتامى والمساكين، وقولوا للنّاس حسناً، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة ثم توليتم إلّا قليلاً منكم وأنتم معرضون»[4].

٣ ــ ولان الصلاة شعار المسلمين، فان من أبرز شروط قبول توبة المشركين اقامتهم للصلاة، قال الله تعالى:

«فإذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم وأقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم»[5].

١٥ ــ الصلاة تزكية النفس

درجات المؤمن تتسامى بصلاته؛ فكلما حافظ عليها أكثر وأقامها بشروطها، بل

---

(١) طه/ ١٣٢.

(٢) لقمان/ ١٧.

(٣) الحج/ ٧٨.

(٤) البقرة/ ٨٣.

(٥) التوبة/ ٥.

وأكثر منها ومن الخشوع فيها ، كلما ازدادت صلته بالله سبحانه ، وقربه منه ـ وبالتالي ـ انعكست هذه الصلة على ابعاد حياته .

١ ـ فالصلاة تورث التقوى ، والتقوى تنهى النفس عن مرديات الهوى ، وهكذا قال ربنا سبحانه : «إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر»[1].

٢ ـ والصلاة تقرب الإنسان من ربه ، فيزداد اخلاصاً وتوحيداً وطهراً من درن الشرك ، قال الله تعالى :

«قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ، وان أقيموا الصلاة ، واتّقوه وهو الذي إليه تحشرون»[2].

٣ ـ وقال ربنا سبحانه : **«وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون»**[3].

افلا ترى كيف جاءت اقامة الصلاة مباشرة بعد الامر بالتوحيد واخلاص العبودية لله ، وفي الآية الثانية ارتبطت إقامة الصلاة بطاعة الرسول لان اقامة الصلاة تزكي النفس وتهيئها لقبول طاعة الرسول .

وهكذا كانت الصلاة افضل زلفى لانها تخرق حجاب الشرك ، وقد جاء في الحديث . المروي عن يزيد بن خليفة قال : سمعت أباعبدالله ـ عليه السلام ـ يقول : (إذا قام المصلّي الى الصلاة نزلت عليه الرحمة من اعنان السماء الى الأرض ، وحفت به الملائكة ، وناداه ملك : لو يعلم هذا المصلّي ما في الصلاة ما انفتل) [4] .

٤ ـ والصلاة تورث الاحسان ، وانما المحسنون هم الذين يقيمونها قال الله تعالى :

«هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون»[5].

---

(١) العنكبوت/ ٤٥ .

(٢) الانعام/ ٧١ - ٧٢ .

(٣) النور/ ٥٥ - ٥٦ .

(٤) الوسائل ج٣/ ص ٢١ .

(٥) لقمان/ ٣ - ٤ .

٥ ــ والصلاة من اهم العبادات التي تزكي النفس وترفعها الى درجة الكمال الاسمى، قال الله تعالى: «إنّ الإنسان خلق هلوعاً إذا مسّه الشرّ جزوعاً وإذا مسّه الخير منوعاً إلّا المصلّين الذين هم على صلاتهم دائمون»[1].

٦ ــ واقامة الصلاة تساهم في تنمية روح الاصلاح في النفس، والمصلون هم المصلحون قال الله تعالى:

«والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة إنّا لا نضيع اجر المصلحين»[2].

٧ ــ واقامة الصلاة من آيات الاخلاص في الدين، قال الله تعالى:

«وما أمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة»[3].

٨ ــ وقال الله تعالى: «انني أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري»[4].

١٦ ــ الصلاة ذكر

١ ــ جوهر الصلاة وحقيقتها انها ذكر الله وحده، فهي رمز العبودية لله، ودليل التسليم وعلامة الايمان وآية الاخلاص، من هنا قال ربنا سبحانه وهو يبين فائدة الصلاة وانها تنهى عن الفحشاء والمنكر قال سبحانه:

«ولذكر الله أكبر»[5].

٢ ــ وقال ربنا سبحانه:

«أقم الصلاة لذكري»[6].

٣ ــ وقال ربنا سبحانه:

---

(١) المعارج/ ١٩ - ٢٣.

(٢) الاعراف/ ١٧٠.

(٣) البيّنة/ ٥.

(٤) طه/ ١٤.

(٥) العنكبوت/ ٤٥.

(٦) طه/ ١٤.

«قد أفلح من تزكّى وذكر اسم ربه فصلّى»[1].

٤ ــ وقال ربنا سبحانه:

«الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار»[2].

٥ ــ ولانها ذكر فانها لا تترك بحال بل تجب مادامت الحياة، وقد قال ربنا سبحانه:

«وجعلني مباركاً أين ما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيّاً»[3].

٦ ــ وقال الله تعالى: «انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله، وعن الصلاة، فهل انتم منتهون» [4].

من هذه الآية نستلهم ان الصلاة لون من ألوان الذكر، وان بيانها من باب التأكيد على هذا اللون من الذكر باعتباره الذكر الاتم.

٧ ــ وقال ربنا سبحانه: «وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل، ان الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين»[5].

وهكذا كانت الصلاة ذكرى للذاكرين.

٨ ــ وقال ربنا سبحانه: «يآ أيّها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله»[6].

١٧ ــ أحكام الصلاة

هناك قيم تتصل بالصلاة، وحسن اقامتها، أبرزها المحافظة عليها والاستمرار بها وقد

---

(١) الاعلى/ ١٤ - ١٥.

(٢) آل عمران/ ١٩١.

(٣) مريم/ ٣١.

(٤) المائدة/ ٩١.

(٥) هود/ ١١٤.

(٦) الجمعة/ ٩.

تلونا آياتها .

١ ـــ ومن شرائع اقامة الصلاة البدء بالطهارة حيث يقول ربنا سبحانه :

«يآ أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأمسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطّهّروا» (١).

٢ ـــ ومن شرائع الصلاة التسبيح حيث يقول ربنا سبحانه :

«وسبحوه بكرة وأصيلاً هو الذي يصلي عليكم وملائكته» (٢).

٣ ـــ كذلك الاعتدال بين الجهر والاخفات فيها قال الله تعالى :

«ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً» (٣).

٤ ـــ وقد بين الله أوقات الصلاة حيث قال ربنا سبحانه :

«أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل، وقرآن الفجر، ان قرآن الفجر كان مشهوداً» (٤).

فهي ثلاث مواقيت لخمس فرائض في أصل الشرع، ومن جعلها خمساً كان قد أحسن صنعاً.. أوّلها دلوك الشمس (الظهر والعصر) وثالثها مقارنة الفجر (صلاة الصبح) وبينهما صلاة المغرب والعشاء عند غسق الليل.

٥ ـــ وفي منتصف الليل ندب القرآن المسلمين الى التهجد، بينما فرض على النبي والسابقين من الامّة، قال الله تعالى: **«يآ أيها المزمل قم الليل إلّا قليلاً»** (٥).

٦ ـــ وقال الله تعالى: **«ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً»** (٦).

٧ ـــ ومن شرائع الصلاة الخشوع فيها قال الله تعالى :

---

(١) المائدة/ ٦.

(٢) الاحزاب/ ٤٢ - ٤٣.

(٣) الاسراء/ ١١٠.

(٤) الاسراء/ ٧٨.

(٥) المزمل/ ١ - ٢.

(٦) الاسراء/ ٧٩.

«قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون»[1].

٨ ــ كذلك الصلاة في المساجد مع المؤمنين قال الله تعالى:

«وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأركعوا مع الراكعين»[2].

٩ ــ وقال ربنا سبحانه: «يآ أيّها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون»[3].

١٨ ــ صلاة المنافق تصدية

١ ــ الصلاة ميزان بها نعرف المؤمن عن المنافق، فمن خشع في صلاته وحافظ عليها واتقى وانفق وأحسن، فإنّه قد أقام الصلاة وكان من المؤمنين حقّاً، ومن ألهاه البيع والتجارة عن الصلاة وسهى عنها، وإذا قام اليها قام كسلان، فإنّ كل ذلك علامة نفاقه، قال الله تعالى: «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون»[4].

٢ ــ وقال ربنا سبحانه: «وإذا قاموا إلى الصّلاة قاموا كسالى»[5].

٣ ــ وقال سبحانه: «ولا يأتون الصّلاة إلّا وهم كسالى»[6].

فبينما المؤمنون يسارعون الى الصلاة، ويسعون اليها سعياً، ترى المنافقين لا يأتونها إلّا وهم كسالى.

ومن هنا كانت الصلاة معياراً لمعرفة المؤمن عن المنافق، ولمعرفة درجات المؤمنين، فقد جاء في الحديث المأثور عن هارون بن خارجة قال: ذكرت لأبي عبدالله رجلاً من

---

(١) المؤمنون/ ١ - ٢.

(٢) البقرة/ ٤٣.

(٣) الجمعة/ ٩.

(٤) الماعون/ ٤ - ٧.

(٥) النساء/ ١٤٢.

(٦) التوبة/ ٥٤.

أصحابنا فأحسنت عليه الثناء فقال لي : (كيف صلاته ؟) [1] .

٤ ــ اما المشركون فقد كانت صلاتهم ودعائهم عند البيت مكاء وتصدية وقال الله تعالى عنهم : «وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية» [2].

وروى العياش عن الصادق -عليه السلام- في تفسير هذه الآية قال : «التصفير والتصفيق» [3] .

وروي عن سعيد بن جبير -رض- قال : كانت قريش تعارض النبي في الطواف يستهزئون ويصفرون ويصفقون فنزلت الآية هذه [4] .

٥ ــ اما الكفار فقد كانوا يستهزئون بالصلاة بالرغم من ان أي انسان سوي يحترم الفرد الذي يناجي ربه ، ويعتبر ذلك نوعاً من التسامي ، بشهادة عقله وفطرته .

قال الله تعالى عنهم : «وإذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً» [5].

١٩ ــ الذين يضيعون الصلاة

١ ــ اما جزاء الذين يضيعون الصلاة أو يتركونها فهو فقدان المناعة عن الشهوات ، قال الله تعالى :

«فخلف من بعدهم خلفٌ اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات» [6] .

٢ ــ وقد يستدرجه ترك الصلاة الى التكذيب والإبتعاد عن الصراط السوي .

قال الله تعالى : «فلا صدّق ولا صلّى ولكن كذّب وتولّى» [7] .

٣ ــ وقد يستدرجه ذلك الى الصد عن سبيل الله ونهي المؤمنين عن الصلاة ، قال

---

(١) الوسائل ج٣/ ص ٢١ .

(٢) الانفال/ ٣٥ .

(٣) تفسير الميزان ج٩/ ص ٨٦ .

(٤) المصدر ص ٨٥ .

(٥) المائدة/ ٥٨ .

(٦) مريم/ ٥٩ .

(٧) القيامة/ ٣١ - ٣٢ .

الله تعالى :

«أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى»[1].

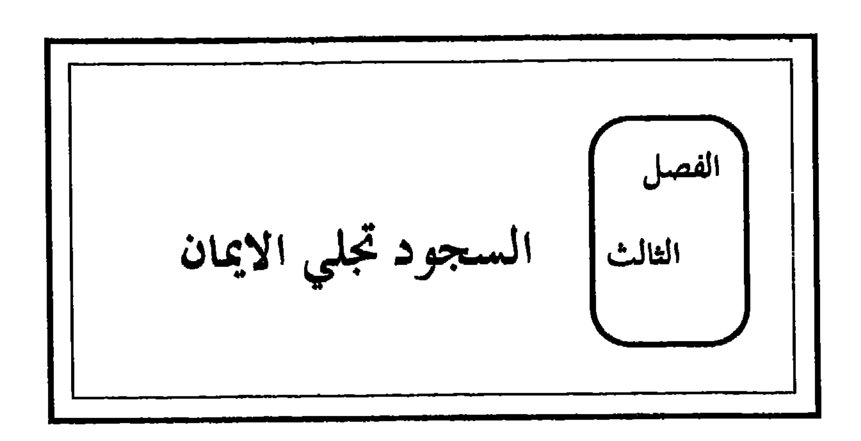
٤ ــ وعقبى كل ذلك نار لظى حيث يعترفون ـ بحسرة ـ بأنهم تركوا الصلاة، فتركوا كل احسان ومعروف، وكان مصيرهم الى النار، حيث يقول ربنا سبحانه :

«كل نفس بما كسبت رهينة إلّا أصحاب اليمين في جنّاتٍ يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلّين، ولم نك نطعم المسكين وكنّا نخوض مع الخائضين وكنّا نكذّب بيوم الدّين»[2].

---

(١) العلق/ ٩ - ١٠ .

(٢) المدّثر/ ٣٨ - ٤٦ .



الفصل الثالث السجود تجلي الايمان

السجود لله تعبير عن منتهى الخضوع، وحين يكون الانسان ساجداً ينسجم مع حقيقة ذاته، التي هي الغاية في المسكنة والضعف، والحاجة الى رب العزّة (ولذلك فهو يكون أقرب الى العبودية).

ولذلك أمر الدين بإطالة السجود لانها تغضب ابليس فقد جاء في حديث مأثور عن أمير المؤمنين -عليه السلام- انه قال: (اطيلوا السجود، فما من عمل أشد على ابليس من أن يرى ابن آدم ساجد، لانه أُمر بالسجود فعصى، وهذا أُمر بالسجود فأطاع ونجا)(١).

١ ــ الخليقة تسجد لله تعالى:

كما يكون حينذاك منسجماً مع سائر الخليقة. وعلاقة السجود بالإيمان، هي علاقة الكلمة بمعناها، فبالسجود يعبر المؤمن عن حقيقة ايمانه وتسليمه لله سبحانه.

١ ــ والله سبحانه هو الخالق الذي استوى على عرش الملك يدبر امر خلقه، فكل شيء ساجد له (خاضع) شاء أم أبى قال الله تعالى: «والنجم والشجر يسجدان»(٢).

٢ ــ وكل من في السموات والارض (من ملك أو جنّ أو خلق يشعر) فإنّه يسجد لله -طوعاً وكرهاً- وحتى ظلالهم التي تنعكس من حركة اجسادهم هي الاخرى تسجد لله

---

(١) بحار ج٨٢/ ص ١٦١ رواية ٢.

(٢) الرحمن/ ٦.

(وتخضع لسنن الله ولعل ذلك اشارة الى مدى خضوع ما في الكون لرب العرش).

قال الله تعالى: «ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والآصال»[1].

وكان النبي -صلى الله عليه وآله وسلّم- يقول في سجوده لربه: (سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي).

وسواء المؤمن أو المشرك، وسواء البشر او الملك، انهم يسجدون لله سبحانه في الشدائد، وعند صفاء نفوسهم.

٣ ـ اما من لا يسجد لله طوعاً، فان جوارحه تسجد له كرهاً، لإنّها خاضعة لقدرة الرب سبحانه، وقال الله تعالى:

«ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدّواب وكثير من النّاس وكثير حقّ عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إنّ الله يفعل ما يشاء»[2].

٤ ـ والذين هم عند الله (الملائكة) لا يستكبرون عن عبادة الله، فلماذا نتخذهم، من دونه اولياء، وهم يسجدون لله؟

وقال الله تعالى: «إنّ الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون»[3].

فسجودهم وتعبدهم ليس لغير الله، ومن السفاهة ان نتخذهم اولياء من دون الله، كما فعل المشركون بالله بل علينا ان نخلص العبادة والتسبيح والسجود لله.

أمّا سجود الملائكة لآدم فلانه كان بأمر الله فقد كان لله، وهكذا سأل الزنديق من الإمام الصادق -عليه السلام- قائلاً أيصلح السجود لغير الله؟ قال: (لا) قال: فكيف أمر الله الملائكة بالسجود؟ فقال: (إنّ من سجد بأمر الله فقد سجد لله فكان سجوده لله

(١) الرعد/ ١٥.

(٢) الحج/ ١٨.

(٣) الاعراف/ ٢٠٦.

إذ كان عن أمر الله)[١].

٢ ـــ السجود عبادة المؤمنين :

١ ـــ والسجود مظهر التعبد لله ، ولابد من جعله خالصاً لوجهه .

وقال الله تعالى : «فاسجدوا لله واعبدوا»[٢].

٢ ـــ والسجود لغة الايمان ، وعدل الركوع . وقد أمر الله به ، تعظيماً له ، وتكريماً للمؤمنين ووسيلة للزلفى ، قال الله سبحانه :

«يا أيها الذين آمنوا أركعوا وأسجدوا وأعبدوا ربكم»[٣].

وعن أبي بصير قال : قال أبو عبدالله الصادق ـعليه السلام ـ : (يا أبا محمد ، عليك بطول السجود فإن ذلك من سنن الأوّابين)[٤].

وجاء عن الامام الرضا ـعليه السلام ـ فيما كتبه للمأمون انه قال : (ومن دين الائمة ـعليهم السلام ـ الورع والعفة والصدق والصلاح وطول السجود)[٥].

٣ ـــ والسجود ميعاد البشر للحديث مع رب العزة عبر التسبيح والتحميد ، وحين نسبح الله ، فإنّما بحوله وبقوته وبكل النعم التي تستوجب الحمد لله نسبحه ، فالتسبيح يكون بحمد الله يقول الله سبحانه :

«فسبّح بحمد ربك وكن من الساجدين»[٦].

ونستلهم من قوله سبحانه «وكن من الساجدين» ان السجود لله يجعل المؤمن في زمرة الملائكة او الصالحين الذين يسجدون له سبحانه ، او إنّه أمر بالسجود في صلاة الجماعة .

---

(١) بحار الانوار ج١١/ ص١٣٨ رواية ٢ .

(٢) النجم/ ٦٢ .

(٣) الحج/ ٧٧ .

(٤) بحار ج٨٢/ ص ١٦٢ رواية ٤ .

(٥) بحار ج٨٢/ ص ١٦٢ رواية ٥ .

(٦) الحجر/ ٩٨ .

٣ ــ علاقة السجود بالصّلاة:

والسجود -بذاته- مأمور به ومفروض على المؤمن، وقد جعل ركناً أساسيّاً للصّلاة، وهكذا يؤدي الفرض من السجود عبر اداء الصلاة، ولكنّه يبقى مندوباً، وقد يصبح واجباً عندما تتلى آيات خاصة من القرآن.

١ ــ والسجود هو السقوط على الارض بوضع الجبهة عليها (ولعل الخرور على الاذقان تمهيداً لوضع الوجه والجبهة بالذات عليها) ثم تسبيح الله وتحميده والبكاء والخشوع، وبهذا يفصل القرآن القول في السجدة التّامة بشرائطها ومواعيدها واذكارها، قال الله تعالى:

«قل آمنوا به اولا تؤمنوا، إنّ الذين اوتوا العلم من قبله، إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجّداً، ويقولون: سبحان ربنا، إن كان وعد ربنا لمفعولاً، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً»[١].

ويبين حديث شريف حكمة السجود وبالذات في الصلاة فيقول: وقد سئل الامام أمير المؤمنين -عليه السلام- عن معنىٰ السجود، فقال: (معناه منها خلقتني يعني من التراب، ورفع رأسك من السجود معناه منها أخرجتني، والسجدة الثانية، واليها تعيدني، ورفع رأسك من السجدة الثانية، ومنها تخرجني تارة أخرى، ومعنى قوله:

«سبحان ربي الأعلى» فسبحان أنزه، وربي خالقي، والأعلى أي، علا وأرتفع في سماواته، حتى صار العباد كلهم دونه وقهرهم بعزته، ومن عنده التدبير وإليه تعرج المعارج)[٢].

٢ ــ ويبدو: إنّ إضافة الركوع، أو القيام، الى السجود، تعطي معنى الصلاة، فهيئة الصلاة: قيام وركوع وسجود. ومحتواها ذكر الله تعالى.

قال الله تعالى: **«الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين»**[٣].

---

(١) الاسراء/ ١٠٧ - ١٠٩.

(٢) بحار ج٨٢/ ص ١٣٩ رواية ٢٤.

(٣) التوبة/ ١١٢.

٣ ــ واذا كان السجود في اناء الليل (وبالذات عند ادبار النجوم) وكانت حالة الساجد التبتل والقنوت والحذر والرجاء، فان ذلك يورثه نوراً وهدى وزلفى إلى الله سبحانه.

وقال الله تعالى: «أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه»[1].

والسجود بالليل (كما القيام فيه) والتسبيح آناءه من علائم الايمان، ومن صفات المتقين، قال الله سبحانه:

«ومن الليل فاسجد له وسبّحه ليلاً طويلاً»[2].

٤ ــ والسجود الصفة المناقضة لحالة الطغيان، وعند مواجهة الطغاة، أو عوامل الطغيان، مثل الغنى، فان علينا السجود للتقرب به الى الله.

وقال الله تعالى: «كلاّ لا تطعه واسجد واقترب»[3].

٥ ــ ومن هذه الآية نستوحي إنّ الإنسان يكون أقرب شيء إلى الله عند السجود.

وروي عن زيد الشحام انّه قال: قال أبو عبدالله الصادق ـ عليه السلام ـ: (أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد)[4].

٦ ــ وكذلك أمر الله الصديقة مريم ان تقنت لله وتسجد له فقال الله سبحانه:

«يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين»[5].

٤ ــ سجود الملائكة عنوان الطاعة:

١ ــ ولأن هيئة السجود، هي ابلغ هيئة دلالة على التعبد لله، والخضوع لجلاله، فقد ابتلي الملائكة به، حينما امرهم الله بالسجود لآدم، للدلالة على انهم مطيعون فعلاً

---

(١) الزمر/ ٩.

(٢) الانسان/ ٢٦.

(٣) العلق/ ١٩.

(٤) بحار ج٨٢/ ص ١٦٣ رواية ٩.

(٥) آل عمران/ ٤٣.

لأمره، فسجدوا جميعاً إلّا ابليس، فانه رفض، ورفضه كان بسبب استكباره.

قال الله تعالى: «فسجد الملائكة كلهم اجمعون إلّا إبليس استكبر»[1].

٢ ــ ولعل افتخاره بأنه قد خلق من النار (لأنه كان في الأصل من الجنّ) دعاه إلى الاستكبار.

قال الله تعالى: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس كان من الجنّ»[2].

٣ ــ وقد عبر عن رفضه للسجود ـ بكل صراحة ـ حيث قال الله سبحانه:

«وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس أبى»[3].

٤ ــ ولم يبق احد من الملائكة إلّا وقد سجد لآدم اطاعة لأمر الله (بالرغم من انهم قد تساءلوا منذ البدء عن حكمة خلقه).

قال الله تعالى: «فسجد الملائكة كلّهم اجمعون إلّا إبليس أبى»[4].

٥ ــ ولم ينظر إبليس الى عظمة الله، وان عليه ان يطيع أمره سبحانه بلا جدال، ولكنّه نظر إلى أصل آدم حيث قال الله تعالى:

«وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً»[5].

٥ ــ السجود لغير الله ضلالة:

١ ــ السجود للشمس دليل على الضلالة التي كان فيها قوم سبأ، حيث زين لهم الشيطان اعمالهم (فلم يرق لهم ترك العادات السيئة التي كانوا عليها) فصدّهم عن سبيل الله ودعاهم إلى السجود للشمس من دون الله، هو الذي يخرج ما ستّر (والشمس بمجرد

---

(١) ص/ ٧٣ - ٧٤.

(٢) الكهف/ ٥٠.

(٣) طه/ ١١٦ والبقرة/ ٣٤.

(٤) الحجر/ ٣٠ - ٣١.

(٥) الاسراء/ ٦١.

مخلوق مسخر في هذا الكون) قال الله تعالى :

«وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون»[1].

٢ ـ والبعض يرفض السجود لله لان النبي أمره به، وهو يريد ان يتحدى امر الرسول، لما في قلبه من كبر (وهكذا يؤدي عصيان الرسول الى عصيان الله).

قال الله تعالى : «قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً»[2].

٣ ـ من صفات المؤمنين انهم يخرون على الأذقان عند تلاوة آيات القرآن، وبعكسهم ـ تماماً ـ الكفار والمنافقون حيث لا يسجدون عند تلاوة الكتاب.

قال الله تعالى : «وإذا قريء عليهم القرآن لا يسجدون»[3].

٤ ـ والبعض، يتخذ الشمس والقمر وجهة سجوده؛ ظناً منه بأن تأثيرهما عليه، وعلى حياته يستدعي الخضوع لهما، كلاّ، انما السجود لله خالقهما وخالق الليل والنهار.

قال الله تعالى : «ومن آياته الليل والنّهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم ايّاه تعبدون»[4].

الشمس والقمر لا يجريان في فراغ، وانما هما مسخران بأمر الله، وتحيط بهم سنن الله التي من دونها تفسدان وتهلكان. إذاً السجود لله لا لهما. ونستوحي من الآية ان السجود لله آية العبادة حيث قال ربنا :

«إن كنتم ايّاه تعبدون».

---

(١) النمل/ ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) الفرقان/ ٦٠.

(٣) الانشقاق/ ٢١.

(٤) فصّلت/ ٣٧.

في رحاب الأحاديث

كثرة السجود تحط الذنوب

عن الامام الصادق -عليه السلام- قال: (جاء رجل الى رسول الله -صلى الله عليه وآله- فقال: يا رسول الله كثرت ذنوبي وضعف عملي، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: اكثر السجود، فانه يحط الذنوب، كما تحط الريح ورق الشجر)(١).

وقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (من سجد سجدة حط عنه بها خطيئته، ورفع له بها درجة)(٢).

طول السجود من صفات الرسول -صلى الله عليه وآله-

عن أمير المؤمنين -عليه السلام- قال: (جاء رجل الى النبي -صلى الله عليه وآله- فقال: علمني عملاً يحبني الله عليه، ويحبني المخلوقون، ويثري الله مالي، ويصح بدني، ويطيل عمري، ويحشرني معك، قال هذه ست خصال تحتاج الى ست خصال إذا أردت أن يحبك الله فخفه واتقه، واذا أردت ان يثري الله مالك فزكه، واذا أردت ان يصح الله بدنك فأكثر من الصدقة، واذا أردت ان يطيل الله عمرك فصل ذوي أرحامك، واذا

(١) بحارج ٨٢/ ص ١٦٢ رواية ٦.

(٢) بحارج ٨٢/ ص ١٦٣ رواية ٨.

أردت ان يحشرك الله معي ، فأطل السجود بين يدي الله الواحد القهار)[1].

اطالة السجود عنوان الطاعة

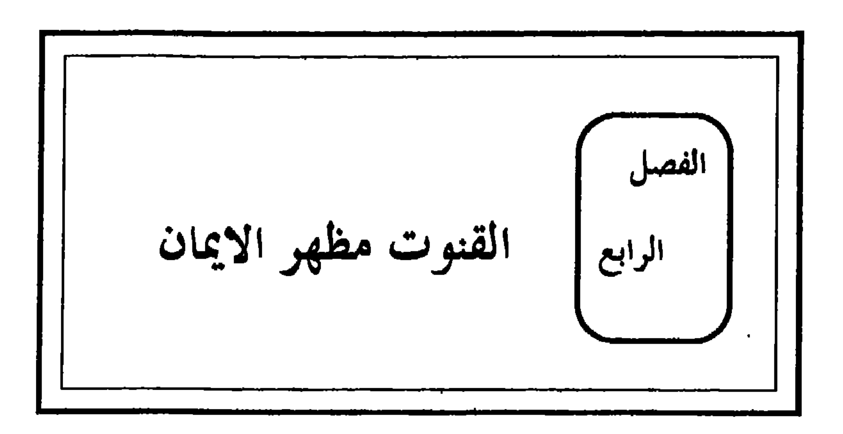
عن أبي اسامة قال سمعت أبا عبدالله الصادق -عليه السلام- يقول : (عليكم بتقوى الله ، والورع والاجتهاد ، وصدق الحديث واداء الامانة ، وحسن الجوار، وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم ، وكونوا زينا ، ولا تكونوا شيناً ، وعليكم بطول السجود والركوع ، فان احدكم إذا طال الركوع والسجود ، يهتف إبليس من خلفه ويقول : يا ويلتاه اطاعوا وعصيت ، وسجدوا وأبيت)[2] .

---

(١) بحار ج٨٢/ ص ١٦٤ رواية ١٢ .

(٢) بحار ج٨٢/ ص ١٣٥ رواية ١٥ .





١ ــ الخليقة قانتة :

القنوت أحد مظاهر الايمان ، ويحدد العلاقة بين العبد وربه الجبار، وقنوت العبد لله بحسن اختياره، تعبير عن قنوت السموات والارض له طوعاً وكرهاً ، فكل شيء مسلم لرب العرش تسليماً مطلقاً ودائماً ، فلماذا يتمرد البشر؟

١ ــ عندما زعم المنحرفون من اليهود والنصارى تبعاً للفلاسفة اليونان، ان لله ولداً، نفى القرآن ذلك مستدلاً بأن قنوت السموات والارض أظهر برهان على انها مخلوقات لله ، وليست فيوضات مترشحات من ينبوع الربوبية كما زعم الفلاسفة .

قال الله تعالى : «سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون»(١).

٢ ــ وقال الله تعالى : «وله من في السموات والارض كل له قانتون»(٢).

٢ ــ قوموا لله قانتين :

١ ــ وكما الطبيعة قانتة ، كذلك على البشر ان يقنتوا خاضعين لله عند اقامة صلواتهم المكتوبة ، قال الله تعالى :

---

(١) البقرة/ ١١٦.

(٢) الروم/ ٢٦.

«حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين»[1].

من مظاهر التسليم لله، المحافظة على الصلوات، واقامتها بأوقاتها، وفي جميع الحالات، حتى في وسط الظهيرة، وكذلك عند احتدام القتال. والقنوت لله، لا يكون قنوتاً انطوائياً، بل قنوتاً يبعث على القيام والتصدي لشؤون الحياة (من هنا جاء الأمر بالقيام).

٢ ــ فالقنوت هو الحالة النفسية للتسليم المطلق لله سبحانه، حيث يقول ربنا عن إبراهيم: «إنّ إبراهيم كان امة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين»[2].

٣ ــ ويبدوا ان القنوت من الدرجات العليا في التسليم، وكما ان الدوام والاستمرار ملحوظ في معنى القنوت ـحسبما يبدو ـ.

فعن الامام أبي جعفر الباقر ـعليه السلام ـ في قوله «قوموا لله قانتين» قال: (مطيعين راغبين).

وكذلك روي عن الامام أبي عبدالله الصادق ـعليه السلام ـ في قوله: «قوموا لله قانتين» قال: (اقبال الرجل على صلاته، ومحافظته على وقتها)[3].

٣ ــ القنوت علامة الايمان:

١ ــ وبما ان الايمان يقتضي التسليم للحق، فان القنوت الظاهري (مثل خشوع الجوارح ـ والسكوت والخنوع) يكون من خصائصه، فحين يخشع القلب تخشع الجوارح قال الله تعالى:

«الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار»[4].

٢ ــ وقال الله تعالى: «والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات»[5].

---

(١) البقرة/ ٢٣٨.

(٢) النحل/ ١٢٠.

(٣) بحار الانوار ج ٨٢/ ص ٢٠١ رواية ١٤.

(٤) آل عمران/ ١٧.

(٥) الاحزاب/ ٣٥.

٤ ــ الصالحات قانتات:

١ ــ والقنوت ينعكس على السلوك في صورة الاستعداد لتقبل الامر وهو ـ بهذا المعنى ـ من صفات المسلمات الصالحات، قال الله تعالى:

«عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكاراً»[1].

٢ ــ والصلاح عند المرأة (فيا يخص جانب العلاقة الزوجية) يتمثل في القنوت وهي الحالة المقابلة للتمرد، فاذا كانت القيمومة للرجال، كان عليها الطاعة لله ولمن جعله الله وليّاً عليها.

قال الله تعالى: «فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله»[2].

٣ ــ وقال الله تعالى: «ومن يقنت منكنّ لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرّتين»[3].

٤ ــ وقال الله تعالى عن الصّديقة مريم ـ عليها السلام ـ: «وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين»[4].

فتلك صفة مثلى للمرأة الصالحة، القنوت لله وللرسول.

٥ ــ القنوت والتهجد:

١ ــ وعندما يسدل الليل ستاره، يقف المؤمن خاشعاً امام ملكوت ربه، ملتمساً نفحات رحمته، مبتغياً رضاه، قال الله تعالى:

«أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً، يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه، قل هل

---

(١) التحريم/ ٥.

(٢) النساء/ ٣٤.

(٣) الاحزاب/ ٣١.

(٤) التحريم/ ١٢.

يستوي الذين يعلمون، والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب»[1].

ونستفيد من الآية ان عقبى القنوت العلم، ووعي الحقائق ببصائر اليقين.

وجاء عن النبي -صلى الله عليه وآله- انه قال: (اطولكم قنوتاً في دار الدنيا اطولكم راحة يوم القيامة في الموقف)[2].

٢ ـ وبالرغم من ان الخشوع لله صفة حسنة، لمن آمن الا ان آيات الذكر خصت النساء به اكثر فجاء الخطاب الى مريم الصدّيقة بالقنوت قال الله تعالى:

«يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين»[3].

---

(١) الزمر/ ٩.

(٢) بحار الانوار ج٨٢/ ص ١٩٩ رواية ٧.

(٣) آل عمران/ ٤٣.

الباب الخامس

الايمان ؛ استغفار وتوبة



صفوة القول

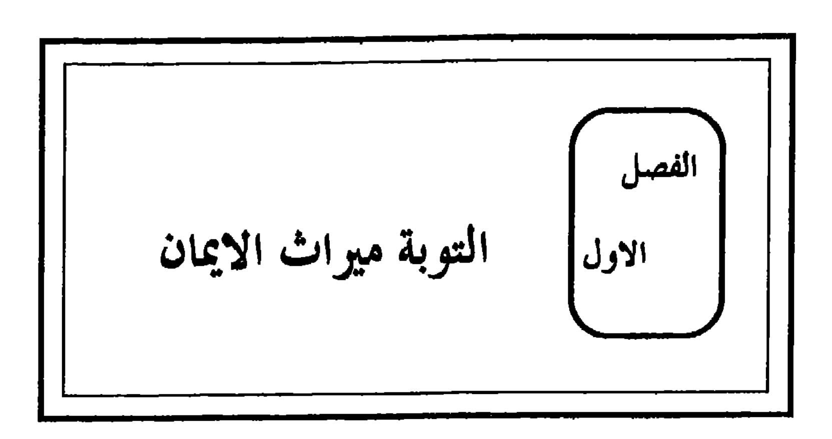
التوبة: قيمة ايمانية، تبدأ بالندم وتمر عبر العزم على ترك المعصية، وتنتهي بإصلاح ما أفسده الذنب، والله سبحانه هو التوّاب على عباده، وتوبته شاملة.

ومن وسائل العبد لقبول التوبة استغفار الرسول للعبد.

ومن مظاهر التوبة الاستغفار، اذا تجلى اسم من اسماء الله في ضمير المؤمن، عرف مدى تقصيره في جنبه فاستغفره، فالله واحد احد وهو الذي أنشأنا من الأرض واستعمرنا فيها فعلينا ان نستغفره، وأحلى ساعات الاستغفار السحر. والاستغفار وصيّة الأنبياء -عليهم السلام- للأمم. والاستغفار في مواقع الصبر والشكر.

والاستغفار تحيّة العودة الى الرب، والانابة إليه، والنبي يستغفر للمؤمنين.





١ ــ التوبة ميراث الايمان

لان الله قد خلق الانسان من نطفة أمشاج، ولانه يبتليه دوماً، فان الانسان يتعرض للسقوط كثيراً، ولكن لان الله يعلم مراكز ضعف البشر، فلقد فتح امامه، أبواب التوبة، ودعاه إلى الدخول الى فسيح رحمته.

والتوبة الى الله ميراث الايمان به، فان البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والقلب الطيب لا يرتاح إلى الذنب، ولا يزال يطهر نفسه منه، حتى لا يبقى له فيه أثر.

وليس الايمان بالله مجرد كلمة تتردد على الشفاه، انما هو نور وروح وسكينة، ولذلك فهو لا يتفق والذنب، ولولا التوبة ومعرفة المؤمن برحمة ربه، لمات بعد الذنب حزناً.

١ ــ من هنا أمر الله المؤمنين بالتوبة قائلاً:

«يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً»[١].

ويتصل الايمان والتسليم بالتوبة في قوله تعالى:

«اني تبت إليك وانّي من المسلمين»[٢].

بينما الاصرار على الذنب قيمة مضادة تتصل بالافساد. فعن أبي جعفر ـ عليه

---

(١) التحريم/ ٨.

(٢) الاحقاف/ ١٥.

السلام- في قول الله :

«ومن يغفر إلّا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون»

قال : (الإصرار ان يذنب العبد ولا يستغفر ولا يحدث نفسه بالتوبة ، فذلك الإصرار)[1].

وكذلك جاء عن أبي جعفر الباقر -عليه السلام- في قول الله تبارك وتعالى :

«ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون»

قال : (الإصرار ان يذنب ولا يحدث نفسه بتوبة ، فذاك الإصرار)[2].

٢ ــ والتوبة -عند المؤمن- هي العودة الى الفطرة السليمة الى الطهر والنقاء الى الصراط المستقيم ، وقد ندب الله اليها فقال الله سبحانه :

«وتوبوا إلى الله جميعاً ايّه المؤمنون لعلكم تفلحون»[3].

وقال الامام الصادق -عليه السلام-: (التوبة حبل الله ومدد عنايته ، ولابد للعبد من مداومة التوبة على كل حال). ثم قال -عليه السلام- عن معنى التوبة لعموم الناس : (فان يغسل باطنه بماء الحسرة ، والاعتراف بالجناية دائماً ، واعتقاد الندم على ما مضى ، والخوف على ما بقي من عمره ، ولا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك الى الكسل ، ويديم البكاء والأسف على ما فاته من طاعة الله ، ويحبس نفسه عن الشهوات ، ويستغيث الى الله تعالى ليحفظه على وفاء توبته ، ويعصمه عن العود الى ما سلف ، ويروض نفسه في ميدان الجهد والعبادة ، ويقضي عن الفوائت من الفرائض ، ويرد المظالم ، ويعتزل قرناء السوء ، ويسهر ليله ، ويظمأ نهاره ، ويتفكر دائماً في عاقبته ، ويستعين بالله سائلاً منه الاستقامة في سرّائه وضرّائه ، ويثبت عنه المحن والبلاء كي لا يسقط عن درجة التوّابين ، فان في ذلك طهارة من ذنوبه ، وزيادة في عمله ، ورفعة في درجاته ، قال الله عزوجل :

«وليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين»[4].

---

(١) بحارج٦/ ص ٣٢ رواية ٤٠ .

(٢) بحارج٦/ ص ٣٦ رواية ٥٣ .

(٣) النور/ ٣١.

(٤) بحارج٦/ ص ٣١ رواية ٣٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ــ فالايمان يستدعي التوبة، والفلاح هو ميراث التوبة، والتوبة قد تسبق الايمان، فلا يرتفع الانسان الى درجة الايمان، الا بعد ان يمر بدرجة التوبة، حيث يطهر قلبه ويتهيء لاستقبال روح الايمان، قال الله تعالى:

«إلّا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون شيئاً»(١).

٤ ــ وحين يؤمن الإنسان فإنّ الله يبدّل سيئاته حسنات، أوليس الله بقادر على ان يخرج الحي من الميّت؟ قال الله تعالى:

«إلّا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات»(٢).

وجاء عن أبي عبدالله الصادق -عليه السلام- قال: (أوحى الله عزوجل الى داود النبي -على نبينا وآله وعليه السلام-: يا داود ان عبدي المؤمن إذا أذنب ذنباً ثم رجع وتاب من ذلك الذنب واستحيى مني عند ذكره غفرت له، وانسيته الحفظة، وابدلته الحسنة، ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين)(٣).

٥ ــ مرة أخرى يذكّرنا الرب بمدى صلة التوبة بالفلاح (ولعلّه اسمى درجات السعادة، التي تتمثل في تحقيق التطلعات في الحياة الدنيا والآخرة) يقول عز من قائل:

«فأمّا من تاب وآمن وعمل صالحاً، فعسى ان يكون من المفلحين»(٤).

٢ ــ الله هو التوّاب:

١ ــ ولان الله هو التوّاب، فإنّه يقبل التوبة عن عباده، وهذا الاسم الالهي يدعو البشر الى المسارعة في التوبة، كما انه يعرفنا، بأن توبة الله على الإنسان، تسبق عادة توبة الانسان اليه، أفليس بتوفيق الله يتوب العبد إلى ربه؟

قال الله تعالى: «واتقوا الله إنّ الله توّاب رحيم»(٥).

---

(١) مريم/ ٦٠.

(٢) الفرقان/ ٧٠.

(٣) بحار ج٦/ ص ٢٨ رواية ٣٠.

(٤) القصص/ ٦٧.

(٥) الحجرات/ ١٢.

٢ ــ وقال الله تعالى: «ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله توّاب حكيم»[١].

٣ ــ ولانه سبحانه توّاب فهو يقبل التوبة عن عباده.

قال الله تعالى: «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات»[٢].

وعن النبي -صلى الله عليه وآله- انه قال: (ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر، توبوا إلى ربكم قبل ان تموتوا، وبادروا بالاعمال الزاكية قبل ان تشتغلوا، وصلوا الذي بينكم وبينه بكثرة ذكركم إيّاه)[٣].

٤ ــ وحين يتوب المؤمن إلى ربه بشروط التوبة، يجد برد التوبة في قلبه، ويحس بأن قلبه استقبل صفاء الايمان من جديد.

قال الله تعالى: «فاستغفروا الله، واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله توّاباً رحيماً»[٤].

وفي هذا المجال قال النبي -صلى الله عليه وآله-: (التائب إذا لم يستبن أثر التوبة فليس بتائب: يرضي الخصماء، ويعيد الصلوات، ويتواضع بين الخلق، ويتقي نفسه عن الشهوات، ويهزل رقبته بصيام النهار، ويصفر لونه بقيام الليل، ويخمص بطنه بقلة الأكل، ويقوس ظهره من مخافة النار، ويذيب عظامه شوقاً إلى الجنّة، ويرق قلبه من هول ملك الموت، ويجفف جلده على بدنه بتفكر الأجل، فهذا أثر التوبة، وإذا رأيتم العبد على هذه الصورة فهو تائب ناصح لنفسه)[٥].

٥ ــ ورحمة الله قد سبقت غضبه، الا ترى كيف يذكرنا الرب بثلاثة اسماء للرحمة، واسم واحد للعقاب فيقول سبحانه:

«غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول»[٦].

فعن أبي عبدالله الصادق -عليه السلام- قال: (رحم الله عبداً تاب إلى الله قبل

---

(١) النور/ ١٠.

(٢) الشورى/ ٢٥.

(٣) بحار الانوار ج٦/ ص ١٩ رواية ٥، ومعنى يغرغر: -فيا يبدو- ان تصل روحه التراقي.

(٤) النساء/ ٦٤.

(٥) بحار الانوار ج٦/ ص٣٥ رواية ٥١.

(٦) غافر/ ٣.

الموت، فان التوبة مطهرة من دنس الخطيئة، ومنقذة من شفا الهلكة، فرض الله بها على نفسه لعباده الصالحين، فقال:

«كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة، ثم تاب من بعده وأصلح، فإنّه غفور رحيم ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً»[1].

وعن سهل بن سعد الانصاري قال: سألت رسول الله -صلى الله عليه وآله- عن قول الله عزوجل:

«وما كنت بجانب الطور إذ ناديناه»، قال: كتب الله عزوجل كتاباً، قبل ان يخلق الخلق بألفي عام، في ورق آس، ثم وضعها على العرش، ثم نادى يا أمّة محمّد: ان رحمتي سبقت غضبي، اعطيتكم قبل ان تسألوني، وغفرت لكم قبل ان تستغفروني، فمن يلقني منكم يشهد ان لا إله إلّا أنا وانّ محمّداً عبدي ورسولي أدخلته الجنّة برحمتي)[2].

٦ ـــ والله سبحانه كثير المغفرة، لأولئك الذين تتوافر فيهم اربعة شروط: التوبة والايمان، والعمل الصالح والهدى (إلى الصراط المستقيم).

وقد جاء عن أبي عبدالله الصادق -عليه السلام- انه قال: (رحم الله عبداً لم يرض من نفسه ان يكون إبليس نظيراً له في دينه، وفي كتاب الله نجاة من الردى، وبصيرة من العمى، ودليل الى الهدى، وشفاء لما في الصدور، فيما أمركم الله به من الاستغفار مع التوبة قال الله تعالى:

«والذين إذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلّا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون» وقال: «ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً» فهذا ما أمر الله به من الاستغفار، واشترط معه بالتوبة والاقلاع عمّا حرّم الله، فإنّه يقول: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» وهذه الآية تدل على ان الاستغفار لا يرفعه إلى الله إلّا العمل الصالح والتوبة)[3].

---

(١) بحار الانوار ج٦/ ص٣٣ رواية ٤٥.

(٢) بحار الانوار ج٢/ ص١٢ رواية ٢٤.

(٣) بحار الانوار ج٦/ ص٣٢ رواية ٣٩.

قال الله تعالى : «واني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى»[1].

٧ ــ واذا كانت صيغة الغفار، توحي بالكثرة والشمول ، فإن كلمة ـغفورـ تدل على استمرار الغفران ، شريطة التوبة والإصلاح .

قال الله تعالى : «إلّا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإنّ الله غفور رحيم»[2].

٨ ــ ومن اسماء الله الحسنى التوّاب ، والله سبحانه يتوب على المؤمنين والمؤمنات ، (ولعل توبة الله تعني تأييده بالنور والروح) .

وهذه التوبة الالهية تأتي في سياق الحديث عن مدى ثقل الامانة الالهية التي احتملها الانسان عند الخلقة ، حيث اشفقت منها السموات والارض والجبال .

قال الله تعالى : «ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً»[3].

٩ ــ ونستوحي من الآية التالية ان سعة توبة الله قد تشمل المنافقين أيضاً .

قال الله تعالى : «ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إنّ الله كان غفوراً رحيماً»[4].

٣ ــ ابعاد توبة الرحمن :

وتوبة الله على العبد ، تتجلى في طائفة من الحقائق :

١ ــ في الآية التالية نجد ان تخفيف الحكم سمي بالتوبة (فيما يبدو) حيث قضى الله ، بضرورة اعطاء الصدقة قبل النجوى مع الرسول ، ثم خفف الله عن المسلمين ، وقال ربنا سبحانه :

«ءأشفقتم ان تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصّلاة وءاتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون»[5].

---

(١) طه/ ٨٢.

(٢) النور/ ٥ .

(٣) الاحزاب/ ٧٣.

(٤) الاحزاب/ ٢٤.

(٥) المجادلة/ ١٣ .

وقد تكون التوبة هنا بمعنى غفران ذنبهم المفهوم من قوله سبحانه :

«فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصّلاة ....» .

٢ ـ كذلك خفف الله على المؤمنين في قيام الليل ، وأمرهم بقراءة ما تيسر من القرآن ، بينما فرض على الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ (وربما على المؤمنين السابقين في البدء) قيام الليل إلّا قليلاً . وعن التخفيف قال الله تعالى :

«علم ألن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسّر من القرآن»[١] .

٣ ـ وقد تتحقق توبة الرب بالهداية ، حيث ان الله سبحانه تاب على آدم ـ عليه السلام ـ وهداه (بعد ان اجتباه) .

قال الله تعالى : «ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى»[٢] .

٤ ـ توبة الرحمن شاملة :

١ ـ والله سبحانه يقبل التوبة ، عن عباده جميعاً ، حتى ولو كانوا مشركين به من قبل ثم تابوا .

قال الله تعالى : «وأذان من الله ورسوله الى النّاس يوم الحج الأكبر ، إنّ الله بريء من المشركين ورسوله ، فان تبتم فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب اليم»[٣] .

٢ ـ وقال الله تعالى : «فان تابوا وأقاموا الصّلاة وآتوا الزكاة»[٤] .

٣ ـ وكذلك يقبل الله التوبة عن ذنب التقاعس عن فريضة الجهاد .

قال الله تعالى : «وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ، وضاقت عليهم انفسهم ، وظنّوا ان لا ملجأ من الله إلّا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، إنّ الله هو التوّاب الرحيم»[٥] .

---

(١) المزمل/ ٢٠ .

(٢) طه/ ١٢٢ .

(٣) التوبة/ ٣ .

(٤) التوبة/ ٥ـ١١ .

(٥) التوبة/ ١١٨ .

ونستوحي من الآية أمرين :

الأول : إنّ قبول الله توبة عبده يكون سبيلاً إلى المزيد من توبة العبد إلى الله سبحانه .

الثاني : إنّ من شروط التوبة عرفان مراكز ضعف الفرد ، وأبعاد ذلّه ، وأنّه لا ملجأ من الله إلّا إليه .

٤ ـ وكذلك التوبة من بعد الجهالة ، قال الله تعالى :

«ثمّ إنّ ربّك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إنّ ربّك من بعدها لغفور رحيم»(١) .

ونستوحي من الآية إنّ التوبة تقبل شريطة الاصلاح من بعد الذنب .

٥ ـ قال الله تعالى : «كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنّه غفور رحيم» (٢) .

اذن على المؤمن ان يتوب وان يصلح ما أفسده بذنبه .

وعن أبي عبدالله الصادق ـ عليه السلام ـ في قول الله :

«واني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى»

قال : (لهذه الآية تفسير، يدل ذلك التفسير على ان الله لا يقبل من عمل عملاً ، إلّا ممن لقيه بالوفاء منه بذلك التفسير، وما اشترط فيه على المؤمنين) ، وقال :

(«إنّما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة» يعني كل ذنب عمله العبد وإن كان به عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه ، وقد قال في ذلك تبارك وتعالى ـ يحكي قول يوسف لأخوته ـ :

«هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون» فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله) (٣) .

---

(١) النحل/ ١١٩ .

(٢) الانعام/ ٥٤ .

(٣) بحار الانوار ج٦/ ص ٣٢ رواية ٤١ .

٥ ــ شروط التوبة:

١ ــ لعل الآية التالية تبيّن بعض مفردات الإصلاح من بعد الذنب.

قال الله تعالى: «إلّا الذين تابوا وأصلحوا وأعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً»(١).

هذه الآية تدلنا على قيم شتى، مثل قيمة التوبة والإصلاح والاعتصام بالله واخلاص الدين لله سبحانه.

وهذه القيم هي بعض مفردات الاصلاح، لان الذنب قد يكون اتباعاً للشهوات المادية (أكل أموال الناس) واصلاحه يكون برد حقوق الناس إليهم.

وقد يكون عصياناً للولاية، واصلاحه بالاعتصام بحبلها، وقد يكون باتخاذ الانداد، واصلاحه بالاخلاص، وقد يكون في الذنب اضاعة لحق محترم، فالإصلاح هنا يكون برده إلى صاحبه.

٢ ــ فمن اتهم المحصنة ثم تاب فعليه ان يصلح (ولعله بالإحسان اليها وبرد اعتبارها اجتماعياً، وبطلب براءة الذمّة منها وهكذا).

قال الله تعالى: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون * إلّا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإنّ الله غفور رحيم»(٢).

٣ ــ أمّا توبة من ضيّع صلاته واتّبع شهواته، فتكون مشروطة بالعمل الصالح الذي يشمل اقامة الصلاة والالتزام بالتقوى، قال الله تعالى:

«فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً * إلّا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون شيئاً»(٣).

---

(١) النساء/ ١٤٦.

(٢) النور/ ٤ - ٥.

(٣) مريم/ ٥٩ - ٦٠.

ونستوحي من الآية ان الله يدفع الغي عمن تاب وعمل صالحاً.

٤ ــ ولعلّ الآية التالية تضيف شرط الاهتداء الى صراط الولاية الالهية، الى شرطي التوبة والعمل الصالح، قال الله تعالى: «واني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى»[١].

٥ ــ ولذلك اشترطت آية قرآنية لقبول التوبة استغفار الرسول فقال الله:

«ولو انّهم إذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً»[٢].

٦ ــ ويستفيد الانسان من التوبة ان الله يبدل سيئاته حسنات، وهكذا يصلح الله أمره، ويبارك له في حياته، وأعظم من ذلك انه يحظى برضوان الله، والأوبة الى رحاب لقاءه والتلذذ بمناجاته، يقول الله تعالى:

«إلّا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً، ومن تاب وعمل صالحاً فإنّه يتوب إلى الله متاباً»[٣].

عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- انّه قال: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)[٤].

وعن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبدالله الصادق -عليه السلام- يقول: (اذا تاب العبد المؤمن توبة نصوحاً، أحبه الله، فستر عليه في الدنيا والآخرة، قلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، وأوحى الى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، وأوحى الى بقاع الارض: اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه، وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب)[٥].

---

(١) طه/ ٨٢.

(٢) النساء/ ٦٤.

(٣) الفرقان/ ٧٠ - ٧١.

(٤) بحار الانوار ج٦/ ص ٢١ رواية ١٦.

(٥) بحار الانوار ج٦/ ص٢٨ رواية ٣١.

٦ ـ عقبى ترك التوبة:

١ ـ حين نهى القرآن المؤمنين من أن يسخروا ببعضهم او يتنابزوا بالألقاب وأمرهم بالتوبة ـ من ذلك ـ ذكرنا بأن الظالمين، هم الذين يتركون التوبة، مما يدلنا على ان ترك التوبة (عن مثل هذه الذنوب) يجعل الانسان ظالماً (حيث يضيع حق الناس المعنوي في الكرامة والعزة).

قال الله تعالى: «يا أيّها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساءٍ عسى ان يكنّ خيراً منهنّ ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون»[1].

٢ ـ وقد اوعد الله الذين يفتنون المؤمنين ثم لم يتوبوا عذاب جهنم، هنا أيضاً الموضوع يرتبط بحق الناس، حيث يقول ربنا سبحانه (عن قصة أصحاب الأخدود):

«إنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق»[2].

٣ ـ وقصة زوجتي النبي، التي يذكرها القرآن في سورة التحريم عندما اذاعت واحدة منهما سر النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ هذه القصة تتصل بحق النبي، وكيف ان التوبة من افشاء السر ضرورة ومن دونها انذرهم القرآن بامكانية تسريحهن.

فقال الله تعالى: «ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير»[3].

٤ ـ وقال الله تعالى: «عسى ربه ان طلقكنّ ان يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً»[4].

وهنا أيضاً اشارة واضحة إلى ان الزوجة الصالحة هي المؤمنة القانتة التائبة.

---

(١) الحجرات/ ١١.

(٢) البروج/ ١٠.

(٣) التحريم/ ٤.

(٤) التحريم/ ٥.

في رحاب الاحاديث

تأخير التوبة اغترار

عن أبي جعفر الثاني التقي ـعليه السلام- قال: (تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله، ولا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون) [1].

الإقرار بالذنب نجاة

عن أبي جعفر الباقر ـعليه السلام- قال: (والله ما ينجو من الذنب إلّا من أقرّ به) [2].

جواز شهادة التائب

عن أبي عبدالله الصادق ـعليه السلام-: (إنّ أمير المؤمنين ـعليه السلام- شهد عنده رجل، وقد قطعت يده ورجله نهاره، فأجاز شهادته وقد تاب وعرفت توبته) [3].

---

(١) بحار الانوار ج٦/ ص٣٠ رواية ٣٦.

(٢) بحار الانوار ج٦/ ص٣٦ رواية ٥٦.

(٣) بحار الانوار ج٨٥/ ص٣١ رواية ٣١.

الخير في التوبة

سئل أمير المؤمنين -عليه السلام- عن الخير ما هو؟ فقال: (ليس الخير ان يكثر مالك وولدك، ولكن الخير ان يكثر علمك، ويعظم حلمك، وان تباهي الناس بعبادة ربك، فإن احسنت حمدت الله، وان أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلّا لرجلين: رجل اذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل ما يتقبل؟)[1].

متى تقبل التوبة؟

اتى أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وآله- فقال: أخبرني عن التوبة الى متى تقبل؟ فقال -صلى الله عليه وآله-: (ان بابها مفتوح لابن آدم لا يسد حتى تطلع الشمس من مغربها، وذلك قوله: **«هل ينظرون إلّا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك»** وهي طلوع الشمس من مغربها **«يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيراً»**)[2].

متى تغلق أبواب التوبة؟

عن أبي عبدالله -عليه السلام- قال: (ما زالت الارض الا ولله تعالى ذكره فيها حجة يعرف الحلال والحرام، ويدعو إلى سبيل الله عزوجل، ولا تنقطع الحجة من الارض إلّا أربعين يوماً قبل يوم القيامة، فإذا رفعت الحجة اغلقت أبواب التوبة، ولم ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل ان ترفع الحجة، أولئك شرار من خلق الله وهم الذين تقوم عليهم القيامة)[3].

---

(١) بحار الانوار ج٦/ ص٣٨ رواية ٦٢.

(٢) بحار الانوار ج٦/ ص ٣٤ رواية ٤٦.

(٣) بحار الانوار ج٦/ ص١٨ رواية ١.

الله يفرح بتوبة عبده

عن أبي عبيدة قال: سمعت الامام أباجعفر الباقر -عليه السلام- يقول: (إنّ الله تعالى أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها) (١).

التوبة شفاعة

عن أمير المؤمنين -عليه السلام- قال: (لا شفيع انجح من التوبة) (٢).

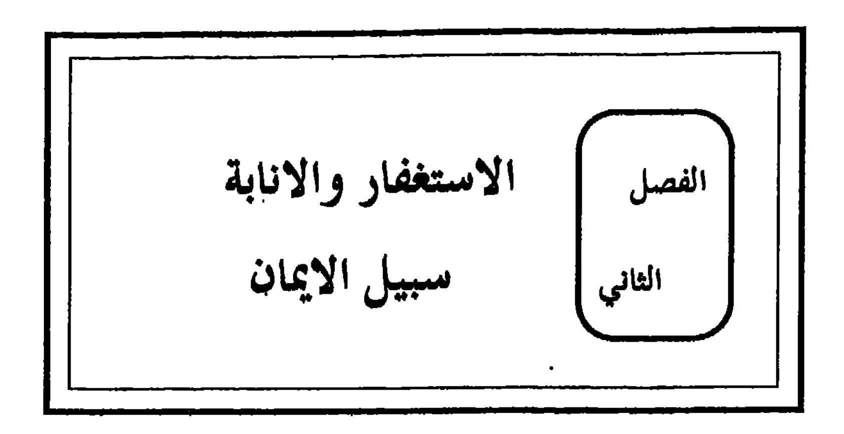
التوبة النصوح

عن أبي الحسن -عليه السلام- في قول الله تعالىٰ: «يا أيّها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً» قال: (يتوب العبد ثم لا يرجع فيه، وأحب عباد الله إلى الله المتقي التائب) (٣).

عن أمير المؤمنين -عليه السلام- لرجل سأله ان يعظه: (لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجّيء (٤)، التوبة بطول الأمل -وساق الكلام إلى أن قال -عليه السلام-: ان عرضت له شهوة أسلف (٥) المعصية، وسوّف (٦) التوبة) (٧).

---

(١) بحار الانوار ج٦/ ص ٤٠ رواية ٧٣.
(٢) بحار الانوار ج٦/ ص١٩ رواية ٦.
(٣) بحار الانوار ج٦/ ص ٢٠ رواية ٨.
(٤) يرجيء بالتشديد اي يؤخر المعصية.
(٥) أسلف: قدم.
(٦) سوف: أخر.
(٧) بحار الانوار ج٦/ ص٣٧ رواية ٦٠.



١ ــ أسماء الله وسيلة الاستغفار:

حين تتجلى اسماء الله الحسنى في قلب المؤمن، يعرف مدى تفريطه في جنب ربه، وتقصيره في مقامه الأعلى، فيستغفره ويتوب اليه، ويتوسل بأكرم الخلق عليه، ان يتجاوز عن ذنوبه.

ان الاستغفار ميراث لحظة تجلي نور الله في قلب عبده، وكلما ازداد هذا التجلي بهاءاً، ازداد تحسس المؤمن بعمق مسكنته، وعظيم فقره، ومراكز ذله، وحاجته وتقصيره.

١ ــ وقد ذكرنا القرآن بفريضة الاستغفار، كلما ذكرنا بأسم من أسماء الله الحسنى فقال ربنا سبحانه:

«فاعلم انه لا اله إلّا الله، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات»[١].

٢ ــ فلأن الله واحد أحد، فان على البشر الاستغفار، لانه لا أحد ينجيه من غضب الله إلّا هو الله، وانه لا مفر منه إلّا اليه سبحانه.

قال الله سبحانه: «هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه»[٢].

فالأرض لله، ومن عنده جاءت قدرتنا على استعمارها ـ فلا مناص لنا من ان نستغفره ليرضى عنا، وليزيد بركاته علينا، ولانه لا أحد يغفر الذنب الا هو.

---

(١) محمد / ١٩.

(٢) هود / ٦١.

عن النبي -صلى الله عليه وآله-: (ان العبد ليقول: اللهم اغفر لي، وهو معرض عنه، ثم يقول: اللهم اغفر لي، وهو معرض عنه، ثم يقول: اللهم اغفر لي، فيقول سبحانه للملائكة: الا ترون عبدي سألني المغفرة وانا معرض عنه، ثم سألني المغفرة وانا معرض عنه ثم سألني المغفرة؟ علم عبدي انه لا يغفر الذنوب إلّا انا أشهدكم اني قد غفرت له)(١).

٣ ــ وعند قيام الليل -حيث يجد المؤمن فرصة اللقاء مع الله، عبر الصلاة وتلاوة الآيات- ينبغي الاستغفار حيث يتحسس الانسان بكبير ذنبه، وعظيم رحمة ربه.

قال الله تعالى: «واستغفروا الله إنّ الله غفور رحيم»(٢).

٤ ــ وكانت وصيّة الانبياء للناس الاستغفار، لان الله رب غفار، وكم هي ندامة الانسان الذي يغلق على نفسه باب رحمة ربه الغفار، ويحترق بنار سيئاته. نقرأ معاً وصيّة نوح -عليه السلام- إلى قومه:

قال الله تعالى: «فقلت استغفروا ربكم انه كان غفّاراً»(٣).

٢ ــ الاستغفار بالاسحار:

١ ــ ويحلو الاستغفار، عند السحر، حين يصفو القلب من مؤثرات المحيط ويعيد الانسان حساباته، وتبدأ النفس اللوامة بعملية التأنيب الذاتي، هناك يحين ميعاد الاستغفار وهذه هي سيرة المؤمنين.

قال الله تعالى في صفة المؤمنين: «وبالاسحار هم يستغفرون»(٤).

٢ ــ قال الله تعالى: «الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار»(٥).

---

(١) بحار الانوار ج٩٠/ ص ٣٧٥ رواية ١٦.

(٢) المزمل / ٢٠.

(٣) نوح / ١٠.

(٤) الذاريات / ١٨.

(٥) آل عمران / ١٧.

وعن أبي الصباح، عن أبي جعفر الباقر -عليه السلام- قال: (إنّ الله عزوجل يحب من عباده المؤمنين كل دعاء، فعليكم بالدعاء في السحر الى طلوع الشمس، فانها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، وتقسم فيها الارزاق، وتقضى فيها الحوائج العظام)[1].

وما جاء عن أبي عبدالله الصادق -عليه السلام- في قوله عن قصة يعقوب وأولاده: «سوف أستغفر لكم ربي» فقال: (أخّرهم إلى السحر، قال: يا رب انما ذنبهم فيما بيني وبينهم، فأوحى الله اليه: اني قد غفرت لهم)[2].

٣ ــ بعد اداء مناسك الحج في وادي عرفة، يتدفق سيل الحجاج إلى المشعر الحرام، هناك يجد الحاج نفسه في موعدٍ مع ربه يذكره ويستغفره ويتوب إلى رحاب رضوانه..

وقال الله تعالى: «ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله»[3].

٣ ــ الاستغفار للمؤمنين:

وكما يحب المؤمن لنفسه الطهر من الذنوب، كذلك يحب لسائر المؤمنين، فهو يستغفر لهم ربه، وإذا استغفر المؤمن لأخيه، فان الله يستجيب دعاءه، ولذلك تجد أخوة يوسف قد طلبوا من أبيهم الاستغفار لهم، قال الله تعالى:

«قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنا خاطئين»[4].

اما يعقوب فقد استجاب لهم ولكنّه -حسب بعض الاخبار- اختار السحر ميعاداً لاستغفاره.

قال الله تعالى: «قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم»[5].

قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (ما من مؤمن او مؤمنة مضى من أول الدهر او هو آت إلى يوم القيامة، إلّا وهم شفعاء لمن يقول في دعائه: اللهم اغفر للمؤمنين

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٤٥ رواية ٩.

(٢) بحار الانوار ج ١٢/ ص ٣١٨ رواية ١٤١.

(٣) البقرة / ١٩٩.

(٤) يوسف / ٩٧.

(٥) يوسف / ٩٨.

والمؤمنات ، وان العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة ، فيسحب فيقول المؤمنون والمؤمنات : يا ربنا هذا الذي كان يدعو لنا فشفعنا فيه ، فيشفعهم الله فينجو)[١] .

٤ ــ في مواقع الصبر والشكر:

١ ــ وأمر الله سبحانه بالاستغفار عند لقاء العدو فقال :

«فاصبر إنّ وعد الله حق ، واستغفر لذنبك ، وسبّح بحمد ربك بالعشيّ والإبكار»[٢] .

ذلك لأنّه عندما يتأخر الفرج ، يوسوس الشيطان في قلب الانسان حتى يقول متى نصر الله ، هنالك ينبغي ان يصبر المؤمن ، وان يستغفر الله سبحانه ، وهكذا يستغفر المؤمنون ، عند مواجهة الاعداء ، للأسباب التالية :

أولاً : لان الذنوب قد تسبب الهزيمة .

وثانياً : لان اصلاح الذات وسيلة لاصلاح المجتمع ـ وبالتالي ـ وسيلة للنصر ، قال الله تعالى :

«وما كان قولهم إلّا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا»[٣] .

٢ ــ وحتى بعد الفتح المبين ، لا ينسى المؤمنون انفسهم وضرورة تزكيتها ، اما غيرهم فان غرور النصر قد يسلبهم فضائلهم ، ويدعهم وحوشاً كاسرة . تدبر في سورة النصر حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى :

«إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فسبّح بحمد ربك واستغفره إنّه كان توّاباً»[٤] .

وهكذا أمر الله بالاستغفار عندما يجيء نصر الله ، والفتح .

---

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٨٥ رواية ١٠ .

(٢) غافر/ ٥٥ .

(٣) آل عمران/ ١٤٧ .

(٤) النصر/ ١ - ٣ .

٥ ــ بين الاستغفار والتوبة :

١ ــ لا يكفي ان يستغفر الإنسان ربه على ما مضى من تفريطه في جنبه بل عليه ان يتوب اليه ـ ويستجيب لداعيه ، ويعمل بفرائضه .

قال الله سبحانه : «افلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم»(١) .

ويبدو ان التوبة مرحلة متقدمة من الاستغفار، ومن هنا جعل الاستغفار ـ فيما يبدو ـ من شروطه في هذه الآية ، وكذلك جاء في هذا المجال عن أبي عبدالله الصادق ـ عليه السلام ـ قال : (رحم الله عبداً لم يرض من نفسه ان يكون إبليس نظيراً له في دينه ، وفي كتاب الله نجاة من الردى ، وبصيرة من العمى ، ودليل الى الهدى ، وشفاء لما في الصدور، فيما أمركم الله به من الاستغفار مع التوبة قال الله :

«والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلّا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون»(٢) .

وقال الله سبحانه :

«ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً»(٣) .

فهذا ما أمر الله به من الاستغفار، واشترط معه بالتوبة والاقلاع عما حرم الله ، فإنّه يقول :

«إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه»(٤) .

وهذه الآية تدل على ان الاستغفار لا يرفعه إلى إلّا العمل الصالح والتوبة)(٥) .

اما الآيات التالية فقد أمرت بالتوبة ، بعد الاستغفار بصيغة «ثم توبوا إليه» .

٢ ــ فقال الله تعالى : «وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجلٍ

---

(١) المائدة/ ٧٤ .

(٢) آل عمران/ ١٣٥ .

(٣) النساء/ ١١٠ .

(٤) فاطر/ ١٠ .

(٥) بحار الانوار ج٦/ ص ٣٢ رواية ٣٩ .

مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير»[1].

ونستلهم من هذه الآية : ان الحياة السعيدة هي ميراث التوبة إلى الله .

٣ ـ وفي الآية التالية تفصيل البركات الالهية التي تعقب التوبة .

يقول الله سبحانه : «ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين»[2] .

هنا أيضاً يأمر هود قومه عاداً بالاستغفار من الله سبحانه وتعالى والتوبة إليه ، ويبشرهم بالغيث الذي تدر عليهم السماء ، وبالقوة ، اذا هم استغفروا وتابوا إلى الله سبحانه .

٤ ـ ويذكر الله عباده باسمائه الحسنى وانه رحيم ودود بعد ان يأمرهم بالاستغفار والتوبة .

فيقول عز من قائل : «واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه ان ربي رحيم ودود»[3].

٦ ـ الانابة إلى الله :

١ ـ الرجوع إلى رحاب الرب ، بعد فترة التيه في الضلالات ، انه من فوائد الايمان الحق بالله العظيم ، ولكن انى للانسان الاستقرار في مقام الأمن والرضوان ، عند مليك مقتدر ، انى له ودواعي الجهل والظلم تبعده عن ذلك المقام الكريم ، مرة بعد أخرى ، هناك ينبغي ان يتوب إلى ربه متاباً ، وينيب إليه دائماً .

قال الله تعالى عن إبراهيم الخليل ـعليه السلام ـ: «ان إبراهيم لحليم أوّاه منيب»[4].

فهو كثير الاستغفار ، وكثير الانابة إلى الله سبحانه وتعالى .

٢ ـ ونعت القرآن الكريم النبي شعيباً بهذه الصفة وقال الله سبحانه :

---

(١) هود/ ٣.

(٢) هود/ ٥٢.

(٣) هود/ ٩٠.

(٤) هود/ ٧٥.

«قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بيّنة، من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ان أريد إلّا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت واليه أنيب»[1].

٣ ـ وهكذا كان الأنبياء ـعليهم السلام- لا يلبثون ان يعودوا إلى وطن الايمان، كلما أبعدتهم عنه نوائب الضعف والفتن، حيث يجدون الانس والراحة، والمستقر الكريم.

قال الله تعالى: «وظنّ داود انما فتناه فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب»[2].

٤ ـ وهذه الانابة عند الأنبياء ـتشبه الاستغفار عند المؤمنين، حيث لا يلبثون بعد الذنب حتى يستغفروا ربهم.

قال الله تعالى: «والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلّا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون»[3].

٥ ـ والاستغفار بعد الذنب يورث الغفران والرحمة، فان تلك الحالة التي تطرأ على القلب بعد التوبة من الاحساس بالعبودية والضراعة إلى الله، انها من أفضل وسائل الرحمة الالهية.

قال الله تعالى: «ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً»[4].

عن أبي عبدالله الصادق ـعليه السلام- قال: (ما من مؤمن يذنب ذنباً، إلّا اجل سبع ساعات، فان استغفر الله غفر له، وانه ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة فيستغفر فيغفر له، وان الكافر لينسى ذنبه لئلاّ يستغفر الله)[5].

---

(١) هود/ ٨٨.

(٢) ص/ ٢٤.

(٣) آل عمران/ ١٣٥.

(٤) النساء/ ١١٠.

(٥) بحار الانوار ج٦/ ص ٣٤ رواية ٤٩.

٧ ـ النبي يستغفر للمؤمنين :

استغفار الرسول ـوكل وليّ يستخلفه بحق- للأمّة دعوة مستجابة ، وهي توثق صلة الولاية الالهية بين القيادة والأمّة ، وهي أحد أبعاد الشفاعة ، وقد جاء في القرآن الكريم : «ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً»(١).

١ ـ وهكذا أمر الله النبي بالاستغفار لأمّته- في سياق الحديث عن خلقه الكريم.

فقال الله سبحانه : «ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك ، فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر»(٢).

٢ ـ وقال الله سبحانه عن سنّة الرسول في أخذ الصدقات :

«خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم»(٣).

فصلاة الرسول عليهم سكن لهم ، وهي -بالتالي- دعوة مستجابة ، وتشمل طلب المغفرة لهم . بل هذا الطلب جوهر تلك الصلاة .

٣ ـ ولان الاستغفار صلة الرحمة بين الرسول والأمّة ، فان الذين نافقوا مع الرسول ، حرموا منه قال الله تعالى :

«ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبداً»(٤).

٤ ـ وقال عز من قائل : «استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم»(٥).

٨ ـ آفاق الاستغفار:

١ ـ كيف نستغفر ربنا ؟ وما هي آفاق هذا الذكر؟ يعلمنا القرآن ذلك .. في

---

(١) النساء/ ٦٤.

(٢) آل عمران/ ١٥٩.

(٣) التوبة/ ١٠٣.

(٤) التوبة/ ٨٤.

(٥) التوبة/ ٨٠.

آية كريمة نقرأ قوله سبحانه :

«قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين»[1].

فهنا المغفرة هي الرحمة الالهية ، التي من دونها يكون الخسران ، والاحساس بهذه الحقيقة أدب من آداب الاستغفار، فان تستغفر ربك حقاً ، يعني ان تعرف انه لا غنى لك عن قبول الله لعذرك ، لانه لا ملجأ منه إلّا إليه .

٢ ــ وقال الله تعالى : «ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفّنا مع الابرار»[2] .

قال بعض المفسرين : ان غفـران الذنوب يختلف عن كفران السيئات ، في نقطة مهمة هي ان الغفران للذنوب العادية ، اما الكفران فإنّما هو للسيئات التي تكفرها الطاعة العظيمة [3].

ولعل تلك الطاعة العظيمة هي طاعة الله في ولاية رسوله ، وطاعة الرسول ، في ولاية الائمة الهداة ، الذين أمر بولايتهم ، وطاعة الائمة في ولاية من استخلفوهم وأنابوهم ـ والله العالم ـ .

٣ ــ وقال الله تعالى : «واعف عنّا واغفر لنا وأرحمنا»[4] .

لعل العفو هو محو آثار الذنب من رين القلب ، لكي لا يميل إلى تكرار الذنب ، اما الغفران فهو ستر الذنب ولعل معناه ـ عند التأمل في موارد استخدامه ـ اصلاح ما أفسده الذنب .

وتكرار كلمات الاستغفار مطلوب في الدعاء .

٤ ــ كذلك من المطلوب التمهيد للدعاء ببيان التسليم والايمان ، فقد حكى الله عن المؤمنين قوله تعالى :

«الذين يقولون ربنا انّنا آمنّا فاغفر لنا ذنوبنا»[5].

---

(١) الاعراف/ ١٤٩ .

(٢) آل عمران/ ١٩٣ .

(٣) الفخر الرازي . التفسير الكبير ج ٩ ص١٤٦ .

(٤) البقرة/ ٢٨٦ .

(٥) آل عمران/ ١٦ .

٥ ــ وقال الله تعالى: «إنّه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنّا فاغفر لنا وارحمنا»[١].

٦ ــ كذلك من المطلوب الثناء على الله واظهار العبودية لله، قال الله تعالى: «وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين»[٢].

٧ ــ وقال الله تعالى: «أنت وليّنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين»[٣].

عن أبي جعفر الباقر -عليه السلام- قال: (لقد غفر الله عزوجل لرجل من اهل البادية بكلمتين دعا بهما، قال: اللهم ان تعذبني فأهل ذلك أنا، وان تغفر لي فأهل ذلك أنت، فغفر الله له)[٤].

وجاء في هذا المجال عن جابر بن عبدالله ان رسول الله -صلى الله عليه وآله- قال: (تعلّموا سيد الاستغفار: اللهم انت ربي لا إله إلّا أنت خلقتني وأنا عبدك، وانا على عهدك، وابوء بنعمتك عليّ وابوء لك بذنبي، فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت» [٥].

٨ ــ وتكثر فرص استجابة الدعاء عند اقترانه بالدعاء لسائر المؤمنين، ويبين القرآن كيف كان يدعوا المؤمنون لاخوانهم السابقين.

قال الله تعالى: «ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان»[٦].

وقال الله تعالى: «قال رب اغفر لي ولاخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين»[٧].

وعن أبي عبدالله الصادق -عليه السلام- قال: (من قدم في دعائه أربعين من

---

(١) المؤمنون/ ١٠٩.

(٢) المؤمنون/ ١١٨.

(٣) الاعراف/ ١٥٥.

(٤) بحار الانوار ج ٩١/ ص ٩١ رواية ٣.

(٥) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٢٧٩ رواية ١٠.

(٦) الحشر/ ١٠.

(٧) الاعراف/ ١٥١.

المؤمنين ثم دعا لنفسه استجيب له) [1] .

٩ ــ وقد يشير المؤمن إلى داعيه في الاستغفار ـ مثلاً ـ عند الابتلاء يستغفر الله ويطلب دفع البلاء ، مثلما فعل النبي يونس في بطن الحوت حين قال ربنا سبحانه :

«وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظنّ ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين» [2].

١٠ ــ وكذلك قول المؤمنين ، عندما سألوا ربهم النجاة من أيدي الظالمين ، حتى لا يصبحوا وسيلة لابتلاء الظالمين حيث يحكي عنهم الله ويقول :

«ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا» [3].

اترى كيف انهم طلبوا من الله الا يجعلهم فتنة للذين كفروا واستغفروا الله ، كأن الذنب يجعل المؤمن فتنة للظالم، مثلاً : التفريط في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يساهم في تسلط الظالمين فيصبح المؤمن فتنة له .

١١ ــ وهكذا ترى النبي موسى ـ سلام الله عليه ـ استغفر الله بعد قتله القبطي ، فأنجاه الله من آل فرعون ، وقال الله تعالى :

«قال رب إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنّه هو الغفور الرحيم» [4].

١٢ ــ وحين يدعو المؤمن ربه بأن يزيده نوراً (وهدى ورحمة) يستغفره فلعل بعض ذنوبه تمنع من اتمام نوره يقول الله سبحانه :

«يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا» [5].

١٣ ــ وكذلك النبي سليمان حين طلب من الله ملكاً عادلاً استغفر الله أوّلاً ثم طلب ذلك منه ، قال ربنا سبحانه :

«قال ربي اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» [6].

---

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٨٤ رواية ٦ .
(٢) الانبياء/ ٨٧.
(٣) الممتحنة/ ٥ .
(٤) القصص/ ١٦ .
(٥) التحريم/ ٨ .
(٦) ص/ ٣٥.

في رحاب الأحاديث

الاستغفار عطر

عن أمير المؤمنين -عليه السلام- قال: (تعطّروا بالاستغفار لا تفضحكم روائح الذنوب) (١).

الاستغفار دواء الذنوب

قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (لكل داءٍ دواء، ودواء الذنوب الاستغفار) (٢).

حد الاستغفار

عن كميل بن زياد قال: قلت يا أمير المؤمنين العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه فما حد الاستغفار؟ قال: (يا ابن زياد! التوبة)، قلت: بس؟ قال: (لا)، قلت: فكيف؟ قال: (ان العبد إذا أصاب ذنباً يقول: استغفر الله بالتحريك)، قلت: وما التحريك؟ قال: (الشفتان واللسان يريد ان يتبع ذلك بالحقيقة)، قلت: وما الحقيقة؟ قال: (تصديق في القلب واضمار ان لا يعود الى الذنب الذي استغفر منه)، قال كميل: فإذا فعلت ذلك فانا من المستغفرين؟ قال: (لا)، قال كميل: فكيف ذاك؟ قال: (لانك لم تبلغ إلى الأصل بعد)، قال كميل: فأصل الاستغفار ما هو؟ قال: (الرجوع إلى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه، وهي أوّل درجة العابدين وترك الذنب، والاستغفار اسم واقع لمعاني ست: أوّلها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك

---

(١) بحار الانوارج ٩٠/ ص ٢٧٨ رواية ٧.

(٢) بحار الانوارج ٩٠/ ص ٢٧٩ رواية ١١.

العود أبداً ، والثالث ان تؤدي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم ، والرابع ان تؤدي حق الله في كل فرض ، والخامس ان تذيب اللحم الذي نبت على السحت والحرام حتى يرجع الجلد إلى عظمه ثم تنشيء فيما بينهما لحماً جديداً ، والسادس ان تذيق البدن ألم الطاعات كما أذقته لذّات المعاصي) [1] .

الاستغفار الأمل

قال أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ: (عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار) [2] .

الاستغفار خير الدعاء

عن أبي عبدالله الصادق عن آبائه ـعليهم السلام ـ قال: (قال رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ: أفضل العبادة قول: لا إله إلّا الله ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله ، وخير الدعاء الاستغفار ثم تلا النبي ـصلى الله عليه وآله ـ «فاعلم انه لا إله إلّا الله واستغفر لذنبك») [3] .

الاستغفار يجلب الرزق

عن أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ قال: (الاستغفار يزيد في الرزق) [4] .

الاستغفار حصن من العذاب

عن أبي جعفر (الامام) الباقر ـعليه السلام ـ قال: (كان رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ والاستغفار حصنين لكم من العذاب ، فمضى أكبر الحصنين وبقي الاستغفار ، فأكثروا منه ، فإنّه ممحاة للذنوب ، وان شئتم فأقرءوا «وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون») [5] .

---

(١) بحار الانوار ج٩٠/ ص ٢٨٠ رواية ١٩ .

(٢) بحار الانوار ج٩٠/ ص ٢٧٧ رواية ٤ .

(٣) بحار الانوار ج٦٥/ ص ٣٨١ رواية ٣١ .

(٤) بحار الانوار ج٩٠/ ص ٢٨٤ رواية ٣١ .

(٥) بحار الانوار ج٩٠/ ص ٢٨١ رواية ٢٠ .

فائدة الاستغفار

قال النبي -صلى الله عليه وآله-: (من أكثر الاستغفار، جعل الله له من كلّ هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب)[1].

الاستغفار نجاة

قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (عليك بالاستغفار فإنّه المنجاة)[2].

الله يغفر لكم

قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (عودوا ألسنتكم الاستغفار، فإنّ الله تعالى لم يعلّمكم الاستغفار إلّا وهو يريد ان يغفر لكم)[3].

هكذا الاستغفار

من أدعية أمير المؤمنين -عليه السلام- في سحر كل ليلة بعقب ركعتي الفجر: (اللهم إني استغفرك لكل ذنب جرى به علمك فيّ وعليّ، إلى آخر عمري، بجميع ذنوبي لأوّلها وآخرها، وعمدها وخطائها، وقليلها وكثيرها، ودقيقها وجليلها، وقديمها وحديثها، وسرّها وعلانيتها، وجميع ما أنا مذنبه، وأتوب إليك، وأسألك ان تصلّي على محمّد وآل محمّد، وان تغفر لي جميع ما أحصيت من مظالم العباد قبلي، فان لعبادك عليّ حقوقاً، وأنا مرتهن بها، تغفرها لي كيف شئت، وأنى شئت، يا أرحم الراحمين)[4].

الاستغفار يمحي الذنوب

عن أبي عبدالله الصادق -عليه السلام- قال: (من قال: استغفر الله مائة مرّة حين ينام، بات وقد تحات الذنوب عنه، كما تتحات الورق من الشجر، ويصبح وليس عليه ذنب)[5].

---

(١) بحار الانوارج ٩٠/ ص ٢٨١ رواية ٢٣.
(٢) بحار الانوارج ٩٠/ ص ٢٨٣ رواية ٢٨.
(٣) بحار الانوارج ٩٠/ ص ٢٨٣ رواية ٣٠.
(٤) بحار الانوارج ٨٤/ص ٣٢٥ رواية ١٤.
(٥) بحار الانوارج ٩٠/ ص ٢٧٩ رواية ١٢.

الباب السادس

الايمان؛ عزم وعصمة



صفوة القول

فور تسليم النفس لله (أولى درجات الايمان) يمتد حبل بينه وبين ربه عبر الدعاء، والصلاة، والتوبة، والاستغفار، والإنابة، ثم يصبغ سلوكه بصبغة الايمان، فارادته تستمد العزم من التوكل (فيصبح مقداماً)، وقوة حركته تستمد الاستقامة من الاعتصام بالله (فلا ينحرف). ومواجهته للآخرين وللمشاكل تستمد القوة من الاستعانة بالله، وبالتالي يدرء المخاطر بالاستعاذة بالله.

وهكذا التوكل على الله، يعني الانقطاع عمّا في أيدي الناس، حيث لا يتردد المؤمن في أتخاذ القرار الصحيح اعتماداً على الآخرين (حيث انه يقطع أمله في النّاس) ويثق بربه، بقوّته ورحمته ونصره، ويعتصم بدين الله (شرائعه وحكمه ووصاياه وسنّته)، والتوكّل من ذرى الايمان السامية وهو كهف المؤمنين الذين يأوون إليه عند صراعهم مع الجاهلية، والتوكّل -إلى ذلك- تجلٍ لأسماء الله في قلب المؤمن في لحظة اتخاذ القرار، وهو -بالتالي- ضراعة قلبية إلى الله، ودعاء حقيقي بانزال نصره.

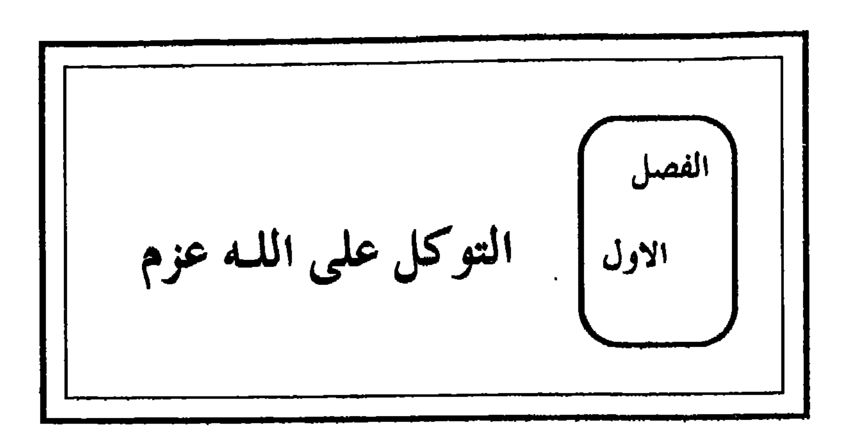
اما الاعتصام بالله سبحانه فإنّه قد يسبق التوكّل إذ انه يحفظ المؤمن من الضلالة وبالذات عند الاختلاف، ويهديه إلى الصراط القويم.

وهو يكون بالرجوع إلى كتاب الله، وإلى رسول الله.

ويحفظ الاعتصام العبد من كيد السموات والارض. والاستعانة بالله، عز لأنها تحفظ الانسان من ان ينهار أمام المشاكل أو يذلّ نفسه أو ينحرف.

والاستعاذة بالله حصن المؤمن من همزات الشياطين، وهكذا يستعيذ المؤمن بالله عند تلاوة القرآن حيث تهجم عليه الوساوس، وعند مواجهة الكفار والفاسقين.

وهكذا التوكل على الله أكثر لما يكون عند اتخاذ العزم، والاعتصام عند خشية الانحراف. والاستعانة به عند الاحساس بالضعف، اما الاستعاذة فعند مواجهة الخطر مباشرة، والله العالم.



ماذا يعني التوكل على الله ؟ وما هي علاقته بالايمان ؟ وما هي آفاقه ؟

١ ــ لغة التوكّل وحقيقته :

«وكل بالله فوض إليه الأمر» ، «وكله استكفاه أمره ثقة به» ،«اتكل على الله استسلم إليه» ، «توكّل الرجل بالأمر ضمن القيام به»(١) .

بهذه التعابير فسرت اللغة كلمة «التوكّل ومشتقاتها» والذي نستفيد منها ان لحقيقة التوكّل ثلاث سمات :

ألف ــ الانقطاع عن النّاس

١ ــ التوكّل يعني اليأس عمّا في أيدي النّاس ، وعدم الاعتماد على الآخرين ، وألاّ يتخذ الانسان أحداً من دون الله وكيلاً ، وعدم الخشية منهم ، ومن بطشهم ومكرهم .

وأكثر نصوص التوكّل تدل علىى هذا المعنى ، ونشير إلى بعضها فيا يلي :

قال الله تعالى : «ويقولون طاعة ، فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول ، والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم ، وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلاً»(٢) .

---

(١) المعجم الوسيط ج ٢ ص ١٠٥٤ .

(٢) النساء/ ٨١ .

فالتوكّل على الله هنا جاء بعد الأمر بالاعراض عن المنافقين وما يبيتون.

٢ ــ وقال الله سبحانه: «وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين»[١].

فإنّ التوكّل جاء هنا بعد الأمر بالسلم وعدم خشية خداعهم.

ألف ــ وجاء في الحديث تفسير التوكّل بهذا المعنى: عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله تعالى:

«حسبنا الله ونعم الوكيل»[٢].

باء ــ وروي ان النبي ـصلى الله عليه وآله- سأل من جبرئيل: (ما التوكّل على الله عزوجلّ؟) فقال: (العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق فان كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التوكّل)[٣].

جيم ــ وعن الامام الحسين ـعليه السلام- انه قال: (روي عن رسول الله ـصلى الله عليه وآله- انه قال: يقول الله تعالى: (لاقطعنّ أمل كل مؤمنٍ أمل دوني الناس، ولألبسنّه ثوب مذلة بين الناس، ولانحينّه من وصلي، ولابعدنه من قربي، من ذا الذي رجاني لقضاء حوائجه فقطعت به دونها)[٤].

دال ــ وكذلك روي عن الامام علي بن الحسين ـعليه السلام- انه قال: (ما استغنى أحد بالله (إلّا) افتقر النّاس إليه)[٥].

باء ــ الثقة بالله

الثقة بالله، وبقدرته المطلقة والدعاء اليه والاعتصام به، وبالتالي التحرك بأمل

---

(١) الانفال/ ٦٢.

(٢) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٠٨.

(٣) المصدر ص ١٣٨.

(٤) المصدر ج٦٨/ ص ١٤٣ الرواية ٤١.

(٥) المصدر ج٦٨/ ص ١٥٥ الرواية ٦٩.

كبير في النجاح ، انه أحد معاني التوكل (كما مضى في بعض النصوص) .

١ ــ قال الله تعالى : «واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلاً رب المشرق والمغرب لا إله إلّا هو فاتخذه وكيلاً»[1] .

فان يتخذ الانسان ربه وكيلاً ، يعني -فيما يعني- : ان يدعوه ، وان يرجو رحمته .

٢ ــ وقال الله سبحانه : «ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون»[2] .

أرأيت كيف جاء الأمر بالتوكّل بعد بيان قدرة الله المطلقة ، وضرورة الاعتماد عليها ، وهكذا فسّرت الروايات التوكّل :

ألف ــ جاء في الحديث المأثور عن علي -عليه السلام- : (كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فان موسى بن عمران خرج يقتبس لأهله ناراً فكلّمه الله عزوجل فرجع نبياً ، وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان ، وخرج سحرة فرعون يطلبون العزّة لفرعون فرجعوا مؤمنين)[3] .

باء ــ وعن الامام الصادق -عليه السلام- : (ثق بالله تكن مؤمناً ، وأرض بما قسم الله تكن غنياً)[4] .

جيم ــ وكذلك روي عن لقمان في وصيّته لابنه : (يا بني ثق بالله عزوجل ثم سل في النّاس هل من أحد وثق بالله فلم يجبه ؟ يا بني توكّل على الله ثم سل في النّاس من ذا الذي توكّل على الله فلم يكفه ؟ يا بني أحسن الظنّ بالله ثم سل في النّاس من ذا الذي أحسن الظن بالله ، فلم يكن عند حسن ظنّه به)[5] .

جيم ــ الاعتصام بدين الله

الانقطاع عن الناس (خشيتهم أو الرجاء فيهم) ثم الثقة بالله والتوسل إليه ، يعطيان

(١) المزمل/ ٨ - ٩ .

(٢) آل عمران/ ١٦٠ .

(٣) بحار الانوار ص١٣٤ الرواية ٩ .

(٤) المصدر ج٦٨/ ص ١٣٥ الرواية ١٥ .

(٥) المصدر ج٦٨/ ص ١٥٦ الرواية ٧٣ .

العزم الشديد والأرادة الكافية ولكن يبقى الجانب السلوكي الذي يوحي به التوكّل على الله ، وهو تطبيق وصايا الله والأخذ بسننه وطاعة أولياءه ، فان نصوص التوكّل تسبقها أو تلحقها أوامر في هذا الجانب :

١ ــ قال الله تعالى : «الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتّقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل»[1] .

الا ترى كيف انهم استجابوا لله في أشد الساعات ثم توكّلوا على الله (فشدّ عزائمهم) .

٢ ــ وقال الله تعالى : «الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون»[2] .

فالصبر سبق التوكّل . بل هو أحد حقائقه ..

٣ ــ وقال الله تعالى : «وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم»[3] .

وقد فسّر الاعتصام بالله بالتمسك بكتابه واتباع رسوله ، وجاء في موسوعة بحار الانوار[4] قيل ومن يستمسك بدينه أو يلتجيء إليه في مجامع أموره فقد أهتدي لا محالة .

وهكذا كان الاعتصام بالله ، أحد أبرز حقائق التوكّل عليه .

وسوف تتوضح ، أكثر فأكثر، حقائق التوكّل بعد التأمل في آفاق هذه الصفة الايمانية ، ـ وبكلمة ـ التوكل على الله هو النور الذي يمد أرادة الانسان بقوة هائلة ذلك ان لحظة العزم ، هي أعظم لحظة في حياة البشر، فاما ان تخور العزيمة ويستسلم الانسان ، او تشحذ العزيمة ويتحدى ، والتوكل على الله يوصل القلب بنور الرب في تلك اللحظة الحاسمة فيتخذ الانسان القرار الصائب قرار التحدي والاقدام بإذن الله تعالى .

---

(١) آل عمران/ ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) النحل/ ٤٢ .

(٣) آل عمران/ ١٠١ .

(٤) بحار الانوار ج٦٨/ ص١٠٧ .

٢ ـ التوكّل من ذرى الايمان :

إذا كان الايمان درجات ، فان التوكّل على الله هو من الدرجات العلى منها .

فإذا وعى المؤمن اسماء الله الحسنى ؛ وانه حيّ قيّوم يفعل ما يشاء ، وانه يتولّى الصالحين ، وهو حفيظ لكتابه الذي نزله وانه عزيز حكيم ، إذا وعى المؤمن هذه الاسماء ، وشاهد ـ ببصيرة ايمانه ـ تجلّيات تلك الأسماء في خلق الله ، فانه يتوكّل على الله ، ويتيقن بوعده ، ويسكن إلى نصره ، ويعتمد توفيقه .

من هنا أوصى موسى النبيّ قومه بان يتوكّلوا على الله ان كانوا مؤمنين (يونس/٨٤) .

وقد جاءت صفة التوكّل من أبرز صفات المؤمنين (انفال/٢) وهي كذلك من أبرز سمات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ عند تحدّيهم الأمم الكافرة (ابراهيم/١١) .

وكانت تجلّياً لاسمي الرب «عزيز حكيم» (انفال/٤٩) .

وكانت هذه أيضاً من صفات المؤمنين (الاعراف/٨٩) .

والتوكّل على الله سبحانه ميراث الحقائق الايمانية التي تتكامل وتتسامى ، حتى تبعث الانسان نحو التوكّل على الله وتفويض الأمور اليه وهي التالية :

ان الله هو الذي نزّل الكتاب فهو وليّ الصالحين (وهم الأنبياء والمؤمنين) (اعراف/١٩٦) .

لان الحكم لله سبحانه (فهو المهيمن الفعلي على مجريات الأمور وشؤون الخلائق) فانه الذي يحقّ للمؤمن التوكّل عليه (يوسف/٦٧) .

وان نظام الخلق بيده وانه سبحانه هو الذي يوفق لعمل ولا يوفق لغيره، فعليه ينبغي التوكّل حتى يوفق لما فيه الخير (هود/١٢٣) .

ثم ان الله يكفي عن غيره ، وغيره لا يكفي عنه ، فهو حسب المتوكّلين (توبة/١٢٩) .

ان له غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كلّه فهو الذي نتوكل عليه (هود/١٢٣) .

والله سبحانه هو الذي أخذ بناصية كلّ دابة وهو على صراط مستقيم (هود/٥٤ـ٥٦) .

وان التقدير بيده وانه هو مولى المؤمنين وعليه يتوكّلون (توبة/٥١).

وهو الذي هدى المؤمنين سبلهم (ابراهيم/١٢).

وقد تجلّت مظاهر التوكّل على الله في حياة المؤمنين الأوّلين في معركة حنين وفي معركة بدر.. (توبة/٢٥-٢٦).

٣ ــ التوكّل كهف المؤمنين:

والتوكّل على الله، هو الكهف الذي يلجأ إليه المؤمنون، في ذروة صراعهم المصيري مع الكفّار، فهؤلاء الذين تحدّوا سلطان فرعون المتجبر المسرف، التجأوا الى ركن التوكّل عند اشتداد محنتهم، يقول الله عنهم:

«فما آمن لموسى إلّا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعالٍ في الأرض وانه لمن المسرفين» (١).

١ ــ وهكذا كان التوكّل أسمى حقائق الايمان.

وقال الله تعالى: «وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكّلوا إن كنتم مسلمين» (٢).

٢ ــ وهكذا عند صراعهم مع العمالقة، وفي لحظة المواجهة، التجأ المؤمنون إلى حصن التوكّل، فقال الله تعالى عنهم:

«قال رجلان من الذين يخافون، انعم الله عليهما، ادخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، وعلى الله توكّلوا إن كنتم مؤمنين» (٣).

٣ ــ وهكذا جاءت صفة التوكّل في ذروة حالات المؤمنين التي تخشع افئدتهم لذكر الله، ويزدادون ايماناً عند ذكر الله، ويتوكلون على الله (عند المواقف الصعبة بالذات) قال الله تعالى:

---

(١) يونس/ ٨٣.

(٢) يونس/ ٨٤.

(٣) المائدة/ ٢٣.

«إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكّلون»[1].

الا ترى كيف اتّصلت قيمة الايمان بتجلياتها، وامتداداتها، والتي منها حالة الوجل، التي تعتري القلب عند ذكر الله، والاستجابة لآيات الله لزيادة الايمان، والتوكّل على الله.

وترى الأنبياء -عليهم السلام- وهم الذروة في الايمان، تراهم يتحدّون الامم الكافرة بروح التوكّل.

فقد روي عن ابنْ شهر آشوب قال: امر نمرود بجمع الحطب في سواد الكوفة عند نهر كوثا[2] من قرية قطنانا، وأوقد النار فعجزوا عن رمي ابراهيم، فعمل لهم إبليس المنجنيق فرمي به، فتلقاه جبرئيل في الهواء فقال: هل لك من حاجة؟

فقال: أمّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل، فاستقبله ميكائيل فقال: أن أردت أخمدت النار فان خزائن الامطار والمياه بيدي، فقال لا أريد، وأتاه ملك الريح، فقال: لو شئت طيّرت النار، قال: لا أريد، فقال جبرئيل، فأسأل الله! فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي[3].

٤ ـ ولعلّ توكّلهم على الله تعالى: كان أفضل سلطان، وأعظم برهان على صدق رسالتهم، وإلّا فاي حكيم وأي عاقل يتحدّى وحده، المجتمع الفاسد بكل طبقاته، دون ان يملك الوسائل الماديّة الكفيلة بنصره عليهم. يتحداهم بكل ثقة بالنصر واعتزاز بالله. فلولا ان له صلة بربب العالمين مباشرة، وانه رسول من عنده، لما كان يقوم بمعشار ما قام

---

(١) الانفال/ ٢.

(٢) قيل هي كوثارى على وزن طوبى هدى كان قرية من قرى الكوفة كما ذكره المؤرخون والذي ذكره اللغويون هو كوثى قال الجزري: كوثى العراق هي سرة السواد وبها ولد ابراهيم الخليل -عليه السلام- وقال ياقوت: وكوثى العراق كوثيان: أحدهما الطريق والآخر كوثى ربى وبها مشهد ابراهيم الخليل -عليه السلام- وبها مولده، وهما من أرض بابل وبها طرح ابراهيم في النار.

وقال الفيروز آبادي: والقطقطانة بضمها موضع بالكوفة كانت سجن النعمان بن المنذر.

(٣) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٥٥ رواية ٧٠.

به ، وهو الذي تشهد كل تصرفاته بالحكمة البالغة والرصانه التامة . يقول الله سبحانه :

«قالت لهم رسلهم ان نحن إلّا بشر مثلكم ، ولكنّ الله يمنّ على من يشاء من عباده ، وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان إلّا بإذن الله ، وعلى الله فليتوكّل المؤمنون»(١) .

٥ ــ وذات الصورة تتكرر في قصة إبراهيم ومن معه مع قومه ، تدبّروا في الآية التالية :

«قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم : إنّا براؤا منكم وممّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتّى تؤمنوا بالله وحده إلّا قول إبراهيم لأبيه لاستغفرنّ لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكّلنا وإليك أنبنا وإليك المصير»(٢) .

٦ ــ وهكذا ترى النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ يؤمر من عند الله ان يقولها كلمة صريحة لقومه :

«قل هو الرحمن آمنّا به وعليه توكّلنا فستعلمون من هو في ضلالٍ مبين»(٣) .

٧ ــ وكذلك المؤمنون تراهم يلجأون إلى حصن التوكّل على الله عند مواجهة الخطر . يقول الله تعالى :

«الذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل»(٤) .

٤ ــ التوكّل تجلّ لأسماء الله تعالى :

ألف ــ وعند لحظة القرار تستجمع النفس قواها العقلية ، ويستجمع القلب المؤمن آفاق المعرفة الالهية ، فإذا باسماء الله تتجلى عنده ، فيتصل القلب بنور الرب ، فيتخذ الانسان القرار الشجاع ، يقول الله تعالى :

---

(١) ابراهيم/ ١١ .

(٢) الممتحنة/ ٤ .

(٣) الملك/ ٢٩ .

(٤) آل عمران/ ١٧٣ .

«إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكّل على الله فإنّ الله عزيز حكيم»[1].

ومن هذه الآية نعرف الاختلاف بين حالة المؤمن وحالة الكافر، فلأن الكافر سجين زنزانة نفسه، فإنّه ينعت المؤمنين بالغرور اما هو فنراه يتردد، ينهزم، يتراجع، بينما المؤمن يزداد توكّلاً وتألّقاً وصفاءاً.

باء ـــ أليس الله هو الذي أنزل الكتاب وضمن حفظه؟ أو ليس الله يؤيّد رسله والصالحين من عباده؟ فإذا نتوكّل عليه عند مواجهة الصعاب.

يقول الله سبحانه:

«إنّ وليّ الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين»[2].

جيم ـــ الدعاء يستدر رحمة الله، ويرفع قضاء الله، ويجعل الانسان وكأنه يمسك الفرقدين بيمينه، ومن هنا يتوكّل المؤمن على ربه الذي يدعوه.

١ ـــ يقول الله تعالى وهو يصف حالة المؤمنين في لحظات المواجهة القصوى:

«فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين»[3].

ونستلهم من هذه الآية: ان الدعاء هو ذروة حالات التوكّل، وانه مخه ولبابه، وإنّه هو تلك القوة الحقيقية التي يمنحها ايمان الإنسان بالله.

٢ ـــ وقال الله تعالى حكاية عن شعيب، والذين آمنوا معه.وبيّن لنا كيف انهم توكّلوا عند المواجهة الساخنة مع الكافرين، بعد ان هددوهم بالإخراج فقالوا:

«قد افترينا على الله كذباً ان عدنا في ملتكم، بعد اذ نجّانا الله منها، وما يكون لنا ان نعود فيها إلّا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا، كل شيء علماً، على الله توكّلنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين»[4].

. وهكذا أعقب التوكّل الدعاء بالفتح.

---

(١) الانفال/ ٤٩.

(٢) الاعراف/ ١٩٦.

(٣) يونس/ ٨٥.

(٤) الاعراف/ ٨٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دال ـ لمن الحكم ؟ أليس لله الواحد القهار؟ فعليه فليتوكّل المؤمنون ، فهذا يعقوب النبي ـعليه السلام ـ يبعث ابناءه للتفتيش عن يوسف وأخيه ، ولكنه يتوكّل على الله بعد ان يأمرهم بأن يتفرّقوا عند دخول المدينة ونستوحي من ذلك أمرين :

أولاً: ان التوكّل ينبغي ان يكون بعد اتخاذ الاجراءات المادية اللازمة (كما قال الرسول ـصلى الله عليه وآله ـ أعقل وتوكّل) ولكن دون ان يعتمد عليها الانسان اعتماداً كلّياً .

ثانياً: ان التوكّل يقضي على الوسوسة الشيطانية التي تمنع البشر من اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب .

قال الله تعالى : «وقال يا بنيّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرّقة وما أغني عنكم من الله من شيء ان الحكم إلّا لله عليه توكّلت وعليه فليتوكّل المتوكّلون» (١) .

هكذا جاءت قيمة التوكّل على الله ، في اللحظات الصعبة ، كواحدة من أبعاد الصلة بين العبد المؤمن وبين ربه .

هاء ـ ليس النظام الحاكم على الخليقة متماسكاً إلى درجة لا ينفذ فيه ارادة ، بل ستبقى فجوات كبيرة فيه بالرغم من دقته ولذلك تجد البعض يوفق في تصرّفاته بينما لا يوفق آخرون . من الذي يقدر التوفيق ؟ إنّه الله سبحانه ، ولذلك لابدّ ان نتوكّل عليه طلباً للتوفيق ، قال الله تعالى :

«قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد ان أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ان أريد إلّا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب» (٢) .

فشعيب ـعليه السلام ـ هو الآخر توكّل على الله ، لانه رأى آثار رحمة الله عليه والتي تجلّت في أمرين :

الأول : في انه كان على بيّنة من ربه ـوبتعبير آخر ـ في الثقة التامة بدينه .

---

(١) يوسف/ ٦٧ .

(٢) هود/ ٨٨ .

الثاني: في رحمة الله عليه، حيث قال: «ورزقني منه رزقاً حسناً».

واو ــ لان الله يكفي عن كل شيء. ولا يكفي عنه شيء (أليس الله هو الذي لا إله إلّا هو) فعلى الإنسان ان يتوكّل عليه، ليكفيه عند مواجهة الصعاب.

١ ــ قال الله تعالى وهو يصف تحدّي الرسول لقومه بعد تكذيبهم:

«فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلّا هو عليه توكّلت وهو رب العرش العظيم»[1].

٢ ــ وعند مواجهة وساوس الشيطان واغراءه، لكي يتجاوز حدود الله، هناك يتوكّل المؤمن على الله، ويعلم انه يرزقه من لدنه ان اتقاه، ويقول سبحانه:

«ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إنّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيءٍ قدراً»[2].

٣ ــ وعند ابلاغ كلمة الحق، والشهادة عليها، من دون خشية الكافرين بها، هنالك يتوكّل المؤمن على الله، ويتحدّى بذلك الذين يهددونه من الشركاء، يقول الله تعالى:

«قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضرٍ هل هن كاشفات ضرّه أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكّل المتوكّلون»[3].

زاء ــ لان الله أخذ بناصية كلّ دابّة (فما من دابّة تدبّ على الارض تقدر على فعل شيء من دون اذنه) لذلك فعلى الله التكلان.

حاء ــ لانه على صراط مستقيم، يأمر به ويهدي ويأخذ الانسان إليه، قال الله تعالى:

١ ــ «قال اني أشهد الله واشهدوا، اني بريء مما تشركون من دونه، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، اني توكّلت على الله ربي وربكم، ما من دابّة إلّا هو آخذ بناصيتها، ان ربي على صراط مستقيم»[4].

---

(١) التوبة/ ١٢٩.

(٢) الطلاق/ ٢-٣.

(٣) الزمر/ ٣٨.

(٤) هود/ ٥٤ - ٥٦.

هنا نجد ان النبيّ هود، تحدىٰ أولئك القوم، اولاً: بالبراءةِ منهم وبأعلان توحيده لربه، وثانياً: تحداهم وقال فكيدوني جيعاً وامرهم بأن لا ينتظروا يتريثوا بل يواجهوه مرة واحدة، حيث قال: «ثم لا تنظرون» وعلى ذلك بانه قد توجه الى الله «اني توكلت علىٰ الله ربي وربكم»، وبين ان سبب توكله هو ان الله هو الرب الذي شملت ربوبيته اولئك القوم جميعاً، وانه مهيمن علىٰ كلِ شيء، فقال: «ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها» وبين انه علىٰ صراطٍ مستقيم، فهو قد عرف وبكل ثقة: ان دينه الذي ينتمي اليه، هو دين سليم وصادق ومنسجم مع فطرة الحياة، حيث قال: «ان ربي على صراطٍ مستقيم».

فالله هو المدبّر له وطريقه طريق مستقيم.

٢ ــ ونتلو في خاتمة سورة هود هذه الآية الكريمة:

«ولله غيب السموات والارض وإليه يرجع الأمر كلّه فاعبده وتوكّل عليه، وما ربّك بغافل عمّا تعملون»[(١)].

هنا أيضاً تتجلى صفة التوكّل بعد بيان ان لله غيب السموات والارض واليه يرجع الأمر كلّه، فما دامت ملكوت السموات والأرض بيد الله والمرجع إليه فلماذا يتوكّل الإنسان على غيره؟ بل لماذا يخشى الإنسان غير الله سبحانه وتعالى؟.

طاء ــ لان الله مولى المؤمنين فعليه التوكّل.

١ ــ قال الله تعالى: «قل لن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون»[(٢)].

٢ ــ وهكذا يذكر الله المؤمنين، بأن الله مولاهم، فعليه التوكّل يقول سبحانه:

«يا أيّها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم ان يبسطوا إليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم واتّقوا الله وعلى الله فليتوكّل المؤمنون»[(٣)].

هكذا وبسبب توكّل المؤمنين على الله سبحانه، فان الله أيّدهم سابقاً. وعليهم ان

---

(١) هود/ ١٢٣.

(٢) التوبة/ ٥١.

(٣) المائدة/ ١١.

يستمروا على صفة التوكّل ، لكي يستمر نصر الله لهم .

فعن أبي عبدالله الصادق ـ عليه السلام ـ إنّه قال : (وبعث الله نبيّاً آخر إلى قوم وأمره ان يقاتلهم فشكى إلى الله الضعف ، فأوحى الله عزوجل ان النصر يأتيك بعد خمسة عشر سنة ، فقال لأصحابه : إنّ الله عزّوجلّ أمرني بقتال بني فلان فشكوت إليه الضعف فقالوا : لا حول ولا قوّة إلّا بالله فقال لهم : إنّ الله قد أوحى إليّ : ان النصر يأتيني بعد خمسة عشرة سنة فقالوا : ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله ، قال : فأتاهم بالنصر في سنتهم تلك لتفويضهم إلى الله وقولهم ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله)[1] .

٣ ــ وفي الآية التالية نقرأ ان سبب التوكّل على الله ، هو ان قدرته مهيمنة ، فقال ربنا سبحانه :

«ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكّل المؤمنون»[2] .

٤ ــ ولان المؤمنين لا يضرّهم مكر اعداءهم فهم يتوكلون على ربهم ، قال الله تعالى :

«انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارّهم شيئاً إلّا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون»[3] .

٥ ــ وعند خشية الفشل بسبب انهزام البعض نفسياً . يتوكّل المؤمنون الصادقون على ربهم يقول الله تعالى :

«إذ همّت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليّها وعلى الله فليتوكّل المؤمنون»[4] .

٥ ــ آفاق التوكّل :

ألف ــ متى نتوكل على الله ، وكيف نتوكل عليه ؟

---

(١) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٥٨ الرواية ٧٥ .

(٢) آل عمران/ ١٦٠ .

(٣) المجادلة/ ١٠ .

(٤) آل عمران/ ١٢٢ .

من آفاق التوكّل على الله مواجهة مكائد الشيطان والاستعاذة به من وساوسه وهمزاته، والخروج -بالتالي- من دائرة نفوذه بالتوكّل على الله، والدخول في ولايته، وتحدّي سلطان الشيطان.

قال الله تعالى: «إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكّلون»(١).

وجاء في الحديث الشريف عن صفوان رفعه إلى أبي عبدالله الصادق -عليه السلام- انه قال: (قال إبليس: خمسة أشياء ليست لي فيهنّ حيلة وسائر الناس في قبضتي: من اعتصم بالله عن نيّة صادقة، واتّكل عليه في جميع أموره. ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره، ومن رضي لأخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه، ومن لم يجزع على المصيبة حين تصيبه، ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتم لرزقه) (٢).

حينما يتوكّل الإنسان على الله، حينما يضع -في حسبانه- قوّة الله سبحانه وتعالى، وهيمنته وتأييده، هنالك لا يضعف أمام الشيطان، بينما إذا ترك التمسك بحبل الله ولم يـعِ ما يعني هيمنة الله وقدرته وارادته، لم يعي هذه الحقيقة بكامل وعيه، فإنّه آنئذ يسقط في شراك الشيطان ومصائده، ويصبح عبداً مملوكاً يقوده أينما يريد، فإذا أرهبه استسلم لرهبته، وإذا غرّه بالطمع وقع في شراكه -لانه لا يجد كهفاً يأوي إليه أو ركناً شديداً يعتمد عليه-.

باء — ان المؤمن لا يرى عاقبته إلّا خيراً عند التوكّل على الله، لانّه امّا ان يستشهد وإمّا انه يصيب الفتح.

قال الله تعالى: «وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكّلون»(٣).

وهكذا يبعث المؤمن على التوكّل، ايمانه بان الله هو ربه هنا وبعد الموت.

جيم — من آفاق التوكّل، تنمية صفة الصبر عند المؤمن لمعرفته بان الله لا يضيع أجر المحسنين، ولانه وعد عباده النصر عاجلاً أم آجلاً، فلماذا الجزع؟

---

(١) النحل/ ٩٩.

(٢) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٣٦ الرواية ١٨.

(٣) الشورى/ ٣٦.

١ ــ قال الله تعالى: «الذين صبروا وعلى ربهم يتوكّلون»[١].

٢ ــ وفي الآية التالية نقرأ واحداً من أمثلة التوكّل على الله يقول الله تعالى -عن بعض معارك المؤمنين مع أعدائهم:

«لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم ولّيتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين»[٢].

٣ ــ ومن هنا كان الصبر من آثار التوكّل على الله في قوله سبحانه:

«وما لنا الا نتوكل على الله، وقد هدانا سبلنا، ولنصبرنّ على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكّل المتوكّلون»[٣].

٤ ــ والصبر بعد من أبعاد التوكّل على الله، لان من يتوكّل على الله، يصبر على الأذى الذي يتحمله في سبيل الله.

قال الله تعالى: «ولو أنّهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنّا إلى الله راغبون»[٤].

٥ ــ وقال الله تعالى: «نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكّلون»[٥].

دال ــ والاستقامة عند الشدة من أبعاد التوكّل على الله.

قال الله تعالى: «الذين قال لهم النّاس ان النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل»[٦].

فعندما يزداد الضغط على المؤمن يزداد ايماناً، وتوكّلاً على ربه، ومن هنا فعلامة الايمان التصلّب عند المشاكل.

---

(١) النحل/ ٤٢.

(٢) التوبة/ ٢٥ - ٢٦.

(٣) ابراهيم/ ١٢.

(٤) التوبة/ ٥٩.

(٥) العنكبوت/ ٥٨-٥٩.

(٦) آل عمران/ ١٧٣.

هاء ـ مواجهة الاختلاف بالتقاضي إلى الله والرسول بحاجة الى التوكّل على الله .
قال الله تعالى : «وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكّلت واليه أنيب»[1] .

٦ ـ التوكل برهان التوحيد :

والتوكّل على الله برهان توحيد الانسان ورفضه للانداد .
قال الله تعالى : «كذلك أرسلناك في أمّة قد خلت من قبلها امم لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلّا هو عليه توكّلت وإليه متاب»[2] .

هكذا نستوحي من السياق القرآني هنا ، ان توحيد الله سبحانه وتعالى الذي يتجلّى في قوله (لا إله إلّا هو) يبعث على قيمة التوكّل حيث يقول ربنا بعد كلمة التوحيد (عليه توكّلت وإليه متاب) .
وقال الله تعالى : «الله لا إله إلّا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون»[3] .
وقال الله تعالى : «رب المشرق والمغرب لا إله إلّا هو فاتخذه وكيلاً»[4] .

٧ ـ التوكل صفة القائد الربّاني :

والقيادة الالهية تتميز باستقامتها ، وتحدّيها للضغوط ، وعدم خضوعها لقوى الفساد في المجتمع ، وكل ذلك ميراث التوكّل على الله سبحانه .
١ ـ في مواجهة كيد المنافقين ، يأمر الله رسوله بالتوكّل عليه .
«فإذا عزمت فتوكّل على الله ان الله يحبّ المتوكّلين»[5] .

---

(١) الشورى/ ١٠ .
(٢) الرعد/ ٣٠ .
(٣) التغابن/ ١٣ .
(٤) المزمل/ ٩ .
(٥) آل عمران/ ١٥٩ .

٢ ــ وقال الله تعالى: «فأعرض عنهم وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلاً»[١].

٣ ــ وعند اتباع الوحي بشكل دقيق، يصبح التوكّل على الله كهفاً حصيناً، يقول الله تعالى:

«واتبع ما يوحى إليك من ربّك إنّ الله كان بما تعملون خبيراً وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلاً»[٢].

٤ ــ وفي مواجهة الكفار والمنافقين، والتقيد بحدود الله في التعامل معهم، يأمر الله رسوله بالتوكّل، ويقول سبحانه:

«ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلاً»[٣].

٥ ــ ولكي يبدد الله وساوس الشيطان في السلم، يأمر بالتوكّل، ذلك لان الشيطان يخوف اولياءه من ان يمارس الطرف الآخر الخداع، ويستغل السلم في مصلحته، وهكذا يغريهم بالحرب الوقائية، ولكن الله يأمر عباده الصالحين بالتوكّل عليه لاحتواء مخاوفهم من السلم ويقول سبحانه:

«فإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكّل على الله»[٤].

٦ ــ وعندما يأمر الله النبي بابلاغ الرسالة، يأمره بالتوكّل على الله الحي الذي لا يموت، ليزداد عزماً وقوّة ويقول تعالى:

«وما أرسلناك إلّا مبشّراً ونذيراً قل ما أسألكم عليه من أجرٍ إلّا من شاء ان يتخذ إلى ربه سبيلاً وتوكّل على الحيّ الذي لا يموت وسبّح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً»[٥].

٧ ــ ويأمر الله سبحانه باعلان البراءة من الكفار، صراحة، ويشفع أمره هذا بأمره بأن يتوكّل على الله ويقول:

«فإن عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكّل على العزيز الرحيم»[٦].

٨ ــ ويصعب على صاحب الدعوة، تولّي الناس عنها، ولكنّ الله سبحانه يجري سننه في الحياة، ومنها سنّة الامتحان، وعلى صاحب الدعوة ان يتوكل على الله لمواجهة

---

(١) النساء/ ٨١.
(٢) الاحزاب/ ٢-٣.
(٣) الاحزاب/ ٤٨.
(٤) الانفال/ ٦١.
(٥) الفرقان/ ٥٦ - ٥٨.
(٦) الشعراء/ ٢١٦ - ٢١٧.

هذه الصعوبة ، يقول ربنا سبحانه :

«فتوكّل على الله إنّك على الحق المبين إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمّ الدّعاء إذا ولّو مدبرين»[1] .

٨ ــ التوكّل وعلاقته بالجهاد :

التوكل هي صفة أساسية للمؤمنين ، وتتجلى هذه الصفة ـ فيما تتجلى ـ عند الجهاد ، وعند التصدي لتطبيق العدالة في الأمّة ، نقرأ عن ذلك في سورة المائدة الآية (١١) :

«يا أيّها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ همّ قوم ان يبسطوا إليكم ايديهم فكفّ ايديهم عنكم واتّقوا الله وعلى الله فليتوكّل المؤمنون» .

سياق الآية يدل على العلاقة بين التوكّل ، وبين الجهاد في سبيل الله والتصدّي للكفّار الذين يشيعون الظلم بالمجتمع .

٩ ــ التوكل في العلاقات الاجتماعية في المجتمع :

١ ــ ومن أبعاد التوكل : ان يتخذ الانسان الله وكيلاً على شؤونه وفي علاقات المؤمنين مع بعضهم .

قال الله تعالى : «فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل»[3] .

٢ ــ وقال الله تعالى : «ايّما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل»[4] .

٣ ــ كما لا يجوز ان يتخذ الانسان غير الله وكيلاً لشؤونه :

«وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلاً»[5] .

---

(١) النمل/ ٧٩ ـ ٨٠ .
(٢) المائدة/ ١١ .
(٣) يوسف/ ٦٦ .
(٤) القصص/ ٢٨ .
(٥) الاسراء/ ٢ .

في رحاب الأحاديث

المفوّض في راحة الأبد

قال الصادق -عليه السلام-: (المفوّض أمره إلى الله، في راحة الأبد، والعيش الدائم الرغد، والمفوّض حقاً: هو العالي عن كل همّة دون الله، كقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام-:

رضيت بما قسم الله لي — وفوّضت أمري إلى خالقي
كما أحسن الله فيما مضى — كذلك يحسن فيما بقي)(1)

الراضي في درجة الأنبياء

روي ان الله تبارك وتعالى أوحى الى داود -عليه السلام-: فلانة بنت فلانة معك في الجنّة في درجتك، فسار إليها فسألها عن عملها، فخبرته فوجده مثل اعمال النّاس، فسألها عن نيّتها، فقالت: ما كنت في حالة فنقلني منها إلى غيرها إلّا كنت بالحالة التي نقلني إليها أسر مني بالحالة التي كنت فيها، فقال: حسن ظنّك بالله جلّ وعزّ(2).

أركان الايمان

عن البزنطي قال: سمعت الرضا -عليه السلام- يقول: (الايمان أربعة أركان:

---

(1) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٤٨ الرواية ٤٤.
(2) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٤٥ الرواية ٤٢.

التوكّل على الله عزوجل، والرضا بقضائه، والتسليم لأمر الله والتفويض إلى الله، قال عبد صالح: وأفوّض أمري إلى الله، فوقاه الله سيئات ما مكروا) (١) .

ما يريد الله لا ما يريد البشر

عن ابن نباتة قال: قال أمير المؤمنين -عليه السلام-: (أوحى الله تعالى إلى داود -عليه السلام-: يا داود تريد وأريد، ولا يكون إلّا ما أريد، فان أسلمت لما أريد أعطيتك ما تريد، وان لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلّا ما أريد) (٢) .

المتوكّل اتقى النّاس

عن النبي -صلى الله عليه وآله- قال: (من أحبّ أن يكون اتقى النّاس، فليتوكّل على الله، ومن أحبّ أن يكون أغنى النّاس فليكن بما عند الله عزوجل أوثق منه بما في يده) (٣) .

بين التوكّل والغنى والعزّ

عن أبي عبدالله -عليه السلام- قال: (ان الغنى والعزّ يجولان، فإذا ظفرا بموضع التوكّل أوطنا) (٤) .

درجات التوكّل

عن علي بن سويد، عن أبي الحسن الأول -عليه السلام- قال: سألته عن قول الله عزوجلّ: «ومن يتوكّل على الله فهو حسبه» فقال: (التوكّل على الله درجات: منها ان تتوكل على الله في أمورك كلّها، فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم انه لا يألوك خيراً وفضلاً، وتعلم ان الحكم في ذلك له، فتوكّل على الله بتفويض ذلك إليه، وثق به فيها وفي غيرها) (٥) .

---

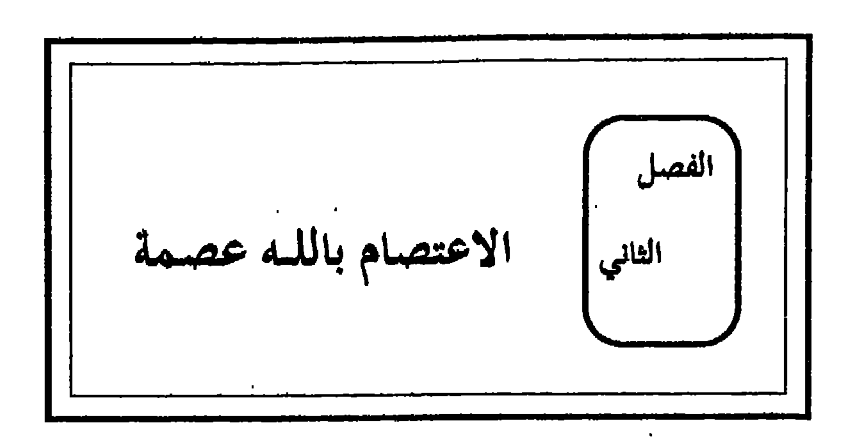
(١) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٣٥ الرواية ١٣.

(٢) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٣٨ الرواية ٢٤.

(٣) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٣٨ الرواية ٢٢.

(٤) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٢٦ الرواية ٣.

(٥) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٢٩ الرواية ٥.



الفصل الثاني

الاعتصام بالله عصمة

١ ــ حقائق الاعتصام:

فور ما يتحلى الانسان بصبغة الايمان، تنعكس هذه الصبغة على ابعاد سلوكه، ويكون محور حركته ايمانه بالله، فلا ينبعث منه إلّا ليعود اليه، إنّه قاعدة انطلاقه، ومحل روحه وسكينته، ومنار هداه ومعرفته.

والاعتصام بالله عند اختلاف الاهواء، وعند الشدائد، هو من أبرز علائم الايمان، فكلما رأيت مجتمعاً يتمركز حول نقطة محورية منبعثة من ايمانه بالله وبالرسالة، عند معاكسة الظروف ومواجهة التحدّيات، فاعلم بانه صادق الايمان.

الايمان ـبكلمةـ كهف الانسان في الضراء والبأساء، وعند الشّدة وهذا هو الاعتصام بالله.

١ ــ من هنا تجد في خاتمة سورة الحج حيث يبين القرآن ملامح المجتمع المسلم، يذكرنا بالاعتصام بالله، تعالوا نتدبر هذه الآية بتأمل عميق:

«ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على النّاس فأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة وأعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير» [١].

فالاعتصام بالله، آخر وأهمّ ملامح مجتمع المسلمين، لان الله نعم المولى ونعم

(١) الحج/ ٧٨.

النصير.

٢ ــ وهنا نتساءل ما هو ذا الاعتصام بالله ؟ والجواب يبدو واضحاً من خلال هذه الآية، والآية التي نتلوها عليكم من سورة آل عمران، حيث يقول ربنا الجبّار:

«وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم»[1].

ثم يقول ربنا سبحانه: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا»[2].

ماذا نستوحي من هذه الآيات الثلاث ؟

أوّلاً: انّ الاعتصام بالله يعني اتخاذه مولى ونصيراً ويتجلّى ذلك أكثر فأكثر عند الشدائد (عند التفرق الداخلي او الهجمة الخارجية).

ثانياً: الاعتصام بالله يكون بالرجوع إلى كتاب الله ورسول الله، فما هو بيننا انما هو الكتاب والرسول (معلم الكتاب ومطبقه)، ومن المعروف ان منصب الرسول ينتقل الى خلفاءه.

ثالثاً: ان الاعتصام بهما (الكتاب والرسول) هو الحبل الذي لو تمسكّنا به وقانا الله من الاختلاف.

٢ ــ عقبى الاعتصام:

١ ــ والاعتصام بالله (بالعقيدة والسلوك) يوفر شرط الرحمة الالهية، التي من أبرز مظاهرها الوحدة، حيث قال الله تعالى:

«وأعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخواناً وكنتم على شفا حفرة من النّار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تهتدون»[3].

---

(١) آل عمران/ ١٠١.

(٢) آل عمران/ ١٠٣.

(٣) آل عمران/ ١٠٣.

٢ ــ وفي الآية التالية جاء الاعتصام بالله تعبيراً عن الايمان به، وكان من نتائجه رحمة الله (لعلّها دفع الاخطار) وفضل الله (لعلّه التقدّم والسعادة) وهدى الله الى الصراط المستقيم.

قال الله تعالى: «فأما الذين آمنوا بالله وأعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً»(١).

وهكذا ذكرنا الحديث التالي بعاقبة الاعتصام بالله فقد روي عن أبي عبدالله الصادق ـعليه السلامـ قال: (أوحى الله عزوجل إلى داود؛ ما أعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته، ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن، إلّا جعلت له المخرج من بينهن، وما أعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي، عرفت ذلك من نيّته، إلّا قطعت أسباب السماوات من يديه، وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأي واد هلك)(٢).

٣ ــ كما أن الأعتصام بالله ينقذ الانسان من التردي في هاوية الجريمة والفحشاء، ويضرب القرآن مثلاً من قصة يوسف ويقول الله سبحانه:

«قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين»(٣).

ترى كيف استعصم يوسف (بالله) فانقذه الله من السقوط في الفحشاء، وأراه برهانه الذي قال عنه سبحانه:

«ولقد همّت به وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه»(٤).

٣ ــ بين الاعتصام والتوبة:

وشرط قبول التوبة الاعتصام بالله (وقبول ولايته).

---

(١) النساء / ١٧٥.

(٢) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٢٥ رواية ٢.

(٣) يوسف/ ٣٢.

(٤) يوسف/ ٢٤.

قال الله تعالى: «إلّا الذين تابوا وأصلحوا وأعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين»[(١)].

فمن دون قبول ولاية الله كيف تصدّق التوبة.

٤ ــ لا عاصم إلّا الله:

١ ــ وإذا عقل الانسان، عرف انه لا منقذ له من المهالك إلّا الله سبحانه. ويذكر القرآن بهذه الحقيقة في آيات عديدة، لعلّنا نتخلص من أوهام الشرك. فلا عاصم للمشركين والفاسقين في الآخرة، حيث ترهق وجوههم ذلّة يقول الله شبحانه:

«والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلّة ما لهم من الله من عاصم»[(٢)].

٢ ــ ولا عاصم لهم في الدنيا إذا نزل بهم عذاب الله، كما نزل بآل فرعون، وقد أنذرهم رجل مؤمن منهم وقال لهم فيما يبيّنه القرآن الكريم:

«ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولّون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد»[(٣)].

وهكذا لم تجد الامم عاصماً من دون الله حين نزل بهم عذاب ربهم.

٣ ــ ويصوّر القرآن الكريم حالة ابن نوح، كيف اعتصم بجبل فلم يجده نفعاً. ويقول سبحانه:

«ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلّا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين»[(٤)].

وهذه عاقبة كل الذين اعتصموا من الله بغيره.. امّا المؤمنون فقد أعتصموا بالله،

(١) النساء/ ١٤٦.

(٢) يونس/ ٢٧.

(٣) غافر/ ٣٢ - ٣٣.

(٤) هود/ ٤٢ - ٤٣.

من شرور انفسهم ، ومن ضغوط مجتمعهم ، ومن عذاب ربهم ، فكان الله لهم نعم المولى ونعم النصير، وفي ذلك نتلوا الاحاديث التالية :

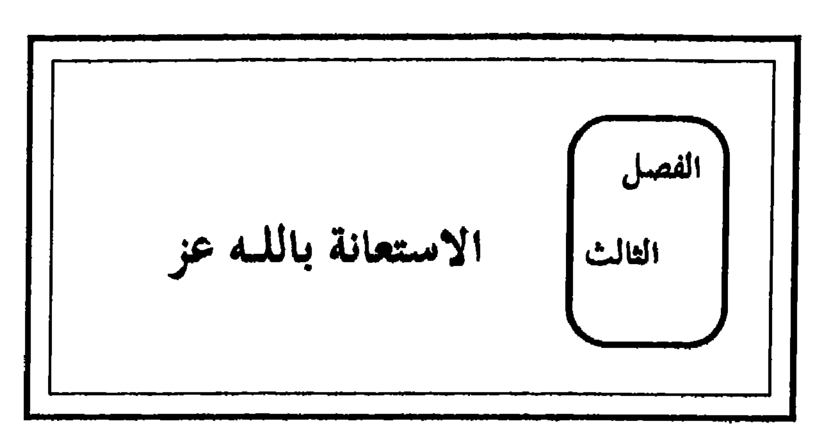
ألف ــ فعن أبي عبدالله الصادق ـعليه السلامـ قال : (أيّما عبد أقبل قبل ما يحب الله عزوجل أقبل الله قبل ما يحبّ ، ومن أعتصم بالله عصمه الله ، ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الأرض ، أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فشملتهم بليّة ، كان في حزب (حرز) الله بالتقوى من كل بليّة ، أليس الله عزوجل يقول : «ان المتقين في مقامٍ أمين»)[1] .

باء ــ وعن صفوان رفعه الى أبي عبدالله الصادق ـعليه السلام ـ انه قال : (قال إبليس : خمسة أشياء ليس لي فيهنّ حيلة وسائر النّاس في قبضتي : من اعتصم بالله عن نيّة صادقة ، واتّكل عليه في جميع أموره ، ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره ، ومن رضي لأخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه ، ومن لم يجزع على المصيبة ، ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتم لرزقه)[2] .

---

(١) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٢٧ رواية ٤ .

(٢) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٣٦ رواية ١٨ .



١ ــ كيف نستعين بالله ؟

الاستعانة بالله عند الاحساس بالخطر، وعدم الاستسلام للوعيد والابتزاز، وعدم التراجع عن المباديء طمعاً في زخارف الدنيا ، كل ذلك يعتبر من أجلى معاني الايمان بالله .

١ ــ وكل مسلم يقرأ كل يوم في صلواته : «اياك نعبد وإياك نستعين»[(١)] .

فالعبادة لله ، والاستعانة به ، ولولا الاستعانة بالله والصبر امام التحديات ثقة بنصره ، كيف يمكن للإنسان ان يعبده وحده ولا يخضع لأي معبود سواه ، أو مطاع من دونه ؟

٢ ــ وفي مواجهة أعداء الرسالة يستعين النبي بالله ، ويقول الله :

«قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون»[(٢)] .

٣ ــ وهذا يعقوب الذي تعلّق قلبه بيوسف ابنه ، كيف كان يواجه مصيبة ضياع ، أو فقدان يوسف ، انّما بالاستعانة بالله ، حيث قال ربنا :

«وجاءوا على قميصه بدم كذب ، قال بل سوّلت لكم انفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون»[(٣)] .

---

(١) الفاتحة/ ٥ .

(٢) الانبياء/ ١١٢ .

(٣) يوسف/ ١٨ .

٤ ـ وحينما خيّر يوسف بين السجن، وبين التسليم لكيد تلك النسوة، هنا أيضاً دعى الله سبحانه وتعالى ان يعينه، حيث قال ربنا:

«قال رب السجن أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه وإلّا تصرف عني كيدهنّ أصب إليهنّ وأكن من الجاهلين»(١).

٥ ـ مرّة أخرى، حينما أراد أخوة يوسف انتزاع شقيقه من أبيه، قال ما نقرأه معاً:

«قال هل آمنكم عليه إلّا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين»(٢).

أنظر في هذه اللحظات الحاسمة، التي يفقد الانسان كلّ أمل في الحياة، في هذه اللحظات لابدّ ان يستعين بالله ويفوّض الأمر إليه.

وقد جاء عن الامام أبي عبدالله الصادق ـ عليه السلام ـ قال: (بعث الله نبياً إلى قوم (وأمره ان يقاتلهم) فشكى إلى الله الضعف، فأوحى الله عزوجل ان النصر يأتيك بعد خمسة عشرة سنة، فقال لأصحابه: ان الله عزوجل أمرني بقتال بني فلان فشكوت إليه الضعف فقالوا: لا حول ولا قوّة إلّا بالله، فقال لهم: ان الله قد أوحى إليّ ان النصر يأتيني بعد خمسة عشرة سنة فقالوا: ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله، قال: فأتاهم الله بالنصر في سنتهم تلك لتفويضهم إلى الله وقولهم ما شاء الله لا حول ولا قوّه إلّا بالله)(٣).

٢ ـ الاستعانة بغير الله:

ومن الصفات السلبية الاستعانة بغير الله، حيث نرى ان يوسف ـ عليه السلام ـ حينما استعان بغير الله انساه الشيطان ما أراده، قال الله تعالى:

«وقال للذي ظنّ انّه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في

---

(١) يوسف/ ٣٣.

(٢) يوسف/ ٦٤.

(٣) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٥٨ رواية ٧٥.

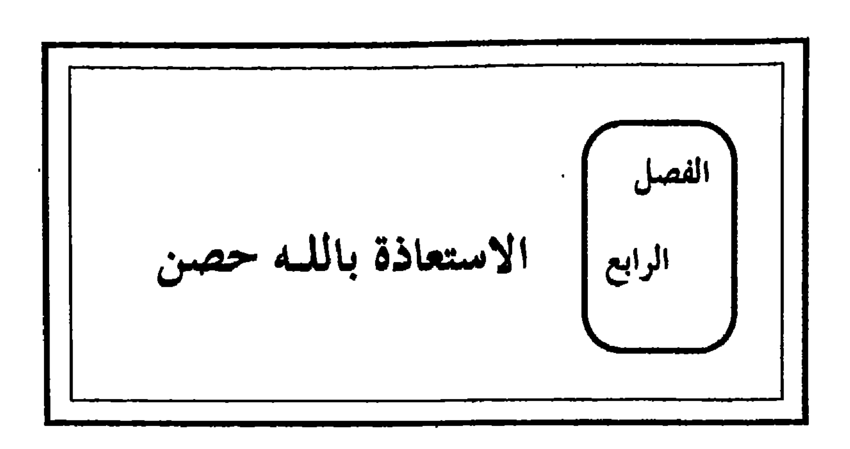
السجن بضع سنين»[1].

وقد جاء في المأثور عن أبي عبدالله الصادق -عليه السلام- انّه قال: (قال الله ليوسف: ألست الذي حببتك إلى أبيك، وفضّلتك على النّاس بالحسن، أولست الذي سقت اليك السيّارة وانقذتك وأخرجتك من الجبّ؟ أولست الذي صرفت عنك كيد النسوة؟ فما حملك على ان ترفع رغبتك (عني) او تدعو مخلوقاً دوني، فالبث لما قلت في السجن بضع سنين)[2].

---

(١) يوسف/ ٤٢.

(٢) بحار الانوار ج٦٨/ ص ١٤٩ رواية ٤٧.



١ ــ الاستعاذة من نزغ الشيطان :

الاستعاذة بالله من أبعاد الدعاء حيث ان جوهرها الاحتماء بالله . كالأعتصام بالله ، والعوذ هو الملجأ ، وفي الحرب ، حين يحتمي بعض المحاربين ببعض من شدّة البأس يقال : تعاوذ القوم[١].

١ ــ ولأنّ الشيطان يوسوس في صدر المؤمن ، ويحثّه ـ بقوّة ـ نحو المعاصي مما يسمى في اللغة بـ(النزغ) فان المؤمن لا يجد ملجأ يأوي إليه ، سوى كهف الربوبية ، ومن يقدر على انارة عقل البشر وشحذ عزمه وفضح الشيطان غير رب العزّة والجبروت ؟

من هنا أمر الله بالاستعاذة بالله (الاحتماء بذكره والتوسل إليه) عند نزغ الشيطان (وحثّه ودفعه نحو الباطل) .

٢ ــ قال الله تعالى : «واما ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه سميع عليم ، ان الذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون»[٢] .

وقال الله تعالى : «وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه هو السميع العليم»[٣].

---

(١) المعجم الوسيط ج٢/ ص ٦٣٥ .

(٢) الاعراف/ ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٣) فصلت/ ٣٦ .

ونستوحي من قوله سبحانه «تذكروا» ان جوهر الاستعاذة بالله، تذكر اسماءه ونعماءه وثوابه وعقابه، وقدرته على منع الشيطان، ـ وبالتالي ـ التوكّل عليه في مواجهة الشيطان، وقد تستدعي الاستعاذة بالله التبتل اليه ساجداً راكعاً، كما نستلهم من الآية (٣٧) من سورة فصّلت.

امّا عن كيفية الاستعاذة بالله فقد جاء في الحديث المأثور عن هارون بن خارجه، عن أبي عبدالله الصادق ـ عليه السلام ـ قال: سألته عن الدعاء ورفع اليدين فقال: (على أربعة أوجه أمّا التعوذ فتستقبل القبلة ببطن كفيك، وأمّا الدعاء في الرزق فتبسط كفّيك وتفضي بباطنهما إلى السماء، وامّا التبتل فايماؤك بأصبعك السبابة، وامّا الابتهال فرفع يديك تجاوز بهما رأسك في دعاء التضرّع)[1].

٢ ــ الاستعاذة عند تلاوة القرآن:

قال الله تعالى: **«فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكّلون»**[2].

والاستعاذة بالله تعني: بان يحس الانسان، بانه في محضر الرب وان الرب يرعاه، وان يتوكّل عليه وان يناجيه بقلبه بان ينصره على الشيطان، وان لا يدع الشيطان يحرف نظراته، ويبعث في روعه الوسوسة والافكار الغريبة حينما يفكر، أو عندما يقرأ القرآن، وبكلمة إذا استعاذ المؤمن بالله تخلّص من عوامل الخطأ وأسباب الضلال.

٣ ــ الاستعاذة عند الفتنة:

١ ــ حينما احاطت بيوسف الصدّيق، فتنة زليخا زوجة العزيز، هناك استعاذ بالله، حيث قال ربنا: **«وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك، قال معاذ الله إنّه ربي أحسن مثواي إنّه لا يفلح الظالمون»**[3].

---

(١) بحار الانوار ج ٩٠/ ص ٣٣٩ رواية ٨.

(٢) النحل/ ٩٨ - ٩٩.

(٣) يوسف/ ٢٣.

٢ ــ وعندما خشي فتنة الملك وأراد الحكم بالعدل استعاذ بالله.

وقال الله تعالى: «قال معاذ الله ان نأخذ إلّا من وجدنا متاعنا عنده»[(١)].

والواقع ان استعاذة المؤمن ليس من أصل الفتنة بل من ان تضلّه الفتنة.

فقد جاء عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ انه قال: (لا يقولن أحدكم اللهم إنّي أعوذ بك من الفتنة، لانه ليس أحد إلّا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلّات الفتن فان الله سبحانه يقول: «واعلموا انّما أموالكم وأولادكم فتنة»[(٢)].

٤ ــ الاستعاذة من همزات الشياطين:

١ ــ وقد يقوم الشيطان بنخس البشر، وغمزه بالقاء أفكار حادّة لاضلاله، هناك لا يجد المؤمن سوى الالتجاء إلى الله والاستعاذة به، وحتى قبل هذه الهمزات، ينبغي ان يتوقّاها المؤمن، ويحتمي عنها بذكر الله والتوكّل عليه.

وقال الله تعالى: «وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين»[(٣)].

٢ ــ المؤمن لا يمهل الشيطان حتى يهمزه، بل يسد عليه منافذ قلبه رأساً، وذلك (بذكر الله) ويستعيذ بالله من حضوره عنده، فبمجرد ان يحس بخطى الشيطان في فؤاده يدفعه بالتذكر.

قال الله تعالى: «وأعوذ بك رب ان يحضرون»[(٤)].

٣ ــ وهكذا أمرنا الله بالاستعاذة بالله من شرّ الوسواس الخنّاس. الذي قد يتجسد في صورة أناس ينفثون الأفكار الباطلة، ويشيعون خرافات إبليس بين النّاس.

قال الله تعالى: «قل أعوذ برب النّاس ملك النّاس إله النّاس من شرّ الوسواس

---

(١) يوسف/ ٧٩.

(٢) بحار الانوار ج ٩١/ ص ١٩٧ رواية ٦.

(٣) المؤمنون/ ٩٧.

(٤) المؤمنون/ ٩٨.

الخنّاس الذي يوسوس في صدور النّاس من الجنّة والنّاس»[1].

٤ ـــ وحين يستعيذ المؤمن بالله، يتذكر اسماءه، وانه رب الفلق، وانه الخالق، ـ وبالتالي ـ يستعيذ به من شرّ كل مخلوق ومن شرّ الذين لا يزالون ينفثون السموم في المجتمع، فيفرقون بين النّاس، ويضعفون عزائمهم ويخوفونهم ويثيرون العصبيات، ويروجون للأباطيل وكذلك من شرّ كل متسلل بالليل، وحاسد بالنّهاره

قال الله سبحانه: «قل أعوذ بربّ الفلق من شرّ ما خلق ومن شرّ غاسق إذا وقب ومن شرّ النفاقات في العقد ومن شرّ حاسدٍ إذا حسد»[2].

٥ ـــ اعاذة الآخرين بالله:

وكما نستعيذ بالله سبحانه، فعلينا ان نعيذ الذين نحبهم من شرّ الشيطان، بالدعاء لهم، بان يمنع عنهم وساوس الشيطان.

قال الله تعالى: «اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»[3].

وهكذا أعاذت أمرأة عمران مريم، بالله من الشيطان، كما أعاذت ذريتها به، وقد تقبّل الله دعاءها وانبتها نباتاً حسناً، وقد يستوجب استعاذة الآخرين من الشيطان، حمايتهم من آثاره وأفكاره، والمحيط الملّوث بغروره.

وجاء عن أبن عبّاس قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يعوذ الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ ويقول: (اعيذكما بكلمات الله التامّة، من كلّ شيطان وهامّة ومن كلّ عين لامّة ويقول هكذا كان أبي ابراهيم، يعوذ ابنيه اسماعيل واسحاق)[4]

٦ ـــ الاستعاذة عند مواجهة الكفّار:

١ ـــ وانما يستعيذ الانسان بالله عند لقاء الكفّار، أو حتّى عند ذكرهم، لكي لا

---

(١) الناس/ ١ ـ ٦.

(٢) الفلق/ ١ ـ ٥.

(٣) آل عمران/ ٣٦.

(٤) بحار الانوار ج ٩١/ ص ١٩٦ رواية ٤.

يتأثر بهم وبأفكارهم، التي هي -في الحقيقة- وساوس الشيطان، تنفثها أفواههم، قال الله تعالى: «إنّ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم، ان في صدورهم، الاّ كبر ما هم ببالغيه، فاستعذ بالله انّه هو السميع البصير»(١).

٢ — وقد تكون الاستعاذة بالله من الكفّار بهدف التخلّص من شرورهم الماديّة -كما التحصّن من أفكارهم الفاسدة- قال الله تعالى:

«إنّي عذت بربي وربكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب»(٢).

٣ — وفي أشدّ الظروف، عندما كان يواجه الأنبياء -عليهم السلام- الطغاة استعاذوا بالله، وهكذا فعل النبي موسى -عليه السلام-.

قال الله تعالى: «واني عذت بربي وربكم ان ترجمون»(٣).

٤ — ومريم الصدّيقة -عليها السلام- استعاذت بالله في أشدّ الظروف، عندما تمثل لها الملك الرسول بشراً سويّاً.. فاستعاذت بالله منه وذكرته بالتقوى، قال الله تعالى:

«قالت اني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّاً»(٤).

٥ — وقال الله تعالى: «قالوا اتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين»(٥).

٦ — والنبي نوح: حين سأل الله انقاذ ابنه فقال له الله سبحانه:

«اني أعظك ان تكون من الجاهلين»(٦).

هناك استعاذ نوح النبي بالله سبحانه من القول بغير علم.

٧ — لا استعاذة إلاّ بالله:

وانما الاستعاذة بالله، اما الاستعاذة بالجنّ فانّها تزيد الإنسان نصباً وتعباً.

وقال سبحانه: «وانّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقاً»(٧).

---

(١) غافر/ ٥٦.
(٢) غافر/ ٢٧.
(٣) الدخان/ ٢٠.
(٤) مريم/ ١٨.
(٥) البقرة/ ٦٧.
(٦) هود/ ٤٦.
(٧) الجن/ ٦.

في رحاب الأحاديث

الاستعاذة من النّار

عن ربيعة بن كعب قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله- يقول : (ما من عبد يقول كل يوم سبع مرّات «أسئل الله الجنّة وأعوذ به من النار» إلّا قالت النّار: يا رب أعذه منّي)[١].

الاستعاذة من الذنب

كان أمير المؤمنين -عليه السلام- إذا أعطى ما في بيت المال أمر فكنس ، ثم صلّى فيه ، ثم يدعو فيقول في دعائه : (اللهم اني أعوذ بك من ذنب يحبط العمل ، وأعوذ بك من ذنب يعجّل النقم ، وأعوذ بك من ذنب يمنع الدعاء ، وأعوذ بك من ذنب يهتك العصمة ، وأعوذ بك من ذنب يورث الندم ، وأعوذ بك من ذنب تحبس القسم)[٢] .

---

(١) بحار الانوار ج ٩١/ ص ١٩٧ رواية ٥ .

(٢) بحار الانوار ج ٩١/ ص ٩٣ رواية ٩ .

فهرس



